تعليقات

العلامة محمد بن مانع

على

مقالات الكوثري وبعض كتبه

اعتنى بها

وصدَّرها بنبذة في كشف حال الكوثري

سليمان بن صالح الخراشي

ح دار الصميعي للنشر والتوزيع ١٤٣٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الخراشي ، سليمان بن صالح
تعليقات الشيخ بن مانع على مقالات الكوثري / سليمان بن صالح الخراشي
الرياض ١٤٣٠هـ .
٢٩١ص ١٧× ٢٤سم
ردمك :٩-٩١-٨٦٩-٩٩٦-٩٧٨
١ - الكوثري ، محمد زاهد ، ت ١٣٧١هـ ٢ - الإسلام - مقالات و
محاضرات أ . العنوان
ديوي ٢١٠،٨ ١٤٣٠/٦٧٤
رقم الإيداع : ٦٧٤/ ١٤٣٠
ردمك : ٩-٩١-٨٦٩-٩٩٦-٩٧٨



١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

دار الصميعي للنشر والتوزيع / المملكة العربية السعودية
الرياض ص. ب : ٤٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤١٢
المركز الرئيسي : الرياض - السويدي - شارع السويدي العام
هاتف : ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩ ، فاكس :٤٢٤٥٣٤١
فرع القصيم : عنيزة - أمام الجامع الكبير
هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨ تلفاكس : ٣٦٢١٧٢٨
الموزع في المنطقة الغربية والجنوبية / جوال ٠٥٠٩٧٧١٥٦٨
مدير التسويق ٠٥٥٥١٦٩٠٥١
البريد الالكتروني : daralsomaie@hotmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فقد تميز الشيخ العلامة محمد بن عبدالعزيز المانع ـ رحمه الله ـ بالتعليق على ما يقرأه من الكتب المتنوعة؛ إما موافقاً لما فيها، أو مخالفاً، أو مفيداً، بحسب طبيعة الكتاب المقروء؛ مما جعل لتعليقاته تلك أهمية عند من يعرفون مكانته العلمية، وجلالة قدره في البحث والاطلاع، والمساهمة في حركة الطباعة والنشر، في فترة سابقة.

يقول الأستاذ علي بن سليمان الصوينع ـ أمين مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض[1] في كتابه «الكتب العربية النادرة» تحت مبحث: «التعليقات على الكتب»، متحدثاً عن نماذج من تعليقات الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ:

«يقول الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع (١٣٠٠-١٣٨٥هـ) وهو من أشهر المعلقين والموثقين على الكتب، يقول في واحد من أهم تعليقاته على صفحة عنوان كتاب: (**تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تأليف سنت فلبي**):

(١) آلت مكتبة الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ إلى مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض.

«كنت ليلة عند الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في قصره بمكة فجرى ذكر التاريخ، فقيل لم يكتب أحد، وكان فلبي في المجلس فأشار إليه الملك ـ رحمه الله ـ وقال: كانْ فلبي،[١] وهذا دليل على ثقة الملك بفلبي»، ثم علق على الكتاب في المكان نفسه: «من كتب محمد بن عبدالعزيز بن مانع جرى وحرر في ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٨٣هـ في الدوحة من بلدان قطر»، كما دون المانع التعليق السابق على كتاب أمين الريحاني (**نجد وملحقاته**... ط٢، بيروت، ١٩٥٤م) بقوله: «قال الملك عبدالعزيز ذات ليلة ونحن عنده بعد صلاة العشاء الآخرة وقد جرى ذكر التاريخ أنه لم يكتب أحد تاريخي، فقلت: الريحاني كتب ذلك، فقال: كذب الريحاني كتب شيئاً ما قلته، وترك شيئاً قلته وكان فلبي في المجلس فالتفت إليه وقال: كانْ فلبي يعني يكتب التاريخ» ويوجد على الكتاب تملك نصه: «انتقل إلى ملك محمد بن عبدالعزيز بن مانع في ٩ رجب ١٣٧٤ بمكة المكرمة ثمنه ثمانية ريالات».

والشيخ محمد المانع ممن اشتهر بكثرة التعليقات والحواشي المفيدة والموثقة على الكتب، وتدل تعليقاته الكثيرة على علمه الواسع وتبحره في العلوم الإسلامية واللغوية والتاريخ والأنساب.

---

(١) تُنطق بالعامية: «كانْ فلبي»؛ أي: إن كان أحدٌ كتب أو سيكتب، فهو فلبي.

ومن تعليقاته على كتاب: (**روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر**) المطبوع سنة ١٣٦٥هـ، وقد أهداه الكتاب محمد بهجة البيطار. وفي الكتاب تعليقات مفرقة منها قول المانع: «فيه تراجم جماعية كثيرة»، كما علم على ترجمة المؤلف داخل الكتاب بقوله: «مات المصنف ـ رحمه الله ـ في أول عام ١٣٧٩ بدمشق وبلغنا خبر وفاته ونحن بمصر»، كما علق على ترجمة إبراهيم باشا عند ذكر الحملة التي قادها طوسون باشا ابن محمد علي بقوله: «إطلاقه على قتال الطاغية لأهل نجد تأديباً جهل منه، فكيف يؤدب أهل نجد من هو أفجر العباد وأخبثهم، فالواجب أن يقال: وفوض إليه قتال أهل الحق ظلماً لهم وعدواناً». كما علق المانع على كتاب: (**المنتخب في ذكر قبائل العرب** لعبدالرحمن المغيري، القاهرة ١٩٦٢م) بقوله: «أخبرني أحد طلبة العلم من العفالق أهل الأحساء اسمه أحمد ويكنى بأبي عبدالوهاب، وكان قدم قطر في بعض جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢هـ: بين قوسين: «لا تصدق في نقله؛ لأنه غير ثقة ومذهبه إساءة الظن في المتقدمين، فعلينا أن نسيء الظن به قبحه الله وأبعده».

كما أورد المعلق نظماً في أربعة وأربعين بيتاً موزعة على الصفحات الفارغة نسبها إلى الشيخ أبي السمح إمام الحرمين الشريفين،[١] منها: [٢]

---

(١) ورد في ترجمته ـ رحمه الله ـ أنه كان «إمام وخطيب المسجد الحرام». تُنظر: رسالة «جماعة أنصار السنة: نشأتها ـ أهدافها ـ منهجها ـ جهودها»؛ للدكتور أحمد محمد الطاهر، (ص٢٢٢-٢٢٨).

(٢) انظرها كاملة في كتابه «حياة القلوب»، (ص٨٩-٩٣)، وفي كتابي: «عبدالله القصيمي.. وجهة نظر أخرى»، (ص٦٩٦-٧٠٢).

مـــدحتك باللـــسان وبـــاليراع أخـــا الأغـــلال في يـــوم الـــصراع

لمـــا أبـــديت مـــن حـــق مبـــين تـــرد بـــه عـــلى قـــوم رعـــاع

وأمـــا الآن فاســـمع مـــن قـــوافي هجائـــك مهلكـــات كالأفـــاعي

إلى أن يقول:

ألا يا بن القصيم ضـللت فـارجع فـــإن الحـــق أولى باســـتماع

لقـد أسرفـت في الأغـلال حتـى سـقطت وكنـت طـلاع الـتلاع

فبـــين بالأدلـــة أي غـــل أتـــى بالـــدين نقـــل أو ســـماع

كما يعلق المانع على بيتين نقلهما القصيمي ونسبهما للآمدي المتفلسف، وهما:

لعمري لقد طفتُ المعاهد كلها وجولـتُ طـرفي بـين تلـك المعـالم

فلـم أر إلا واضـعاً كـفَّ حـائر عـلى ذَقَـنٍ أو قارعـاً سـن نـادم

فيعلق المانع تحتهما: «البيتان نُسبا للشهرستاني في كتب كثيرة».

وفي ختام تعليقاته الكثيرة على كتاب القصيمي يقول المانع: «وقفت على قصيدة لرجل من أهل الخرج يُقال له راشد بن خنين يقول في أولها:

هذا القصيمي في الأغلال قد كفرا وفـاه بـالزيغ والإلحـاد مـشتهرا

ثم يختم تعليقاته بتحذيره من الكتاب بقوله: «انتهت قراءة هذا الكتاب الموحش المرعب، فرأيت مؤلفه قد أخلد إلى الأرض وأعرض عن طريق أهل الحق، ينظر

للأديان بعين السخط، ويمقت المتدينين، ويعظم الرجال المشهورين بالإلحاد .. اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك الصحيح الحق الذي بُعث به محمد صلى الله عليه وسلم، حُرر في ١٦/ ١/ ١٣٦٦هـ».

وللمانع تعليقات نقدية شديدة على الكتب المخالفة في العقيدة؛ مثل تعليقه على كتاب: «شواهد الحق في الاستعانة بسيد الخلق» ليوسف إسماعيل النبهاني، المطبوع في القاهرة ١٣٥٢هـ، وذلك بقوله: «هذا الكتاب شواهد الكفر والضلال والبدع والانحلال، كل ما ذكره فيه من الأدلة من الكتاب والسنة لا تدل إلا على توحيد الله وإفراده بالعبادة، والاستعانة بغير الله شرك دل الكتاب العزيز والسنة النبوية على ذلك، فالنبهاني دجال ضال ملبس داع إلى الشرك والضلال، فقبحه الله وقبح من قال بقوله الفاسد الذي ألف الكتاب لأجله». (١)

ومن تعليقات المانع التاريخية ما وجدته في كتاب: (**النهضة الحديثة في جزيرة العرب**: الجزء الأول في المملكة العربية السعودية)، تأليف محمد عبدالله ماضي، نشر دار إحياء الكتب العربية في القاهرة سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م، وأهدى المؤلف كتابه إلى حضرة صاحب السعادة المحترم/ الشيخ محمد بن مانع مع أطيب التحيات وصادق الود. من المخلص محمد عبدالله ماضي. القاهرة في ٢٦ ربيع

---

(١) وقد نشرت صورة تعليقه هذا في كتابي: «ست منظومات في الرد على الصوفي يوسف النبهاني».

الآخر سنة ١٣٧٤هـ، ٢٤ يناير سنة ١٩٥٢م. وقد أودع المانع الكتاب تصحيحات لغوية وملاحظات تاريخية مفيدة؛ مثل تعليقه على نسب محمد بن عبدالوهاب المنقول من كتاب أمين الريحاني «**تاريخ نجد وملحقاته** ص٢٣ الطبعة الأولى: «هذا النسب سقط منه وهيب الذي تنسب إليه الوهبة». وتعليقه على قول المؤلف: بأن الوهابيين يحرمون التدخين ويجلدون المدخن أربعين جلدة، حيث قال ابن مانع: «هذا غير صحيح فلم يُجلد أحد بمجرد التدخين عند علماء نجد المحققين»، وخاطب المؤلف بقوله: «اعلم أن أهل نجد لا يعترفون بأن لهم مذهباً يخالف مذهب أهل السنة والجماعة، فهم سلفيو العقيدة حنبليو المذهب في الأعمال الاجتهادية الفقهية».

وفي معرض الحديث عن نشأة الملك عبدالعزيز يضيف المانع معلومات لم تدرج في الكتاب لتقدمه على الحدث حيث يقول المؤلف: بأن الملك عبدالعزيز ولد في ٢٠ ذي الحجة سنة ١٢٩٧هـ/ ٥ديسمبر سنة ١٨٨٠م، ويعلق المانع: «ومات ـ رحمه الله ـ في ٢ربيع الأول يوم الاثنين سنة ١٣٧٣هـ بمدينة الطائف ونقل في ذلك اليوم إلى الرياض بالطائرة ودفن هناك تغمده الله برحمته ورضوانه».

كما يقول في تعليقه على قول المؤلف: بأن أمير بريدة قتل في المليدة، فيعلق المانع بقوله: «أمير بريدة حسن المهنا لم يقتل في حرب المليدا وإنما انهزم إلى عنيزة، فأرسل ابن رشيد سرية، فأخذته وأصحابه إلى حائل وحبس هناك حتى مات».

وللمانع تعليقات عامة وخاصة غزيرة، وشروحات وإيضاحات فقهية ولغوية وتاريخية، وتراجم يصعب حصرها، وتعليقاته تتجاوز فائدتها الناحية العلمية إلى تغطية سيرة الكتب والجوانب البيليوجرافية والتوثيقية، كما في تعليقاته وتملكاته على الكتب التي يقتنيها. وكتب المانع على كتاب: (**عمل اليوم والليلة** للحافظ أبي بكر أحمد بن محمد الدينوري المعرف بابن السُّنِي طبعة حيدر أباد ١٣٥٨هـ): «ضبطه بالشكل بضم السين وكسر النون في المشتبه في أسماء الرجال للحافظ الذهبي، قال في **الإكمال في أسماء رجال المشكاة**: مات سنة ٣٦٤هـ: السني بضم السين المهملة وتشديد النون المكسورة. مؤلف الإكمال هو الشيخ ولي الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب وهو صاحب المشكاة»، كما علق المانع على صفحة عنوان (**لسان العرب** لابن منظور، بيروت ١٩٥٤م) بقوله: «الموجود خمس مجلدات من الأول إلى آخر السابع والجزء الثاني والرابع مفقودان والأجزاء الخمسة تكرم بها صاحب السمو الشيخ علي بن الشيخ عبدالله الثاني جزاه الله خيراً ٢١/ ١١/ ١٣٧٩ في جبل عالية من جبال لبنان»، كما علق المانع على كتاب: **مختصر شعب الإيمان** للإمام البيهقي صاحب السنن الكبرى المتوفى سنة ٤٥٨هـ، تأليف الإمام أبي جعفر محمد القزويني (المتوفى سنة ٦٦٩هـ) بقوله: «من كتب محمد بن عبدالعزيز المانع، واختصر الشعب إسماعيل الحصري والد إسماعيل المشهور ذكره في الشذرات توفي سنة ٦٥٠، من كتب محمد بن مانع ثمنه ثلاثة ريالات بمكة المكرمة ٩رجب سنة ١٣٦٣هـ».

وعلى كتاب: (السياسة الشرعية والفقه الإسلامي)، تأليف الشيخ عبدالرحمن تاج عضو جماعة كبار العلماء وأستاذ الشريعة بكلية الحقوق جامعة إبراهيم، الصادر في طبعته الأولى سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، إهداءٌ من المؤلف للشيخ محمد المانع مؤرخ في ٩ربيع الأول ١٣٧٥هـ. وعلق المانع على صفحة العنوان: «المؤلف اتفقنا به بالمدينة المنورة في ربيع الأول سنة ١٣٧٥هـ لما جاء من جملة الوفود لحضور افتتاح الزيادة السعودية في المسجد النبوي، ثم جاء إلى مكة وزارنا في بيتنا بارك الله فيه، ومعه مفتي الديار المصرية حسن مأمون ومدير البحوث في الأزهر»[(١)] انتهى كلام الأستاذ الصوينع ـ وفقه الله ـ.

قلت: ومن تلك التعليقات المهمة للعلاّمة ابن مانع ـ رحمه الله ـ ما علقه على كتاب «مقالات الكوثري»، المعروف بمخالفته لعقيدة أهل السنة، وتهجمه على أعلامها، مما جعل بعض العلماء يصفه برأس الجهمية في هذا العصر؛ نظراً لتوغله في البدعة، واستغلاله اطلاعه الواسع في سبيل نشرها والتمكين لها؛ مما أورثه «الإمامة» لمن خلفه من أهل الضلال ممن جاء بعده؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[القصص: ٤١].

(١) «الكتب العربية النادرة»، (ص٩٤-١٠٢).

لهذا؛ فقد رأيت جمع هذه التعليقات، من نسخة الشيخ من «مقالات الكوثري»، ثم أضفت لها تعليقاته الأخرى على بعض كتب الكوثري،[1] أو الكتب المتعلقة به ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ.

وقد قدمت قبلها: ترجمة للكوثري، وموجزاً لعقيدته، مع ملخصات لردود أهل العلم عليه؛[2] لعلها تكون محذرة للمسلم من الاغترار به، وبكتبه، أو من يروج لها بين أهل السنة من مرضى القلوب، والمنحرفين ـ لا كثرهم الله ـ.

والله الهادي إلى سبيل الخير والرشاد، المتمّم نعمته على من أخلص من العباد، وصلى الله وسلم على خير هادٍ، وآله وصحبه الأمجاد.

كتبه/ سليمان بن صالح الخراشي

alkarashi1@hotmail.com

---

(١) شاكراً الإخوة في قسم المخطوطات بمكتبة الملك فهد الوطنية، الذين سهلوا لي مهمة الاطلاع عليها، وتصويرها.

(٢) وأتبعتُ الهوامش التي قيدتها بقلمي بحرف (س).

ترجمة الكوثري[1]

هو محمد زاهد بن الحسن الحلمي، ولد يوم الثلاثاء ٢٧ أو ٢٨ من شوال سنة ١٢٩٦، مع أذان الفجر في قرية الحاج حسن أفندي(٢)، وتلقى مبادئ العلوم من شيوخ دُوزْجَه، وغادرها سنة ١٣١١ للآستانة، ونزل عند وصوله في مدرسة دار الحديث التي بناها قاضي العسكر حسن أفندي المتوفى ١٠٤٤، حيث كان ينزل عمه موسى الكاظم(٣)، وطلب العلم في جامع الفاتح على الشيخ إبراهيم حقي الأييني إلى أن توفي سنة ١٣١٨، فتمم على الشيخ علي زين العابدين الألصوني المتوفى سنة ١٣٣٦، إلى أن تخرج عليه سنة ١٣٢٢.

ولما نال إجازته العلمية سنة ١٣٢٥ اشتغل بالتدريس في جامع الفاتح إلى

(١) نقلاً ـ باختصار ـ عن كتاب تلميذه أحمد خيري: «الإمام الكوثري»، (ص٥-١٢)، وله ترجمة في: «الأعلام» (٦/ ١٢٩)، و «تشنيف الأسماع» لمحمود سعيد ممدوح، (ص٢٠٥-٢١٦)، و «الأخبار التاريخية» لزكي مجاهد، (ص١٢٩-١٣٢)، و «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر»، (٣/ ٣٢١).

(٢) هي قرية أنشأها والد المترجم، فعرفت باسمه (حاج حسن قريسى) وتقع قبلي قضاء دوزجه بنحو ثلاثة أميال، وشرق الآستانة بنحو خمس مراحل.

(٣) هو موسى الكاظم الكوثري السيروزي المتوفى سنة ١٣٥٣ في أطه بازار بالأناضول بين الآستانة ودوزجه، عن حوالي تسعين سنة.

أوائل الحرب العالمية التي بدأت في سنة ١٣٣٢.

أشار عليه بعض أصدقائه من الاتحاديين؛ بأن وجوده في الآستانة أثناء الحرب قد يجعله عرضة لبعض الاضطهاد، فقال: إنه يود القيام بافتتاح المعهد الفرعي الذي أنشأته الحكومة في قسطموني بوسط الأناضول، فصدر الأمر بنقله حيث بقي هناك ثلاث سنوات استقال عقبها وعاد إلى الآستانة.

واستمر في ذلك حتى انتخب عضواً في مجلس وكالة الدرس نائباً عن معهد التخصص، وبعد ذلك عين وكيلاً للدرس ورئيساً للمجلس المذكور، إلى أن عُزل، واستمر بعد عزله عضواً بمجلس وكالة الدرس، إلى أن غادر الآستانة قاصداً مصر على الباخرة العباسية من بواخر شركة البوستة الخديوية، فوصل الإسكندرية يوم الأحد ١٣ من ربيع الآخر سنة ١٣٤١ الموافق ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٢م، ونزل بالقباري أياماً، ثم سافر إلى القاهرة، ونزل بفندق دار السلام بالحي الحسيني أياماً، ثم انتقل إلى شبرا، وسكن منزلاً بجوار قسم شبرا أشهراً، ثم سكن بمصر الجديدة لمدة أشهر أيضاً، ثم عاد إلى الإسكندرية، ومنها رحل رحلته الأولى إلى الشام قبل انقضاء عام على يوم وصوله من الآستانة، فسافر بالبحر من الإسكندرية إلى بيروت، ومنها بسكة الحديد إلى دمشق، حيث مكث بها ما يزيد على سنة، ثم عاد بالسكة الحديدية إلى مصر عن طريق فلسطين والقنطرة، فنزل بحلوان، ثم تحول إلى مدرسة محمد بك أبي الذهب المتوفى سنة ١١٨٩، وهي المعروفة بين العامة باسم تكية الأتراك، وتقع شمال جامع أبي

الذهب الكائن في شمال الجامع الأزهر، والمطل على ميدان الأزهر.

ثم رحل الرحلة الثانية إلى الشام سنة ١٣٤٧ عن طريق فلسطين بسكة الحديد، وأقام بدمشق حوالي سنة، وعاد بنفس الطريق إلى مصر سنة ١٣٤٨، فنزل بفندق الكلوب المصري بالحي الحسيني، فلما التحق بدار المحفوظات المصرية لتعريب الوثائق التركية بعد اختباره، نقل سكنه إلى القلعة ليكون قريباً من عمله، ثم انتقل بعائلته إلى شبرا، فحلوان، فشارع حسن الأكبر، فشارع النزهة بالسكاكيني، فشارع سوق العباسية بالمنزل رقم ١٧، فآخر شارع العباسية بالمنزل رقم ١٣٠، ثم انتقل إلى رقم ٦٠ من شارع العباسية سنة ١٣٥٧، وفي أوائل سنة ١٣٥٨ انتقل إلى المنزل رقم ٦٣ من شارع العباسية، حيث بقي به عشر سنوات، وفي أواسط سنة ١٣٦٨ انتقل إلى المنزل رقم ٣ حارة الروم المتفرعة من شارع الملك، وانتقل منه بعد أشهر يوم الاثنين ٢٠ من شوال سنة ١٣٦٨ إلى المنزل رقم ١٠٤ بشارع العباسية على يسار السالك من مصر إلى مصر الجديدة بجوار قسم الوايلي، وبه توفي ظهر يوم الأحد تاسع عشر ذي القعدة سنة ١٣٧١، عن ٧٥ سنة.

مؤلفاته:[١]

١- النكت الطريفة في التحدث عن ردود ابن أبي شيبة على أبي حنيفة.

٢- إحقاق الحق بإبطال الباطل في مغيث الخلق ومعه أقوم المسالك في أخذ مالك عن أبي حنيفة وأخذ أبي حنيفة عن مالك.

٣- تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب.

٤- الترحيب بنقد التأنيب.

٥- من عبر التاريخ.

٦- الإشفاق على أحكام الطلاق.

٧- التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز.

٨- محق التقول في مسألة التوسل.

٩- نبراس المهتدي في اجتلاء أنباء العارف دمرداش المحمدي.

١٠-نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة.

١١-صفعات البرهان على صفحات العدوان.

---

(١) الأخبار التاريخية..، (ص١٣١-١٣٢).

١٢-رفع الاشتباه عن حكم كشف الرأس ولبس النعال في الصلاة.

١٣-إرغام المريد في شرح النظم العتيد لتوسل المريد.

١٤-تعطير الأنفاس بذكر سند ابن أركماس.

١٥-حنين المتفجع وأنين المتوجع.

١٦-الفوائد الوافية في علمي العروض والقافية.

١٧-الإفصاح عن الإكراه في الطلاق والنكاح.

١٨-الاستبصار في التحدث عن الجبر والاختيار.

١٩-لمحات النظر في سيرة الإمام زفر.

٢٠-حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي.

٢١-بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني.

٢٢-الإمتاع في سيرة الإمامين الحسن بن زياد وصاحبه محمد بن شجاع.

٢٣-الحاوي في سيرة الإمام أبي جعفر الطحاوي.

وكتب أخرى قدم لها وعلق عليها، وكتب أخرى قدم لها وكتب عن وصفها.

أما عن مقالاته، فقال أحمد خيري:

«للمترجَم مقالات كثيرة في فنون متشعبة، وفي كل مقالة منها من الدروس

ما يفيد جماعة، وقد كان ينشر في معظم المجلات التي تتمشى مع نواحي مقالاته، على أنه اختص مجلة الإسلام، ثم الشرق العربي بمعظم ما نشر، وقد حرص بعض تلاميذه على جمع مقالاته ونشرها في مجلد مستقل».[1]

---

(١) الكوثري، (ص ٤٧-٤٨).(بتصرف).

عقيدة الكوثري

قام الأستاذ الفاضل علي الفهيد ـ وفقه الله ـ بتقديم رسالة جامعية نافعة عن عقيدة الكوثري، بعنوان: «زاهد الكوثري وآراؤه الاعتقادية: عرض ونقد»، أنتقي منها ما يلي:

قال الأستاذ ـ حفظه الله ـ: «تبرز أهمية دراسة الموضوع «آراء الكوثري الاعتقادية» فيما يأتي:

١ – أن الكوثري رد وطعن على كثير من أئمة السلف قديماً وحديثاً، فمنهم من طعن ورد عليه، ومنهم من طعن عليه وغمزه، وإنما فعل ذلك لأجل إثباتهم صفات الله وفق معتقد السلف.

فقد رد على ابن خزيمة، وعلى سفيان الثوري، والأوزاعي «تأنيب الخطيب ٧٢»، وعلى الحافظ صالح التميمي المشهور بصالح جزرة «التأنيب ١١٤-١٨٧»، وعلى عبدالله بن أحمد، وعلى الإمام ابن أبي حاتم، فقد رد عليه مطولاً «التأنيب ١١٤-١١٦» متهماً إياه بالجهل بالتوحيد، وسوء المعتقد، والتشبيه... الخ.

وعلى الإمام عبيدالله العكبري (ابن بطة) «التأنيب ١٤٨»،وعلى عثمان الدارمي «التأنيب ١٦»، وعلى مجاهد بن جبر «تبيين كذب المفتري ١٤»، وعلى ابن المديني، والدارقطني، وأبي حاتم بن حبان «التأنيب ٩٠»، ونعيم بن حماد، طعن في معتقده.

وأما طعونه في شيخ الإسلام، وتلميذه ابن القيم، فشيء كثير متفرق في رسائله وتعليقاته.

كل هؤلاء وغيرهم طعن الكوثري في معتقدهم، ونسبهم في كثير من كلامه إلى التجسيم والتشبيه تارة، وإلى الجهل والغباوة تارة أخرى.

هذا من جانب، أما من جانب آخر فإنه يقف موقفاً غريباً تجاه كبار المبتدعة ـ فربما يدافع عنهم أو يبرر حالهم ـ، يقول عن جهم بن صفوان: وتنسب لجهم آراء، وليس له فرقة تنتمي إليه بعده، ونسبة غالب ما نسب إليه من قبيل النبز بالألقاب تهويلاً لسوء سمعة الرجل بين الفرق «تبيين كذب المفتري ١٢»، ومثله التشكيك في قتل الجعد بن درهم، والطعن في الذي قتله، وإنكار هذه القتلة، ومثله مع بشر المريسي، وأما ابن عربي وابن الفارض فهو لا يتعرض لهم بنقد ولا طعن.

٢- تعليق الكوثري على كثير من الكتب الأمهات، التي يحرص طابعوها على إثبات حواشيه، هذا مع تكرار طباعتها كلما نفدت، ومن أهمها:

١- مقدمته وتعليقه على كتاب «تبيين كذب المفتري» لأبي القاسم بن عساكر، وهذا مثال لبعض ما اشتملت مقدمته:

أ- حاول إرجاع معتقد من أثبت الصفات من السلف إلى جهل رواة الحديث وبساطتهم بسبب الأعراب وغيرهم، فنقلوا أساطير اليهود والنصارى

والمجوس، وربما رفعوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فوجد التشبيه وشاع (ص١٠، ١٣).

ب- تبريره حال معبد الجهني في بدعته والاعتذار له (ص١١).

ج- نفي وجود من يعتقد معتقد الجهمية (ص١١).

د- وصفه لعصر المتوكل بأنه ظهور للحشوية، وسبهم ودعا عليهم.

هـ- قال: «ففي مثل هذه الظروف الحرجة، غار الإمام أبوالحسن الأشعري ـ رضي الله عنه ـ على المسلمين من ضروب النكال، وقام لنصرة السنة، وقمع البدعة، فسعى أولاً للإصلاح بين الفريقين من الأمة بإرجاعها عن تطرفها إلى الوسط العدل... (ص١٥)، ويعني بالفريقين: المعتزلة، ومن يسميهم الحشوية».

و- نسب بدعة التشبيه إلى المقادسة (آل قدامة) الحنبليين، وأنهم ورثوها من ابن كرام.

ز- قسم الأمة كما يأتي: المالكية كلهم أشاعرة، والشافعية ثلاثة أرباعهم أشاعرة، وربع معتزلة، والحنفية ثلثهم أشاعرة، وثلثهم ماتريدية، وأما الحنابلة فقسم أشاعرة وبعضهم مفوضة، وأما غالبهم فحشوية على طريقة السالمية والكرامية، لكنهم اتصلوا بعلماء المسلمين حتى كادت أن تزول حشويتهم لولا جالية حران بعد نكبة بغداد، حطوا رحلهم بالشام، ونبغ من بينهم رجل؛ فإذا هو

يجري على خطة مدبرة في إحلال المذهب الحشوي تحت ستار مذهب السلف، وحل مذهب أهل السنة (ص١٧) وهو يشير بذلك إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ.

هذه بعض ما اشتملت عليه ثمان صفحات ـ فقط ـ من مقدمته لهذا الكتاب من أفكار وآراء، هي ما زالت مبثوثة بين أهل العلم.

٣- أن حواشيه وتعليقاته ليست فقط على كتب الحديث والتاريخ، بل منها على كتب العقيدة، وأشد من هذا إذا كانت على كتب لها نوع اعتبار عند علماء السلف مثل:

أ- تعليقه على كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي، وإن كان البيهقي ـ رحمه الله ـ من الأشاعرة، لكنه كما هو معروف من متقدميهم الذي يثبتون ما زاد على السبع، وهذا الكتاب مطبوع متداول بتعليقه بين العلماء والباحثين وغيرهم، وقد قام الكوثري بالتعليق عليه خلاف مقصد البيهقي، مما أفسد أهميته، ولا ننس أنه ـ أي البيهقي ـ في هذا الكتاب يروي بالسند فهو مصدر في بابه.

ب- تعليقه على كتاب «التنبيه والرد» للملطي، وهو كتاب سلفي قديم غني عن التعريف.

ج- تعليقه على كتاب «الفَرق بين الفرق» للبغدادي.

ومما لا يدخل ضمن هذه الكتب ولكن له أثره:

أ- كتاب «دفع شبه التشبيه» لابن الجوزي، وكم فيه من التشنيع والطعن والمغالطات، وهو كتاب مطبوع بتعليقه، آخر طبعة كانت سنة ١٩٩٨م.

ب- تعليقه على كتاب «العقيدة النظامية» لأبي المعالي الجويني.

ج- تعليقه على كتاب «الإنصاف في ما يجب اعتقاده...» للباقلاني.

د- تعليقه على كتاب «الانتصار والترجيح» لابن الجوزي السبط.

كل هذه الكتب وأمثالها مما له علاقة بمسائل الاعتقاد، علق عليها ووضع ضوابط وقواعد أكثرها خلاف الصحيح، تحتاج إلى نقد ودراسة.

٤- أن الكوثري ينسب بعض الأمور الاعتقادية إلى السلف، وهي ليست من معتقدهم، ويُنزل معتقد المتكلمين من أشاعرة أو ماتريدية على معتقد السلف، ويستدل ببعض ما نقل عن السلف على ضوء منهج المتكلمين، فهو يقرر معتقد الأشاعرة أو الماتريدية، وربما الجهمية، مثل تأويل أو تفويض الاستواء والنزول، على أن هذا هو معتقد أئمة السلف؛ كمالك وأحمد والشافعي وأبي حنيفة والأوزاعي، وغيرهم.

وهذا مثال لما سبق:

قال: «ولما سئل الإمام أحمد عن أحاديث النزول والرؤية ووضع القدم ونحوها قال: نؤمن بها ونصدق بها، لا كيف ولا معنى. وقال أيضاً يوم سألوه عن الاستواء:

استوى على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف. على ما ذكره الخلال في السنة إلى حنبل عن ابن عمه الإمام أحمد. وهذا تفويض وتنزيه كما هو مذهب السلف». ا.هـ،وهذا فيه نسبة للسلف ما ليس من معتقدهم.

وقال: «وربما أولها في بعض المواضع؛ كما حكى حنبل أيضاً عن الإمام أحمد أنه سمعه يقول: احتجوا عليّ يوم المناظرة، فقالوا: تجيء يوم القيامة سورة البقرة، وتجيء سورة تبارك... وهذا تأويل وتنزيه كما هو مذهب الخلف، أما ما ينقل عن الإمام أحمد مما يخالف ما تقدم؛ فهو تخرص صديق جاهل، وسوء فهم لمذهب هذا الإمام» (دفع شبه التشبيه ٨).

وهذا تنزيل لمذهب المتكلمين على مذهب السلف.[1]

٥- تأثر بعض أهل عصره ومن بعدهم، بكتبه وأقواله وهذا الأمر باق إلى اليوم، فكثير منهم تلقوا آراءه، وتقريراته، وضمنوها كتبهم، فمنهم من صرح بالنقل منه والتأثر به، ومنهم من لم يصرح، وإن كان نقل عنه.

---

(١) ولبيان أكاذيب الكوثري وغيره من أهل البدع على الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ في مسائل العقيدة؛ ينظر كتاب: «الملتقط في دفع ما ذُكر عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ من الكذب والغلط» للأخوين: علي أبو الحسن، وعمر الأحمد. ورسالة: «براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة» للدكتور عبدالعزيز الحميدي. (س).

وهذا يستدعي بيان حاله على النهج العلمي، وفق معتقد السلف الصالح، ومما يوضح ما أقول ما يأتي:

١- ثناؤهم عليه، وتقريظهم كتبه؛ «كثناء محمد أبي زهرة ـ انظر مقدمة المقالات ١٤-٢١»، وتضمين شبير أحمد كتاب الكوثري «الإشفاق» في كتابه «فتح الملهم في شرح مسلم»، وشبير أحمد له تفسير للقرآن الكريم باللغة الأردو، وهو من علماء الأحناف.

٢- إعادة طباعة كتبه كلما نفدت، والحرص على طباعة الكتب بتعليقاته دون غيرها، فقد جاء في مقدمة أحد الكتب التي نشرت له: «أما بعد فهذا كتاب لابن الجوزي حجبه عنا هذه البرهة ـ بل عن كثير من المتخصصين في معرفة المؤلفات العربية ـ فئة أشياع الذين رد عليهم المصنف، عملتْ على محو اسمه ورسمه قد حملني على طبعه انتشار كتب التشبيه ـ مخطوطاتها ومطبوعاتها ـ في الناس، واشتغال بعض المؤلفين بالدعوة إلى التشبيه حتى اليوم، والحرص على نشر تصانيف ابن الجوزي النافعة وكتب الردود الماتعة.

وقد علق عليه الأستاذ الشيخ محمد زاهد الكوثري ـ نزيل القاهرة ـ أدام الله النفع به»، «دفع شبه التشبيه، لابن الجوزي ٣».

٣- ترديد بعض الناس مقولات هي من آراء الكوثري، مثل قول:

«اللامذهبية قنطرة اللادينية»، قالها الشيخ البوطي، وغيره، يقول أحدهم:

«وهو قول لو تدبره المنصف لوجده من جوامع الكلم».[١] «مقالات الكوثري، جمع أحمد خيري ٨٤».

وهذه المقولة عنوان لأحد مقالاته «المقالات ٢١٩»، ألفها للرد على العلماء المجتهدين، الذين يرون جواز الاجتهاد لمن عنده الأهلية لذلك.

٤- تعليقات السقاف المبتدع على كتاب ابن الجوزي «دفع شبه التشبيه»، هو كلام الكوثري حذو القذة بالقذة إلا قليلاً.[٢]

٥- أن أهل السنة، كما أنهم يبرزون معتقد السلف ـ رحمهم الله ـ ويحرصون على نشره، وإظهار أئمته، وبيان جهودهم في هذا، فكذلك من منهجهم الرد على من تهجم على السلف ومعتقداتهم بإبراز حقيقة حاله، والحكم عليه وعلى أقواله بالقسط، ببيان ما له وما عليه، ولا يمتنعون عن سلوك هذه الطريق إلا لأحد أمرين:

الأول: إما أن يكون المخالف لمعتقد السلف نكرة مغموراً، لا ظهور له ولا بروز.

الثاني: وإما أن يُخشى من الرد عليه إحياء بدعه التي ماتت بموته، وإثارة مسائل لا يحسن التعرض لها.

---

(١) وللرد على هذه المقولة؛ تنظر رسالة: «بدعة التعصب المذهبي» للشيخ محمد عيد عباسي.(س).

(٢) وقد رد عليه الشيخ سليمان العلوان بكتابه: «إتحاف أهل الفضل والإنصاف بنقض كتاب ابن الجوزي دفع شبه التشبيه وتعليقات السقاف». طُبع منه جزء.(س).

والكوثري لم تكن حاله كذلك، فهو أولاً ليس مغموراً، وهو ثانياً قد أثار مسائل ما زالت موجودة ظاهرة، يستدل بها مبتدعة هذا العصر في الرد على أئمة السلف، والطعن عليهم، خاصة ما يتعلق بشيخ الإسلام وابن القيم، وغيرهما.

يقول الشيخ المعلمي: لو كان هذا الطعن من رجل مغمور أو غير مشهور بالعلم أو غير متبوع، لهان الخطب، ولكنه من رجل مشهور ينعته أصحابه بأمثال ما كتب على لوح كتابه «تأنيب الخطيب»، الذي طبع تحت إشرافه بتصحيحه: «تأليف الإمام الفقيه، التنكيل ١٨٢».

فالذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن تناوله بدراسة علمية، ليس فيه إثارة مسائل ميتة، بل هي حية موجودة، وليس في ذلك إبراز له، فهو مشهور معروف عند الكثيرين، والله أعلم».[1]

ثم قال الأستاذ الفهيد في خاتمة رسالته ـ ملخصاً عقيدة الكوثري ـ:

«بعد هذه الجولة العلمية في آراء الكوثري أختتم حديثي بأهم نتائج البحث، وبعض التوصيات.

---

(١) «زاهد الكوثري وآراؤه الاعتقادية...»؛ ص ١٠-١٦.

أولاً: أهم نتائج البحث:

١ - نلحظ أن الكوثري لم يخرج عند تلقيه العلم عن دائرة الأحناف الماتريدية في الأصول وفي الفروع، لذا كان شديد التعصب لنصرة معتقد الماتريدية، متهجماً على خصومهم.

٢- سار الكوثري في معرفة الله وفق رأي المتكلمين الذين يرون أنه أول واجب، وعلى طريقتهم في تقريرها.

٣- وافق الكوثري السلف في القدر عموماً.

٤ - أن الكوثري لا يرى أن أفعال الله معللة، موافقة لرأي الفلاسفة.

٥- وافق الكوثري السلف الصالح في مسألة خلق فعل العبد، مع ميل لرأي المعتزلة بسبب قوله بالإرادة الجزئية.

٦- لا يرى الكوثري فرقاً بين توحيد العبادة وبين توحيد الربوبية، لذا قرر أن الواجب على المكلف الإقرار بالصانع.

٧- أن الكوثري يرى جواز الاستغاثة بالأموات ما دام المستغيث مقراً بقدرة الله النفاذة.

٨- أن الكوثري يرى جواز البناء على القبور والصلاة عندها.

٩- أن الكوثري يقرر نفي حقيقة الاستواء لله، ويمنع إثبات أيٍّ من معانيه التي أثبتها السلف.

١٠ - أثبتُّ تناقض الكوثري في أكثر من موضع؛ خاصة في قواعده المضطربة، مثل نفيه للآحاد عند رده على من استدل به في إثبات الاستواء والعلو، ثم احتجاجه بالآحاد للرد على من نفى نزول عيسى ابن مريم، ومثل نفي اللوازم الباطلة عند إثبات الرؤية، ثم إثبات مثل هذه اللوازم عند نفيه للنزول والاستواء.

١١- أن الكوثري لا يرى وصف الله بما وصف نفسه، وبما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصفات الخبرية.

١٢- قررتُ نفي الكوثري لعلو الله، وأسندتُ أقواله وردوده وتشنيعه على أئمة السلف من ذلك.

١٣- قررتُ نفي الكوثري لصفة كلام الله، وبينت موافقته للجهمية المعطلة، ورأيه أن هذا القرآن المنظوم الذي بين الدفتين مخلوق؛ لأنه عبارة عن كلام الله.

ثانيا: أهم التوصيات:

تخلص هذه الدراسة ببعض التوصيات:

١- تبين لنا أن الكوثري علق على كثير من كتب السلف، وبعض من كتب المثبتة للصفات، كتعليقه على كتاب الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة، وكتاب دفع شبه التشبيه لابن الجوزي، وكتاب العقيدة النظامية للجويني، وكتاب الأسماء والصفات للبيهقي، فخالف مراد هؤلاء المصنفين؛ فنفى ما أثبتوه، لذا أوصي أن تعاد طباعة هذه الأصول مع الإشارة إلى تلك التعليقات والرد عليها.[١]

٢- للكوثري تهجم على أئمة السلف، ونبزهم بشنيع الألقاب، وربما كفر

---

(١) وقد أعاد الشيخ عمر محمود أبو عمر طباعة «الاختلاف في اللفظ»لابن قتيبة، وعلق الشيخ سليمان العلوان على «دفع شبه التشبيه» كما سبق، وأعاد الشيخ عبدالله الحاشدي طباعة «الأسماء والصفات» للبيهقي، وتعقب تعليقات الكوثري ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ.(س).

بعضهم، لذا أوصي أن يتناول أحد طلبة العلم هذا الجانب فيجمعه، ثم يقوم بالذب عن هؤلاء الأئمة الأعلام، ويرد الشبه التي أثارها حولهم.

٣- يتضح مدى تحمس الكوثري للدعوة إلى مذهب الماتريدية الذي يسميه مذهب أهل السنة، لذا لا بد من التنبه إلى هذا الأمر عند النقل من كتبه.

٤- للكوثري يد طولى في علم الحديث النبوي، وقد استعان بهذا العلم في الاحتجاج لمذهبه، وطوَّعه لنقض معتقد خصومه المثبتة، فأتمنى أن يقوم بعض طلبة العلم المتخصصين في علم الحديث بتناول هذا الجانب لدى الكوثري، فقد وجدته كثيراً يصحح ما ضعفه الجمهور، ويضعف ما صححوه إذا خالف معتقده، وإن كان هذا الحديث الذي ضعفه في الصحيحين».[(١)]

وقال الدكتور محمد الخميِّس ـ وفقه الله ـ في خاتمة رسالته: «بيان مخالفة الكوثري لاعتقاد السلف»:[(٢)] «بعد عرض عقيدة الكوثري في التوحيد والإيمان وبيان موقفه من عقيدة السلف وأئمة السنة نخلص إلى النتائج التالية:

١- لم يسلك الكوثري في العقيدة مسلك الوحي، ولم ينهج نهجه؛ لأنه يتأول الآية على خلاف ظاهرها، والقول بالتأويل يعتبر محاولة لتكييف الصفة

---

(١) «زاهد الكوثري وآراؤه الاعتقادية...»، (ص٤٨٤-٤٨٥).

(٢) (ص٨٤-٩١).

على نحوٍ ما غير ظاهر، بينما كان منهج القرآن والسنة هو إثبات وجود الصفة كما وردت لا إثبات كيفيتها؛ لأن الكيف هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، فترك الوحي، واتباع الرأي، والتأويلات الفاسدة، عزل للكتاب والسنة كمصدرين للهداية في واقع الحياة، وليس بعد الهداية إلا الغواية، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[يونس: ٣٢].

٢- أن الكوثري لم يفهم من نصوص الصفات الشرعية إلا ما يليق بالمخلوقين، وهذا خلاف ما فطر الله عليه العباد من أنه ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فكما أن ذاته لا تشبه سائر الذوات، فكذلك صفاته لا تشبه سائر الصفات.

٣- أن اتهام الكوثري لأهل السنة بالتجسيم هو اتهام باطل، شنيع، ويلزم منه القول بأن الله تعالى أنزل لعباده نصوصاً في القرآن، يحرم الأخذ بظاهرها دون أن يرشدهم إلى تحريم ذلك، ودون أن يعرف رسوله والمؤمنين كيف يفسرون هذه النصوص، وكيف يفهمون معانيها الحقيقية، وذلك لأننا لا نجد في القرآن والسنة ما يحرم الأخذ بالظاهر، أو يوجب التأويل الكلامي.

وهذه اللوازم التي يدعونها لا تلزمنا نحن، وإنما تلزم من أخبرنا بهذه الأسماء والصفات، وهو الله ورسوله، فهل يجرأون على رمي الله ورسوله بما يرموننا به، سبحانك هذا بهتان عظيم!

٤- أن الغلو في الأشخاص أو في المذاهب يؤدي إلى التعصب والبعد عن الجادة الصحيحة والصراط المستقيم، والعصبية المذهبية ليست بمحمودة، بل هي مذمومة في الدين، والغلو في الأعمال من أكبر عوامل الابتداع في الدين.

٥- أن الكوثري رمى غيره - وهم براء - بالوثنية وبما هو فيه؛ فهو يدعو إلى الخرافات القبورية والبدع الشركية: كالاستعانة بالأموات في استنزال الخيرات واستدفاع الملمات، وأن تلك الأرواح لها آثار في أحوال هذا العالم، فهي المدبرات أمراً، وأن تلك النفوس لما فارقت أبدانها فقد زال الغطاء عنها وانكشف لها عالم الغيب، وما هذا إلا دعوة صريحة إلى الشرك والوثنية.

٦- أن دفاع الكوثري عن الإرجاء ودعوته إلى اعتقاده قول خطير، إذ إن الإرجاء من أخطر المذاهب؛ لأنه انحراف في الإيمان الذي تبنى عليه الشريعة بأقوالها وأفعالها.

وللأسف؛ كان لدعوة الكوثري وغيره للإرجاء أثر ملموس؛ فقد بدأت تتسرب هذه المعتقدات الإرجائية الفاسدة إلى بعض المجتمعات والتجمعات الإسلامية.

ولهذا ينادي بعض الخيرين الأفاضل بالسكوت عنها وعدم كشفها، للتفرغ للعدو المشترك الخارجي، بل وادعاء بعضهم أن عقائد المرجئة والجهمية انقرضت في هذا الزمان، وهذا خلاف الحقيقة ومجانب للصواب.

فلا بد من مقاومة هذه المعتقدات بكشفها للناس والتحذير منها، والرد على أهلها، والله المستعان.

٧- تطاول الكوثري على علماء الأمة وأئمة السنة بالإيذاء، وقد حرم الله سبحانه وتعالى أن يؤذي المؤمن أخاه المؤمن بسب أو شتم أو غيبة أو همز ولمز، فقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[الهمزة: ١] فتوعد الله الهماز الذي يعير الناس، ويطعن عليهم بالإشارة، وكذا اللماز الذي يعيبهم بقوله بالويل وهو واد في جهنم يسيل فيه صديد أهل النار وقيحهم، فمن آذى المؤمنين فقد أثم إثماً مبيناً.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨]، فالوعيد الشديد والإثم الأكيد في حق من يؤذي أحداً من المؤمنين عموماً بسب أو شتم ونحو ذلك، فكيف بأذية علماء الأمة وأئمة السنة، فالإثم أبلغ، والجرم أعظم.

٨- المقارنة بين الإمام أبي حنيفة والكوثري في التوحيد والإيمان أظهرت أنهما مختلفان في غالب مسائل الاعتقاد.

وفي الختام أقول: لقد آن الأوان أن ينبذ المسلمون علم الكلام وراء ظهورهم، فلم يتعبدهم الله به، ولم نره يوماً كان سبباً في هداية ضال أو تعليم جاهل، بل هو الجهل والضلال بعينه، وهو خلاف الطريق التي أرشدنا الله إليها

ورسوله، وطريقة مبتدعة لتعليم العقيدة، وكذلك طلب العقيدة على طريقة المتكلمين مشحون بالضلالات، ولم يتعبدنا رب العباد بمذهب النسفي أو الإيجي أو الآمدي أو الكوثري، بل بما ورد في الكتاب والسنة، آن الأوان لترجع العقيدة غضة طرية كسالف عهدها، حينئذٍ فقط تنصلح أحوال المسلمين، وما أجدرنا أن ندعو الله حينئذٍ فيستجيب لنا».

أقوال العلماء في الكوثري:

١- قال العلامة الشيخ عبدالرحمن المعلمي ـ رحمه الله ـ في مقدمة كتابه «التنكيل لما ورد في تأنيب الكوثري من الأباطيل»:

«الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

أما بعد: فإني وقفت على كتاب «تأنيب الخطيب» للأستاذ العلامة محمد زاهد الكوثري، الذي تعقب فيه ما ذكره الحافظ المحدث الخطيب البغدادي في ترجمة الإمام أبي حنيفة من «تاريخ بغداد» من الروايات عن الماضين في الغض من أبي حنيفة، فرأيت الأستاذ تعدى ما يوافقه عليه أهل العلم من توقير أبي حنيفة وحسن الذب عنه إلى ما لا يرضاه عالم متثبت من المغالطات المضادة للأمانة العلمية، ومن التخليط في القواعد، والطعن في أئمة السنة ونقلتها، حتى تناول بعض أفاضل الصحابة والتابعين والأئمة الثلاثة مالكاً والشافعي وأحمد وأضرابهم وكبار أئمة الحديث، وثقات نقلته، والرد لأحاديث صحيحة ثابتة، والعيب للعقيدة السلفية، فأساء في ذلك جداً حتى إلى الإمام أبي حنيفة نفسه، فإن من لا يزعم أنه لا يتأتى الدفاع عن أبي حنيفة إلا بمثل ذلك الصنيع فساء ما يثني عليه، فدعاني ذلك إلى

تعقب الأستاذ فيما تعدى فيه، فجمعت في ذلك كتاباً أسميته «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل»، ورتبته على أربعة أقسام:

القسم الأول: في تحرير القواعد التي خلط فيها.

الثاني: في تراجم الأئمة والرواة الذين طعن فيهم، وهم نحو ثلاثمائة فيهم أنس بن مالك رضي الله عنه، وهشام بن عروة بن الزبير بن العوام، والأئمة الثلاثة، وفيهم الخطيب، وأدرجت في ذلك تراجم أفراد مطعون فيهم حاول توثيقهم، ورتبت التراجم على الحروف المعجمة.

الثالث: في الفقهيات، وهي مسائل انتُقدت على أبي حنيفة وأصحابه، حاول الأستاذ الانتصار لمذهبه.

الرابع: في الاعتقاديات، ذكرت فيه الحجة الواضحة لصحة عقيدة أئمة الحديث إجمالاً. وعدة مسائل تعرض لها الأستاذ، ولم أقتصر على مقصود التعقب، بل حرصت على أن يكون الكتاب جامعاً لفوائد عزيزة في علوم السنة مما يعين على التبحر والتحقيق فيها.

وحرصت على توخي الحق والعدل، واجتناب ما كرهته للأستاذ، خلا أن إفراطه في إساءة القول في الأئمة جرأني على أن أصرح ببعض ما يقتضيه صنيعه».[1]

---

(١) «التنكيل..»، (١/ ١١-١٢).

٢- وقال الشيخ سليمان الصنيع ـ رحمه الله ـ بعد مجلس ضمه مع الكوثري: «الذي يظهر لي أن الرجل يرتجل الكذب».[١]

٣- وقال الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة ـ رحمه الله ـ في مقدمة رسالته: «المقابلة بين الهدى والضلال»: [٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

«ألا فليعلم الكوثري ـ إن كان يُحب أن يعلم ـ أن كتاب السنة للإمام أحمد، وكتاب الرد على المريسي للإمام عثمان بن سعيد الدارمي وأمثالها، كلها تدور على روايات وصف الله تعالى بها وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، وما جاء عن خيار الأمة وسلفها في ذلك، وإن شرق بما فيها الجهميون والمريسيون والجعديون، ومخانيث المتفلسفة، في كل زمان ومكان، وعصر ومصر، وعلى من لا يُصدق أن يأتينا بخبر في الكتابين لا يوجد في كتب الأئمة الأعلام حفاظ الإسلام، أصحاب الدواوين المشهورة: كمالك وأحمد والشافعي والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي، ومَنْ بعدهم؛ كابن جرير وابن أبي حاتم وابن خزيمة وأبي عوانة الأسفراييني والآجري والبيهقي، وابن عبدالبر، ومن لا يُعد ولا يُحصى من

(١) هامش «طليعة التنكيل»، ص ٢٥٧.

(٢) ص ٣٦-٣٧، بتحقيق الشيخ عبدالله المدني.

أئمة الإسلام وحفاظه؛ وعلى من تحشرجت نفسه وضاق صدره بـها في كتب هـؤلاء الأعلام من الإيمان بالله وصفاته، والهدى الذي جاء به الإسلام ودين النبيين جميعاً من وصف الله بالكمال وتنزيهه عن النقص والمحال، وأنها كلها تدور على رواية السنة التي تبين كتاب الله تعالى وتفسيره ـ أقول: من ضاق بذلك ذرعاً فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع، فلينظر هل يُذهبن كيده ما يغيظ، وليمت غيظاً، وليتفصد حَنَقاً على الحق وأهله».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «وأخيراً ـ وليس بآخر ـ نقول للكوثري: إنا آمنا بهذه النصوص على ظاهرها، مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات، وإن اقشعر منها جلد الجعديين والجهميين والمريسيين، ونوالي عليها ونعادي على إنكارها، ولنا في إبراهيم والذين آمنوا معه أحسن قدوة، وأزكى أسوة: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

ولا نهن، ولا نخاف، ولا يزعجنا تنبز الألقاب؛ كحشوية، أو مجسمة، أو اختراع مخترع لقصة البعوضة التي اخترعها الكوثري ليطفئ نور الله بفمه.

وإن شاء الكوثري أن نباهله أن ذلك هو الصراط المستقيم، والسبيل السوي، ودين الله الذي جاءت به رسله من أولهم إلى آخرهم، وأن طريقة الجعد بن درهم والجهم بن صفوان، وبشر المريسي الذي يتوجع له الكوثري ويغيظه طبع الرد عليه، هي طريقة النفاة المتفلسفة، وضعها لهم رأس الكفر فرعون لعنة الله عليه إلى يوم الدين، واتبعه عليها كل متفلسف متحذلق مجانب للهدي النبوي، إن شاء أن نباهله

على ذلك باهلناه، وإلا فليصحْ ما طاب له الصياح، وليرتزق بهذه الأوراق التي يُخرجها على الناس ما شاء الله له الارتزاق، وليموه ما شاء له التمويه؛ وليُدجل ما شاء له التدجيل، وإن أجاب إلى المباهلة فليذهب إلى ما شاء من مسجد أو مشهد أو قبر! وأنا سأقف أمام باب بيت الله الحرام، الكعبة المشرفة، وأدعو الله أن ينزل لعنته على كل كذاب مفتر، معادٍ لسبيل الهدى، مبغض لسلف الأمة وأئمتها، مفتر عليهم، مشوه للحق الذي جاءوا به، محرفٍ لنصوص الكتاب والسنة، صارف لها عن الهدى الذي جاءت به». [1]

٤- **نشر الشيخ محب الدين الخطيب - رحمه الله - مقالا في مجلته «الزهراء»[2] يُعرّف فيه بكتاب «ذيول تذكرة الحفاظ» قبل أن يَعرف حقيقة الكوثري، قائلا:**

«حركة النشر والتأليف: ذيول تذكرة الحفاظ – للذهبي:

أحسن صديقنا الفاضل السيد حسام الدين القدسي كل الإحسان فيما اختاره لنفسه من طريق إلى خدمة العلم بنشر كتبه الطيبة، ومن آخر ما وصل إلينا منها ثلاثة ذيول على طبقات الحفاظ للذهبي نشرها في كتاب واحد أولها في ٥٠

---

(١) المرجع السابق، ص٤٤-٤٦.

(٢) (ج ٥ م ٥).

صفحة للحافظ أبي المحاسن محمد بن علي الحسيني الدمشقي (٧١٥-٧٦٥هـ) وهو تلميذ الذهبي. ثانيها في ٢٨٠ صفحة للحافظ تقي الدين محمد بن فهد المكي (٧٨٧-٨٧١) واسمه لحظ الألحاظ. والثالث في ٤٠ صفحة للجلال السيوطي (٨٤٩- ٩١١). وفي أول المجموع كلمة للناشر وتراجم للمؤلفين الثلاثة. وفي آخره أربع فهارس: أحدها فهرس عام، الثاني فهرس الحفاظ المترجمين مرتباً على الحروف، الثالث فهرس الوفيات مرتباً على الحروف، الرابع فهرس أسماء الكتب. وقد طبع السيد حسام الدين هذه الذيول عن نسخة بخط أبي الفضل محمد جار الله بن عز الدين عبدالعزيز بن فهد المكي (٨٩١- ٩٥٤) وعارضها من الصفحة ١٦٠ بنسخة الخزانة التيمورية المزينة بتعليقات فضيلة الأستاذ العلامة مسند مصر السيد أحمد رافع الطهطاوي، ونقل هذه التعليقات في النسخة المطبوعة كما حلاها بتعليقات العالم الفاضل الشيخ محمد زاهد الكوثري. فجاء هذا المجموع من خير ما نشرته مطابعنا العربية عناية وإتقاناً».

ثم في العدد التالي من «الزهراء»[1] نشر هذا المقال:

«عدوان على علماء الإسلام يجب أن يكون له حد يقف عنده:

---

(١) (ج ٦ م ٥).

كتب إليّ مفخرة الحجاز ووجيهها السيد محمد نصيف يعاتبني على الكلمة التي كتبتها في جزء الزهراء الأخير تقريظاً لذيول تذكرة الحفاظ، ويلفت نظري إلى ما في تعليقات الكوثري عليها وعلى غيرها من سلاطة وطول لسان على علماء الحديث وأعلام الأمة وأئمة السلف. وضرب لي مثلاً بما كتبه (في ص ٢٦١) عن الحافظ الشرايحي الذي فاته في صغره أن يكون قارئاً كاتباً فلم يكن ذلك حائلاً بينه وبين أن يكون كما قال عنه الحافظ تقي الدين بن فهد «حافظاً لا يدانى في معرفة الأجزاء والعوالي، وآية في حفظ الرواة المتأخرين يذاكر فيهم مذاكرة دالة على حافظة باهرة مع حظ من معرفة الرجال المتقدمين وغريب الحديث. وكان اعتماده في ذلك على حفظه. وكان يستعين بمن يقرأ له، وهو بهذه المثابة أعجوبة زمانه في المحاضرة اللطيفة والنوادر الطريفة.. وكان تغمده الله برحمته فقيهاً فرضياً أوحد الحفاظ المفيدين».

هذا بعض ما قاله الحافظ ابن فهد في ذيل طبقات الحفاظ محاولاً تعريف ابن الشرايحي (٧٤٨-٨٢٠) الذي كان أعجوبة زمانه بما وهبه الله من علم في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي فقه الإمام محمد بن إدريس الشافعي وفي الفرائض والمواريث مع أنه كان أمياً.

والأمية كما يعلم القارئ غير العامية، فقد يكون الرجل أمياً ويكون مع ذلك من كبار أهل الإحصاء في علم أو أكثر، كالإمام الكبير أبي عيسى الترمذي

صاحب كتاب السنن -وهو أحد الكتب الستة التي أخذ منها المسلمون دينهم بعد كتاب الله- وكالعلامة العظيم ابن سيده صاحب المحكم والمخصص، ومنـزلتهما في اللغة لا تقل عن منـزلة سنن الترمذي في الحديث. فهؤلاء وأمثالهم كانوا أميين، ويسبُّ نفسه قبل أن يسبهم من يفسّر أميتهم بالعامية، كما فعل الكوثري في تعليقه على قول ابن فهد في الشرايحي (ص ٢٦١).

وظن الكوثري أن المجال اتسع أمامه للطعن بأئمة الحديث، فانتهز هذه الفرصة وقال في تعليقته: «ولأمثالهم (كثرة) بين الرواة على اختلاف القرون، بل (غالبهم) بمجرد تعلّمهم حروف التهجي في الكتاتيب ينصرفون إلى الرواية وإلى مجالس السماع من صغرهم قبل تحصيل مبادئ العلوم الضرورية، فيبقون من أبعد خلق الله عن النظر والتبصر... وإن كان بين هؤلاء من شُهر بالرواية لكن لم يزالوا على عاميتهم لبعدهم عن أهل العلم، وعدم ممارستهم النظر، وتعودهم أن يعيشوا أمة وحدهم مغترين بكثرة الملازمين لهم لتحمل ما عندهم من الروايات».

وبعد أن أرسل الكوثري هذه الشتائم إلى (الكثرة) من علماء الحديث بل (غالبهم) غير متقيد بأهل قرن من القرون؛ خطر على باله حينئذ خاطرٌ خبيث وهو أن يرمي تمرتين بحجر واحد، فيرد على الأستاذ - محمد عبده -كلمة له مشهورة في كتاب الإسلام والنصرانية وأن ينتقم لمن ذمّهم الشيخ محمد عبده ممن كان يجلهم -رحمه الله- ويحترم مقامهم.

رأى الكوثري أن الأستاذ الشيخ محمد عبده يقول في غلمان الترك الذين

استعجم الإسلام على أيديهم زمن الدولة العباسية: «جاءوا إلى الإسلام بخشونة الجهل يحملون ألوية الظلم، لبسوا الإسلام على أبدانهم ولم ينفذ منه شيء إلى وجدانهم، وكثير منهم كان يحمل آلهة معه يعبده في خلوته ويصلي مع الجماعات لتمكين سلطته، ثم عدا على الإسلام آخرون كالتتار وغيرهم، ومنهم من تولَّى أمره. أي عدو لهؤلاء أشد من العلم للذي يعرف الناس منـزلتهم ويكشف لهم قبح سيرهم».

رأى الكوثري أن الأستاذ يقول ذلك في أجناد الترك ومماليكهم زمن المعتصم ومن بعده، فأراد أن ينتقم لهم من المحدثين في الأقطار العربية فقال في هذه التعليقات الخبيثة ذاكراً (الكثرة) من أهل الحديث بل (غالبهم): «ولم يستأصل الإسلام من عقولهم بعدُ شأفة نحلهم التي كانوا عليها قبل الإسلام من يهودية بفلسطين، ونصرانية بالشام، ووثنية بالبادية، وصابئية بحران وواسط عبَدة الأجرام العلوية وغيرها من قدماء المشبهة، ظانين ما هم عليه هو الاعتقاد الصحيح!!».

هذا بعض ما يقوله الكوثري في (غالب) علماء الحديث، وقد وقف حياته على البحث عما يقوله الخصوم في خصومهم ليذيعه في هذه التعليقات فيهدم حرمة الأئمة من قلوب الأمة.

وقد بلغ به الأمر أن أقنع صديقنا الفاضل ناشر تعليقاته بأن في دار الكتب

الظاهرية كتاباً بخط شيخ الإسلام ابن تيمية قال فيه بالتجسيم. ودارُ الكتب الظاهرية كان أبي رحمه الله أمينها ونشأتُ منذ طفولتي بين جدرانها، وكان اثنان في دمشق يقرآن خط شيخ الإسلام ابن تيمية ؛ أحدهما كاتب هذه السطور والذي طُبع من كتبه نقلاً عن خطه كان منقولاً بقلمي، وأنا من أعرف الناس بكتب ابن تيمية المكتوبة بخطه. فقلت لصديقي: إن كان هذا موجوداً بخط ابن تيمية فأنا مستعد لأعلن على رؤوس الأشهاد انضمامي إلى رأي الكوثري في هذه المسألة. وأما إن عجزتم عن إظهار ذلك بخط شيخ الإسلام فيكفي أن تعلم أيها الصديق أنك قد خُدعت وأن هذه الفرية فرية شعوبي عدو لسلفنا، معتدٍ على علمائنا يقول بقاعدة «الغاية تبرر الواسطة».

ومن أمثلة بغضه للسلف أنه لما أراد أن يكتب ترجمة الإمام ابن قتيبة في ثلاثة سطور لم يجد ما يقوله فيه غير هذه الكلمات:

«هو صاحب التصانيف أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، أحد أئمة الأدب، إخباري قليل الرواية، قد يعتمد في التشبيه على ما يرويه من كتب أهل الكتاب، يُتهم بالنصب، كذَّبه الحاكم ووثَّقه غيره. مات عام ست وسبعين ومائتين».[1]

---

(١) من تعليقه على «دفع شبه التشبيه» لابن الجوزي، (ص٣١).

فانظر إلى هذه الصورة الكاذبة التي يصور الكوثري بها إماماً عظيماً كان خادماً للقرآن، مدافعاً عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم، وسيلقى الله عز وجل وفي يده كتاب من تصنيفه في الرد على المشبهة يكذب به هؤلاء المستجيزين سبه والافتراء عليه. وحسب ابن قتيبة قول الخطيب البغدادي فيه: «كان ثقة ديناً فاضلاً»،[١] وثناء العلماء عليه من أيامه إلى عهد الحافظ الذهبي القائل: «ما علمت أحداً اتهمه في نقله»،[٢] ثم إلى زمان الجلال السيوطي الذي كان ممن أحسن الثناء عليه.[٣] بل حسبُه أن أهل المغرب كانوا يقولون «من استجاز الوقيعة في ابن قتيبة يُتهم بالزندقة»، ويقولون: «كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير فيه».[٤]

إن ما يقوله الكوثري في علمائنا لو قال أقلَّ منه طه حسين وسلامة موسى لأقمنا القيامة عليهما، والمهمة التي انتدب لها الكماليون لا حاجة بها إلى من

---

(١) تاريخ بغداد، (١٠/ ١٧٠).

(٢) سير أعلام النبلاء، (١٣/ ٢٩٩).

(٣) في «بغيه الوعاة»، (٢/ ٦٣).

(٤) مجموع الفتاوى؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية، (١٧/ ٣٩١). وانظر للدفاع عن ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ: رسالة: «عقيدة الإمام ابن قتيبة»؛ للدكتور علي العلياني ـ وفقه الله ـ، (ص١٠٨-١٢٥)؛ فقد رد على الاتهامات التي رددها الكوثري في كتابه السابق. (س).

يُكملها في بلاد لا تزال تعرف للسلف أقدراهم وفضلهم ". انتهى مقال الأستاذ محب الدين الخطيب – رحمه الله –.

قلتُ:

أ- حاول الكوثري الهالك التشويش على محب الدين الخطيب في كتابه " صفعات البرهان[1]، دون جدوى.

ب- تعليقات الكوثري الجهمي على الكتاب السابق تحتاج إلى من يتعقبها ؛ لأن محب الدين الخطيب لم يذكر إلا بعضها، وهي مما يُكرره في جميع تعليقاته.

٥- قال الشيخ محمد خليل هراس فى شرحه للعقيدة الواسطية لابن تيمية – رحمهما الله–: «.. ولعل من المناسب أن ننقل إلى القارئ هنا ما كتبه حامل لواء التجهم والتعطيل فى هذا العصر، وهو المدعو بزاهد الكوثري، قال في حاشيته على كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ما نصه: قال الزمخشري ما معناه إن الله يأتي بعذاب في الغمام الذي يُنتظر منه الرحمة، فيكون مجيء العذاب من حيث تُنتظر الرحمة أفظع وأهول...وقال إمام الحرمين في معنى الباء كما سبق، وقال الفخر الرازي يأتيهم أمر الله...ا.هـ

فأنت ترى من نقل هذا الرجل عن أسلافه في التعطيل مدى اضطرابهم في

---

(١) حققه مؤخرًا: المبتدع المتلون: حسن السقاف ! (س).

التخريج والتأويل..على أن الآية صريحة في بابها..»، ثم شرع العلامة خليل هراس في الرد على تلك المقالات نقلاً وعقلاً.[(١)]

٦- وألف **الشيخ محمد بهجة البيطار** ـ رحمه الله ـ رسالة حافلة بعنوان «الكوثري وتعليقاته»[(٢)]، قال في خاتمتها: «وجملة القول: إن هذا الرجل لا يُعتد بعقله ولا بنقله، ولا بعلمه ولا بدينه».[(٣)]

٧- - للأستاذة الفاضلة أسماء بنت سالم باعفيف رسالة جامعية عن «جهود عباس العزاوي في دراسة تاريخ العقيدة والفرق المعاصرة في العراق»، أجادت فيها في إبراز سلفية العزاوي - رحمه الله -، ومجانبته للفرق المنحرفة وأهلها، إضافة إلى نقدهم نقدًا علميًا ؛ خاصة في كتابه المخطوط «تاريخ العقيدة الإسلامية في العراق». وكان ممن تعرض لهم في تعليقاته الموجزة: إمام الجهمية في هذا العصر: الكوثري ؛ حيث بين انحرافه وتحامله على عقيدة السلف وعلمائها، من خلال لفتات ينثرها في كتابه عندما يحين أوانها، ويُناسب رقمها، وقد أحببتُ أن أنقلها هنا - مستفيدًا من رسالة الأخت الفاضلة بتصرف يسير، مع توثيق النقول

(١) (ص٦٣-٦٤).

(٢) الطبعة الثانية، قدم لها وعلق عليها الشيخ محمد بن حمد الحمود ـ وفقه الله ـ. (س).

(٣) (ص٤٣).

من رسالته: تاريخ العقيدة -.

قالت - وفقها الله -:

«**المطلب الثاني**: موقف العزاوي من علماء الكلام المعاصرين له:

اهتم العزاوي ـ بصفته ـ سلفي المعتقد بالرد على كل من خالف عقيدة السلف ووصمها بأي وصمة من تحقير أو ازدراء أو شتم أو طعن في السلف بأي مطعن، وكان العـزاوي معاصراً لأحد مشايخ الدولة العثمانية، وهو الشيخ زاهد الكوثري، وهو معروف بتحامله على عقيدة السلف من خلال كتبه، ولذا اهتم العزاوي بالرد عليه في كتابه (تاريخ العقيدة)، وقد أشار العزاوي[1] إلى أن له تعليقاتٍ على مقالات الكوثري يرد فيها عليه.

ومما ذكره العزاوي في هذه المسودة (تاريخ العقيدة) عن تحامل الكوثري على السلف هو:

١ - تحامل الكوثري على كتاب «السنة» لعبدالله بن الإمام أحمد:

وصدق العزاوي في ذلك، فقد سمى الكوثري في (مقالاته)[2] كتاب

---

(١) (ص٢٥) من كتابه.

(٢) (ص٣٢٤).

(السنة) لعبد الله بن أحمد بـ «كتاب الزيغ والتشبيه والتجسيم» !! وعلق الكوثري على النصوص الواردة فيه بقوله:[(١)] «ولعل هذا القدر من النصوص التي سقناها من كتاب السنة يكفي لمعرفة ما وراء الأكمة، ولا أظن بمسلم نشأ نشأة إسلامية إلى أن يميل إلى تصديق مثل تلك الأساطير الوثنية»!!

وقد علق العزاوي على هذا التطاول قائلا:[(٢)] «وتوغلُ هذا الرجل في علم الكلام ساقه إلى الطعن به، وإذا كان بعض الأحاديث الواردة فيه تدعو للمناقشة والأخذ والرد، ففي البخاري ومسلم وغيرهما ما فيه قول من بعض الأحاديث».[(٣)]

---

(١) (ص٣٢٩-٣٣٠).

(٢) (ص١٦).

(٣) وللرد على طعونات الكوثري في كتاب السنة لعبدالله، ومعرفة قيمة الكتاب عند العلماء؛ تنظر مقدمة محققه الدكتور محمد بن سعيد القحطاني، (١/ ٥٥-٨٦)، و«التنكيل»، (١/ ٢٩٤).
وللرد عل من طعن في ثبوته وأسانيده؛ تُنظر دراسة بعنوان «كتاب السنة لعبدالله بن أحمد - دراسة توثيقية -»، للأستاذ صالح العقيل، منشورة في مجلة «عالم الكتب»، (المجلد٢١، العدد ٦). ودراسة أخرى للدكتور عبدالله بن صالح البراك، بعنوان «توثيق أسانيد كتب العقيدة الإسلامية إلى نهاية القرن الرابع الهجري»، (ص١٦٩-١٧٥)، قال في ختامها: «ومن شكك في نسبته، أو بدل اسمه بـ «الزيغ»؛ فلم يأتِ بحجة علمية ليُرد عليه. (مجلة الدرعية، العددان: ٣٩-٤٠). (س).

٢- طعن الكوثري في كتاب (التوحيد) للإمام ابن خزيمة:

ويقصد العزاوي بذلك ما وصف به الكوثري كتاب (التوحيد) لابن خزيمة بأنه كتاب الشرك، فقد كرر الكوثري هذه العبارة في عدة كتب، منها قوله عن كتاب التوحيد: «ولهذين الكتابين ثالث في مجلد ضخم يسميه مؤلفه ابن خزيمة كتاب التوحيد، وهو عند محققي أهل العلم كتاب الشرك، وذلك لما حواه من الآراء الوثنية»[(١)] !!، وقال في موضع آخر «كتاب التوحيد له ـ يعني ابن خزيمة ـ يعده الرازي كتاباً في الشرك»،[(٢)] وقال في موضع ثالث: «كان الواجب على مثله ألا يخوض في علم الكلام، فتزل له قدم، ومع هذا الجهل ألف كتاب التوحيد، فأساء إلى نفسه، ومن أهل العلم من قال عنه إنه كتاب الشرك».[(٣)] وقد علق العزاوي على هذا الكلام السيئ بقوله[(٤)]: «وإن الأستاذ الكوثري تحامل عليه، وباب النقد مفتوح، ولكن التحامل لا وجه له، وسماه (كتاب الشرك) بلا وجه حق، والكوثري أحد المتكلمين الذين أظهروا عداءهم لعقيدة السلف، وجاهر

---

(١) مقالات الكوثري، (ص٣٣٠).

(٢) حاشية «السيف الصقيل»، (ص١٢٤).

(٣) هامش (ص٢٥٨) من تعليقه على كتاب «الأسماء والصفات»؛ للبيهقي.
وانظر أيضاً: هامش (ص٢٨٧ و٣١٩ و٣٣٠).

(٤) (ص ١٨).

بذلك، في حين أن هذه العقيدة لم يُخالفها علماء الكلام ولا المعتزلة إلا في تأويل المراد، والتدليل على الغرض بأدلة علمية، إلا أننا نرى هذه الأدلة وقد برهن الزمن على بطلان فلسفتها، والأخذ بها، بحيث لا تصلح أن تكون فلسفة قطعية».

٣- تحامل الكوثري على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - وموقف العزاوي منها:

ولما كان الكوثري ممن أقذع في اتهام هذا الإمام المجدد ـ محمد بن عبد الوهاب ـ، بتسميته: (زعيم المشبهة)، (زعيم البادية)، واتهمه بالغلو والإسراف في سفك الدماء، ونهب الأموال، وإكفار الأمة المحمدية في جميع الأقطار، والحكم على أتباع أئمة الهدى بأنهم مشركون...الخ.[١]

فاعتبر العزاوي تهجم الكوثري على الشيخ ودعوته إنما كان بمناصرة السياسة، بالإضافة إلى مخالفته في المعتقد فقال[٢]: «ومن آخر من كتب في أيامنا الأستاذ الكوثري، كتب مقالات نُشرت بعد وفاته في مجموعة، وكان نشرها في الصحف، وفيها تحامل على الوهابية، كان يكتب بلسان السياسة العثمانية القديمة،

---

(١) مقالات الكوثري، (ص٣٧٤-٣٧٥).

(٢) (ص١٩٦).

وتتبعًا لآراء المتكلمين الذين لا يعرفون سوى الآراء الكلامية، ولم يقطعوا في صحة غيرها، فظن أن رده لا مثيل له في الطعن بعقيدة السلف، ولم يدر أنه بذلك قد طعن في صحيح العقيدة الإسلامية».

٤- تحامل الكوثري على العقيدة السلفية وموقف العزاوي منه:

ويقصد به العزاوي ما ينبز به الكوثري العقيدة السلفية من وصفها بأنها تجسيم، ووثنيّة.. إلخ اتهاماته، ولمزه لطائفة كبيرة من سلف الأمة بما أطلقه عليهم من أوصاف، وبما وجهه من مطاعن على كتبهم السلفية، فقال العزاوي[١]: «وتحامل الكوثري كان جرأة منه، ولو طالع أقوال إمام المتكلمين أبي الحسن الأشعري، فإنه قص عقيدة أهل السنة، وقال: (هذا ما نعتقده) ولكن الكوثري عدها مجسمة وثنية... تجاوز صريح، وتقول بما لا يقال، مع وجود آيات التنزيه، ولكن توغل في علم الكلام وظنه أدلة قطعية؛ فتجاوز الحد، بل خرج على طائفة كبيرة من المسلمين، هي سلف الأمة، ومن على عقيدتها من أهل القرآن وأهل الحديث، ومن يسمى من أهل الظاهر أو يُنبز بالوهابية فتكلم ما شاء».

قلتُ: قد أحسن العزاوي - رحمه الله - عندما قال في خاتمة رسالته[٢]-

---

(١) (ص ٢٥).

(٢) (ص ٢١٠).

متحدثًا عن عقيدة السلف -: «ومن ثمّ انبرى ابن تيمية للذب عن مذهب السلف، وعارضه آخرون، وحدث احتكاك كبير في العقائد في مختلف الأنحاء، ولا يزال مناصروه في كثرة، إلى أن ظهر محمد بن عبدالوهاب فأحياها، إلا أنها نُبزت بالوهابية».

٨- وقال مؤرخ الجزائر الشيخ مبارك الميلي - رحمه الله - ؛ تعليقاً على رسالة «الكوثري وتعليقاته» حين اطلع عليها[١]:

«الكوثري وتعليقاته: رسالة لطيفة تقع في عشرين صفحة مطبوعة طبعاً جيداً في ورق صقيل، محررة بقلم الأستاذ محمد نصيف السلفي الجماعة للكتب الواسع الاطلاع[٢]؛ كشف بها عن سوء عقيدة الشيخ زاهد الكوثري في أئمة السلف ورجال الحديث، حمله على تحريرها ما رآه من تحامل الكوثري على خيرة علماء الأمة الحاملين للعقيدة السلفية، وذلك في تعليقاته التي وضعها على عدة كتب نشرها الشيخ حسام الدين القدسي وعهد إليه بتصحيحها والتعليق عليها.

(١) في العدد ١٤٣ من جريدة (البصائر) الجزائرية (١٧ شوال ١٣٥٧ هـ/ ٩ ديسمبر ١٩٣٨ م، ص ٨). أفادني برأي الشيخ الميلي: أخي: فريد المرادي ـ وفقه الله ـ (س).

(٢) الرسالة من تأليف الشيخ محمد بهجة البيطار ـ رحمه الله ـ، وليست من تأليف الشيخ محمد نصيف ـ رحمه الله ـ، ولكنها طُبعت في المرة الأولى معزوة إلى قلم الشيخ نصيف؛ ثم عُدِّل هذا في الطبعات الأخرى. (س).

وقد كنت اقتنيتُ جملة من تلك الكتب من مكتبة الأستاذ القدسي، ورأيتُ تعليقات الكوثري عليها، فساءني منها مثل ما ساء الأستاذ محمد نصيف، وإن راقني منها متانة في الأسلوب وسعة في الاطلاع، مما يدل على عناية شديدة في البحث والتحرير معاً، لكنها عناية لالتقاط ما يوافق الهوى والإغراب على القارئ في المظان حتى يعسر الوقوف على تحريفه وتزويره.

ويومئذ هممت أن أكتب إلى الأستاذ القدسي برأيي في تعليقات الكوثري، ولكني رأيته - بعدُ - قد أدرك سوء قصده ووقف على ما أوجب له الإعلان بالبراءة منه [1]، وتسجيل خيانته في النقل، فكتب القدسي هذا المعنى في مقدمة

---

(١) نشرها في مقدمة طبعته لكتاب (الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء) للحافظ ابن عبدالبر - رحمه الله -، وهذا نصها:

«هذا وقد كان الشيخ محمد زاهد الكوثري يصحح الكتاب ويعلق عليه، ثم أوقفت ذلك في الصفحة ٨٨ ؛ لما اطلعتُ عليه من دَخلةٍ في علمه وعمله دفعتني إلى النظر في تعليقاته على النـزر من مطبوعاتي بغير العين التي كانت لا تأخذ منه إلا عالماً مخلصاً، فرأيته في بعضها باحثاً بمادة واسعة وتوجيه لم يُسبق إليه، وهو شطر السبب في إعجابي به بما تأتى إليه من عدم النفاذ إلى أغراضه، وفي بعضها يحاول الارتجال في التاريخ تعصباً واجتراءً، والباقي تعليق ككل تعليق، وكلام ككل كلام.

وخيفة أن أشاركه في الإثم إذا أنا سكتُ عن جهله بعد علمه ؛ سقتُ هذه الكلمة الموجزة معلناً براءتي مما كان من هذا القبيل.

وأنا ضارب له مثلاً ليقاس عليه ؛ فإنه قال في (ذيول الطبقات) ص ٣٠٠ عن الكلوتاتي:

=

«شهدوا له بأنه أكثر معاصريه سماعاً، ملأ البلاد المصرية رواية»، ويقول الأستاذ المحقق السيد أحمد رافع الطهطاوي: «وهذه الشهادة إنما نقلت عن الأمير تغري برمش، وفيها مجازفة، فكم من كتاب وجزء ومعجم ومشيخة قرأه أو سمعه الحافظ ابن حجر لعل الكلوتاتي ما رآه».

وقال الكوثري - أيضاً - في الذيول ص ١٣٧ وهو يدافع عن مُغلطاي في أمور إن لم يكن ثابتاً أكثرها فبعضها لا تتماسك في دفعه حجة: «وليس هذا الكلام مما يحط من مقدار من تكون إمامته وعلو شأنه كما أشرنا إليه، كما لم يحط من مقدار ابن الجزري كلام من تكلم فيه»، مع أنه قال في ترجمة ابن الجزري ص ٣٧٧: «لما طلب منه الأمير الكبير أيتمش رفع حساب أوقافه التي كان جعلها تحت نظره أيام قضائه بالشام هرب إلى الروم، ولم يكن في قضائه محمود السيرة كما ذكره السخاوي وغيره»، وسكت ! فلعله كان مبطلاً في النفاح عن مُغلطاي والوقيعة في الإمام ابن الجزري ؛ فتناقض.

وهو يشد من عصبيته في الأكثر لكل من يحسب أنه يتصل بدم جركسي، سواء أكان حنفياً أم غير حنفي، فيخلق لهم من المحاسن والدفاع ما لا يكون على تصديقه التاريخ، ويُعلن بمساوئ غيرهم، ولو قيلت للنيل منهم والوقيعة فيهم.

ولو أن ابن تيمية أو السيوطي أو غيرهما كان في محل مُغلطاي فيما قيل عنه لاستجمع ضروب القول ليثبت انتقاصه، ولو قالوا عن أحدهم ما قاله عن الكلوتاتي: «شهدوا له»؛ لسعى لنقده !

ولابد لي هنا من التصريح بما هو له مما لم يُعز إليه في موطنه، وإن كانت القرائن تنادي بأنه من قلمه ليس غير: مقدمة الاختلاف في اللفظ، ومقدمة وتعليقات بيان زغل العلم، وترجمة السبكي في الدرة المضيئة، وما يؤخذ به الخطيب البغدادي في ترجمته من التطفيل، ولا أعرض له

=

نشره لرسالة «القصد والأمم»، وبسطه في مقدمته لنشر كتاب «الانتقاء»، وكلاهما لابن عبد البر، فأخبرت الأستاذ القدسي بعزمي الأول، وشكرت نصحه وإخلاصه للعلم فيما كتب».

٩- وقال الشيخ عبدالعزيز الرشيد - رحمه الله -، في مجلته «الكويت»:[1]

«ذيول طبقات الحفاظ للذهبي:

ورد إلى إدارة «الكويت» ثلاث ذيول لطبقات الحفاظ للحافظ الذهبي مهداة من بعض الأفاضل إليها (الأول) ذيل تذكرة الحفاظ لتلميذه الحافظ أبي المحاسن الحسيني الدمشقي المتوفى ٧٦٥هـ و(الثاني) لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحافظ للحافظ أبي الفضل محمد بن محمد بن فهد المكي المتوفى ٨٧١ و(الثالث) ذيل طبقات الحفاظ للذهبي لجلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١.

وقد جمعت هذه الذيول الثلاثة في مجلد واحد وعليها كثير من التعليقات لمحمد زاهد الكوثري، وهي حواش دس فيها السم بالدسم، وابتعد عن الحقيقة

الآن كما عرض لهم، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ وهو زاهد بن حسن بن علي بن خضوع بن باي بن قانبت بن قنصو الجركسي الكوثري، نسبة لقرية الكوائرة بضفة نهر شبز ببلاد القوقاز، المولود عام ١٢٩٦ على ما يقول». انتهى كلام القدسي.

(١) (ص ٨٢٤-٨٢٨).

في غالبها بعد المشرق عن المغرب، تعليقات جعل همه الوحيد فيها الطعن البذيء بعلماء السلف الصالح عامة وبالحنابلة خاصة، ولاسيما شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته المحققين، فتراه لا يترك فرصة تمر به إلا وينتهزها في الحط من كرامتهم وتوهين أمرهم وتنفير الناس منهم، ولكن هيهات أن ينال منهم ما يتمناه أو يدرك ما يبتغيه.

وقد يغتفر لزاهد كل هذا الإغراق في التعصب لو كان استناده على حقائق راهنة فيما ينسبه إليهم لا مطعن فيها، ولكن العجب أن يحاول إثبات مثالب لهم بما هو في الحقيقة من مناقبهم، ويحاول أن يبرز لهم سيئات لا وجود لها إلا في مخيلته الفارغة، ويهون كل هذا أمام محاولته الخبيثة في إلصاق العيوب الفاضحة ببعض أكابر الصحابة رضي الله عنهم، وغمزهم في دينهم ؛ كعبدالله بن عباس رضي الله عنه حبر هذه الأمة وترجمان القرآن.

وإني إزاء هذه الفواقر القاصمة منه أكاد أجزم بأنه قنبلة إلحادية أرسلها دعاة الإلحاد بعد أن علموا أن القضاء على قواعد الدين المحكمة لا يمكن إلا على أيدي أهله المتلبسين ممن انتسب إليه ظاهراً وقد أضمر له السوء ؛ أمثال الكوثري، [١] لا

---

(١) هذه كلمة شديدة من الشيخ عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في حق الكوثري، حملته عليها شدة غيرته. (س).

على أيدي متجدديهم الطائشين الذين نبذوا الدين جهاراً، فلم تخف حقائقهم حتى على الغر البليد، أكاد أجزم بهذا بلا تردد ؛ لأن تهوين الطعن على أكابر الصحابة رضي الله عنهم والتشهير بأعلام الأمة المجددين بعدهم بمثل لهجة الكوثري الجافة لا يفهم منه حتى الجاهل إلا هذا، مهما أراد أن يحسن الظن به وينتحل له عذراً يبرر به تهجمه، زيادة على أن أثر هذا الطعن عند أعداء الإسلام أعظم من كل أثر، وفائدته لهم إذا صح أن يؤخذ حجة عليه أكبر من كل فائدة، ولا أحسب هذا الغر يجهل أن المبشرين قديماً عمدوا إلى هدم السنة النبوية التي هي قسيمة القرآن بالطعن في رواتها من الصحابة أمثال أبي هريرة وعبدالله بن عمر وغيرهما في اعتراض خبيث، وفق الله إلى أجابتهم عليه مجدد هذا العصر الأستاذ الكبير السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الغراء ؛ فألقمهم بتحقيقه فيه حجر السكوت، وبيض وجه الحق وأهله.

يقول الكوثري في تعريفه البارد بابن عباس رضي الله عنه وبشيخ الإسلام ابن تيمية تعليقاً على قول ابن فهد في ترجمة المنصفي الحنبلي إنه حصلت عليه محنة بسبب ما أفتى به في مسألة الطلاق ما يأتي ص ١٨٦ «من أن إرسال الطلقات الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة حشد ابن تيمية حول تأييد هذه الفتوى ما هو نموذج لتمويهه بها لا ينخدع به إلا ضعفاء النظر، وليس عنده لدى النقد ما يكون شبه دليل على مدعاه، وكاد وقوع الطلاق الثلاث أن يكون من مواطن الإجماع بين الصحابة، حتى عند ابن عباس على ما ثبت بطرق عنه. وأما ما يرويه مسلم

عنه فيما انفرد به عن البخاري من أن الثلاث كانت واحدة ففيه:

أولاً: أن لفظه محتمل، وعند الاحتمال يسقط الاستدلال.

وثانياً: أن ظاهره المفروض خلاف رواية جماعة من الأثبات عنه، فيكون من الشاذ المردود على تقرير تسليم أن فيه بعض دلالة.

وثالثاً: أنه خلاف مذهبه المتواتر عنه فيكون مردوداً أيضاً عند كثيرين، منهم أحمد كما بسط ابن رجب في شرحه علل الترمذي.

ورابعاً: أن طاووساً مع كونه من الملازمين لابن عباس روى ذلك بواسطة من غير لفظ يفيد السماع.

وخامساً: أن الواسطة أبو الصهباء وهو إن كان من موالي ابن عباس فمجهول، وإن كان من غيرهم في طبقته فضعيف.

وسادساً: إن في بعض طرقه خاطب أبو الصهباء ابن عباس بقوله: هات من هناتك، وجل مقدار ابن عباس أن لا يرد على هذا السائل قوله.

وسابعاً: أن ظاهره إقرار منه بأنه من هناته المردودة وقد شهر بين سلف العلماء وخلفهم حكم رخص ابن عباس إلخ كلام الكوثري.

وأنا لم أنقل هذه العبارة برمتها عن هذا الرجل إلا لبيان خبث ما يضمره لأكابر الصحابة رضي الله عنهم وأعلام هذه الأمة، وليقف الناس على تدليسه

الظاهر فيما ينقل ويقول، وعلى بعده عن التحقيق الذي رفع غيره إلى منصة الإعجاب، وليعرفوا قدره في كل ما يدعيه من إتقان واطلاع.

وستعمد (الكويت) إن شاء الله تعالى إلى إبراز مخازيه التي موهها على بعض أهل الفضل؛ فانخدعوا بها برهة من الزمن لسلامة نياتهم.

أما الآن فيطول بي البحث لو أردت مناقشته في كل عباراته التي يضرب بعضها رقاب بعض، وإنما الذي لابد من التنبيه عليه هو بيان تهجمه الثقيل على حبر هذه الأمة رضي الله عنه، وليس غرضي من مناقشته في هذه النقطة إلا الدفاع عن ترجمان القرآن لا تأييد مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية في الطلاق الثلاث، فإني مع إجلالي لقدره ووقوفي في وجه من يحاول النيل منه لا أوافقه عليها لأسباب، ليس منها الطعن في دينه كما يحاوله الكوثري بلا خجل ولا حياء، فابن تيمية مجتهد من أئمة الإسلام وللمجتهد منهم أجران وأجر في أحكامه؛ [1] كما قال صلى الله عليه وسلم: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد واخطأ فله أجر»،[2] ولا غمز ابن عباس بأمانته التي لم يخف الله بها الكوثري في تدنيس قلمه، والتي سيصبح بعدها مُثلة أمام الناس.

---

(١) هكذا في الأصل. (س).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

فأقول وبالله التوفيق: إذا كان مذهب ابن عباس المعروف عنه بالتواتر أن الطلاق الثلاث بلفظة واحدة تعتبر ثلاثاً، فما هو حينئذ المسوغ للنيل من شرفه بقول لم يقله، وما هو المبرر لأن يجعل هذا القول الضعيف عنه في عداد رخصه التي نهى العلماء عنها، وحذروا من العمل بها ؟ وهل يصح للعلماء المحققين أن يحذروا من قول مكذوب على صاحبه بحجة ما عرف عنه من تساهل ؟

وأيضاً: فكيف ساغ للكوثري أن يجعل أبا الصهباء واقفاً بين درجتي المجهول أو الضعيف ؟ وعلى أي استناد كان هذا التردد منه ؟ ومجرد كون الرجل مولى لا يلزم منه أن يكون مجهولاً أو ضعيفاً، فكم في الموالي من فاق الأسياد والأحرار.

على أنه من المستبعد جداً إذا كان أبو الصهباء من موالي ابن عباس أن يخاطبه بتلك العبارة الخشنة التي تستغرب ممن هو أحط من أبي الصهباء في علمه مع مثل ابن عباس في جلالته، وهل بلغ سقوط قدر حبر هذه الأمة إذ ذاك أن يغمز بمثل تلك المغامز الحادة حتى من مواليه.

ثم قد يكون أمر هذه (الهنات) سهلاً لو كانت من (هنات) ابن عباس نفسه ومن اختياراته وحده، فيقال حينئذ: اجتهد الرجل فاخطأ، ولكن ماذا يقول (زاهد) وحديث مسلم الذي أشار إليه هو أن أبا الصهباء قال لابن عباس رضي الله عنه: ألم تعلم أن الثلاث كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي

بكر الصديق رضي الله عنه وصدراً من خلافة عمر رضي الله عنه ترد إلى واحدة ؟ قال: نعم.[١]

ماذا يقول الكوثري وتصديق ابن عباس لقول أبي الصهباء هذا يعد كالاعتراف منه ؟ وحاشاه الافتراء على الله ورسوله، وعلى أبي بكر وصدر من خلافة عمر، ماذا يقول وقد طبل وزمر لإثبات لفظة (الهنات) في ذلك الأثر الذي يلزم منه إثباتها فيه، ومن إقرار ابن عباس لأبي الصهباء عليها أن يكون ما نسبه للرسول صلى الله عليه وسلم (هناةً) ؟ والكوثري يعلم ما تنطوي عليه هذه اللفظة من بشاعة وشناعة، وهل رجل بلغ به التساهل إلى هذا الحد حتى مع الرسول صلى الله عليه وسلم يكون أهلاً لأن يؤخذ عنه، وأهلاً للثقة التي فاز بها من أئمة الإسلام أمس واليوم؟!

وقد كان للكوثري مندوحة عن كل هذه التمحلات المفضوحة بأن يحكم على حديث ابن عباس بعدم الصحة لا غير، لو كان من سلامة النية وحسن القصد كما يدعي، ولكن ضغينته الكامنة على هذا الحبر وعلى حملة الشريعة الإسلامية زجت به إلى هذا المأزق الحرج.

أما تدليسه الذي أراد أن يخفيه فلم يستطع، فاقتصاره من حديث مسلم على

---

(١) أخرجه مسلم، (١٤٧٢).

ما تقدم، وحذفه منه باقيه الذي نبهنا عليه، وغرضه من هذا الاقتصار إيهام القارئ أن هذا رأي خاص لابن عباس لا قول للنبي صلى الله عليه وسلم جرى الناس عليه مدة حياته وحياة أبي بكر وصدرًا من خلافة عمر رضي الله عنهم ؛ ليسهل بهذا كله أمر المطاعن التي عمد إلى توجيهها للحبر من أنها من رخصه التي حذر العلماء منها، ومن هناته التي عرفت عنه في آرائه المتطرفة !

ألا فليعلم الكوثري أن دسائسه الخبيثة قد أصبحت معلومة عند كل أحد من طلاب الحق، وأن الغيورين من أبناء هذا العصر سيقعدون له كل مرصد، وسيكيلون له الجزاء الأوفى انتقاماً منه في تعرضه لمن برأهم الله مما قال، من أئمة الإسلام وحماته.

ثم يقال له أيضاً: إنك بتهجمك على شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته المحققين في مثل هذا اليوم الذي تبينتْ فيه حقائقهم الناصعة للصغير والكبير قد جئت متأخراً، وفي يوم لم يعد لإثارتك العواصف حولهم بالذي يجديك نفعاً وفائدة، فقد انتشرت مؤلفاتهم النفيسة التي علم كل منصف كان يعتقد فيهم السوء قبل أن يطلع عليها أنه على خطأ فيما قاله فيهم واعتقده، فتاب إلى الله وسأله العفو والصفح.

جئت (يا أستاذ) في وقت غير ملائم لنشر أضاليلك والاغترار بأباطيلك، وقد أصبح شيخ الإسلام فيه لا يُذكر إلا بكل تجلة واحترام، وكادت كلمة الكل

تتفق على أنه هو عالم الإسلام الفذ، وسيفه البتار الذي يقطع به عنق كل مبتدع ضال، وهذا قليل في حق رجل كانت مؤلفاته الغالية هي النبراس الذي سار على ضوئه معلمو هذا العصر في هدِّ كل بدعة ألصقت بالدين، وحل كل إشكال وُجه إليه وإلى تعاليمه المقدسة.

جئت بعد أن مضى أقرانك الذين ملأوا الدنيا صياحاً وتهويلاً ضده وتلامذته، فصادف صياحهم إذ ذاك قبولاً من قوم لا يعلمون، فعليك وقد جئت في هذا اليوم الذي أصبحتَ فيه فريداً وحيداً لا معين ولا نصير أن تندب حظك السيئ، وطالعك النحس الذي من جرائه ستقع في حيص بيص ولابد:

هذا جزاء امرئٍ أقرانه درجوا

من بعده فتمنى فسحة الأجلِ».

١٠ - **وقال سماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله -** في تقديمه لرسالة الشيخ بكر أبوزيد - رحمه الله - «براءة أهل السنة»:

«من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم صاحب الفضيلة العلامة الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد وكيل وزارة العدل. لازال مسدداً في أقواله وأعماله نائلاً من ربه نواله آمين.. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فقد اطلعت على الرسالة التي كتبتم بعنوان: (براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأُمة)، وفضحتم فيها المجرم الآثم محمد زاهد الكوثري بنقل ما كتبه من السَّبِّ والشَّتم والقذف لأهل العلم والإيمان واستطالته في أعراضهم

وانتقاده لكتبهم إلى آخر ما فاه به ذلك الأَفَّاك الأَثيم عليه من الله ما يستحق، كما أَوضحتم أَثابكم الله تعالى تعلُّق: تلميذه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة به وولاءه له وتبجحه باستطالة شيخه المذكور في أَعراض أَهل العلم والتُّقَى ومشاركته له في الهمز واللمز، وقد سبق أَن نصحناه بالتبرئ منه وإِعلان عدم موافقته له على ما صدر منه وأَلححنا عليه في ذلك، ولكنه أَصر على موالاته له هداه الله للرجوع إِلى الحق وكفى المسلمين شره وأَمثاله. وإِنا لنشكركم على ما كتبتم في هذا الموضوع ونسأَل الله أَن يجزيكم عن ذلك خير الجزاء وأَفضل المثوبة لتنبيه إِخوانكم إِلى المواضع التي زلت فيها قدم هذا المفتون -أَعني: محمد زاهد الكوثري-. كما نسأَله سبحانه أَن يجعلنا وإِياكم دعاة الهدى وأَنصار الحق إِنه خير مسئول وأَكرم مجيب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

١١- وألف **الشيخ العلّامة بكر أبوزيد** – رحمه الله – رسالته «براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة» لبيان حال الكوثري وتلميذه أبي غدة، أنتقي منها ما يأتي:

قال الشيخ بكر – رحمه الله -: «وهي: اجترار لأَنفاس (مجنون أَبي حنيفة)[1] في مشاربه من أَهواء طاغية في (الاعتقاد والتقليد الأَصم والسلوك)،

(١)لقبه بذلك: أبو الفيض أحمد بن الصديق الغماري كما في:«بدع التفاسير»: (ص١٨٠) لشقيقه عبد الله

=

ومن أَجلها: انقلب إِلى الدرك الأَسفل من حرفة: التكفير والقذف والتنقص لكل من يناهض هذه المشارب فقذف غيظاً ورجم غيباً: بَرَكَ الإسلام وأَئمته الأَعلام وطالت نباله بعض الصحابة - رضي الله عنهم- فطوَّح به نزق التمرد إِلى رميه أَنساً - رضي الله عنه - بما يعني «الهرم واختلال الضبط»[١]. وبالتالي رفض مروياته؟ ورحم الله أَبا حاتم الرازي إِذ قال: «علامة أَهل البدع الوقيعة في أَهل الأَثر». و «علامة المبتدع إِطراء المبتدعة»[٢]. ومن انساب قلمه في هذه المفازة المُضِلَّة غلبت شهوته وعاطفتُه: عِلْمَه وَرَوِيَّه؟.

ومنه: رميه ابن القيم - رحمه الله تعالى - بأَلفاظ متعفنةٍ يأْبى الطبع سماعها، حَشَرها في رسالة واحدة هي «تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم» الذي علقه على كتاب السبكي «السيف الصقيل في الرد على ابن زَفيل» في الرد على نونية ابن القيم المسماة: «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية». أَسوق هنا بعضها

الغماري. والجنون وراثة.

(١) كما في: «التأنيب»: (ص٨٠). وانظر نقضه في: «التنكيل»: (١ / ٢١٩) و«طليعته»: (ص٦٤) للمعلمي -رحمه الله تعالى-.

(٢) «شرح السنة» للبربهاري: (ص ٥٥ رقم ١٧٧).

مع ذكر صفحاتها. فقد رمى ابن القيم بـ: (الكفر): (ص٢٢-، ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٣٦، ٦٦، ١٧٠، ١٨٢). و(الزندقة): (ص١٨٢). و(أنه: ضال مضل): (ص٩، ١٠، ٢٢، ٢٣، ٣٧). (زائغ): (ص٩، ١٦، ١٧، ٢٢، ٢٨، ٣٥، ٣٧). (مبتدع): (ص ٨). (وقح): (ص٤٧، ١٦٨). (كذاب): (ص٤١، ٥٧، ١٦٨). (حشوي): (ص١٣، ١٤، ٣٩). (بليد): (ص ٦٦). (غبي): (ص١٠). (جاهل): (ص٢٥، ٦٠). (مهاتر): (ص٢٧). (خارجي): (ص٢٨). (تيس حمار): (ص٢٨، ٥٩). (ملعون): (ص٣٧). (لا يزيد عنه في الخروج على الإسلام والمسلمين لا الزنادقة ولا الملاحدة ولا الطاعنون في الشريعة: (ص٥٧). (من إخوانه اليهود والنصارى): (ص٣٩). (منحل من الدين والعقل): (ص٦٣). ولما قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في (الجهمية):

إن المعطـــل بالعـــداوة معلـــن والمـــشركون أخـــف في الكفـــران

قال السبكي في رده عليه: «ما لمن يعتقد في المسلمين هذا إلا السيف». قال معلقه في «تبديد الظلام المخَيِّم» مؤيداً كلام السبكي: «لأن ذلك - أي كلام ابن القيم - زندقة مكشوفة ومروق ظاهر وإصرار على اعتقاد الإيمان كفراً قبحه الله كيف يعتقد في المشركين أنهم أخف في الكفر من المؤمنين المنزهين -يعني بذلك المعطلة- والشيخ الإمام المصنف -رضي الله عنه- يعني بذلك السبكي- رجل معروف بالورع البالغ واللسان العفيف والقول النزيه لا تكاد تسمع منه في مصنفاته كلمة تشم منها رائحة الشدة، ولينظر القارئ حاله هذا مع قوله في ابن

القيم «ما له إلا السيف». إنه إن فكر في هذا قليلاً علم العلم القاطع أن هذا الناظم بلغ في كفره مبلغاً لا يجوز السكوت عليه ولا يحسن لمؤمن أن يغض عنه ولا أن يتساهل فيه» اهـ. ويقول ممتدحاً نفسه وكتابه هذا:[١] «وكتاباته - يعني نفسه - ولا سيما الرد على نونية ابن القيم دواء شافٍ للمرض بداء التجسيم والوثنية» اهـ».

وقال الشيخ بكر:

«وإن كنتَ لا تزال في ريب مما يَدْعُو إليه ونُحَذِّر منه؛ فإليك نماذج تعطيك برد اليقين في كشف الكمين:

١- عدوانه على شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-:

يقول في «المقالات»: (ص ٣٩٩): «وقد سئمت من تتبع مخازي هذا الرجل المسكين الذي ضاعت مواهبه في شتى البدع، وفي تكملتنا على «السيف الصقيل» ما يشفي غلة كل غليل وفي تعقب مخازي ابن تيمية وتلميذه ابن القيم» اهـ. ويقول في تقديمه لكتابَي سلامة القضاعي الشافعي المطبوع عام ١٣٦٦هـ. بمطبعة السعادة بمصر وهما: «البراهين الساطعة على رد بعض البدع الشائعة» و«براهين الكتاب والسنة القاطعة على وقوع الطلقات مجموعة منجزة أو معلقة»:

(١) «المقالات»: (ص٣٣٦).

«ويرى ابن تيمية فرقاً بين حياته – عليه السلام – وبين انتقاله إلى الرفيق الأعلى في جواز التوسل به – إلى أن قال: والذي أخذه الشيخ الحراني من اليهود لا ينحصر في هذا الفرق بل أخذ أيضاً القول بتجويز حلول الحوادث في الله سبحانه من كتاب: المعتبر لأبي البركات ابن ملكا فيلسوف اليهود المتمسلم...» اهـ. وفي «صفعات البرهان» له: (ص٢٩) قال فيه أيضاً وفي مؤلفاته: «... ومع ذلك فيها جميع ما سبق على ألوان من الخداع بل لا يقدر أن يتكلم قدر ورقة أو ورقتين في أي كتاب من كتبه دون أن يدس فيها شيئاً من بدعه وكل ميزته كونه سلس الكلام لا يستعصي عليه طريق في التمويه حتى لم أر أجرأ منه على البدع وأكثر منه تناقضاً ممن يذكر بعلم. ويعجب الإنسان من تصرفه في أقوال العلماء وروايته لها بألفاظ تدل على معانٍ تبعد كل البعد عن معاني ألفاظهم وهذا مما جربته عليه في مواضع لا تعد. وأما في تراجم الرجال فيجعل الكبير صغيراً والصغير كبيراً إذا أعوزه البحث إلى ذلك، وفي نسبة الرجال إلى الآراء والمذاهب يتناقض كلامه في مقام ومقام إلى نحو ذلك، ومن يقع منه أمثال هذه التصرفات إما أن يكون في عقله شيء ربما يكون القلم مرفوعاً عنه. وقد تكون رغبته عن النكاح طول عمره مع سلامة البنية والصحة التامة وقوة الجسم أورثت هذه الحالة الشاذة في عقله...» اهـ. ويقول أيضاً: «ومن اتخذه إماماً إنما اتخذه إماماً في الزيغ والشذوذ من غير أن يتهيب ذلك اليوم الذي يدعى فيه كل أناس بإمامهم» اهـ. ولشداة علماء السلف أن يتمثلوا في وجه من يناهضهم:

هاشــمٌ جـدنا فـإن كنـتِ غَـضْبَى فـاملئي وجهَـك الجميـلَ خُدوشـا

٢- عدوانه على علماء الحديث:

ثم اعتدى اعتداءً سافراً فسلق كل من كان سلفياً على اعتقاد أَهل السنة والجماعة من علماء الحديث في قديم الدهر وحديثه -وذلك بنسبتهم إِلى الملل الكافرة التي محاها الإسلام فقال في حقهم من تعليقاته على «ذيول تذكرة الحفاظ» (ص٢٦١): «ولم يستأْصل الإسلام من عقولهم بعد شأْفة نِحَلِهِم التي كانوا عليها قبل الإسلام من: يهودية بفلسطين، ونصرانية بالشام ووثنية بالبادية وصابئة بِحَرَّان وواسط عبدة الأَجرام العلوية وغيرها من قدماء المشبهة ظانين أَن ما هم عليه هو الاعتقاد الصحيح في الله...» اهـ. ومعلوم أَنه يريد خيار عباد الله من علماء الإسلام في هذه الديار فيريد مثلاً بصابئة حران: شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى –. ويريد بوثنية البادية: الشيخ الإِمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى –... وهكذا. ومنه في «المقالات»: (ص٤١٨) تجديعه للعلامة الشوكاني لأَنه يناصر السلفية – فنقل كلمة ابن حريوة اليمني في الشوكاني إِذ قال: «إِنه يهودي مُنْدَسٌّ بين المسلمين لإِفساد دينهم». فأَيدها فرحاً بها بقوله: «وليس ذلك ببعيد لمناصبته العداء لعامة المسلمين وخاصتهم على تعاقب القرون» اهـ. وما هذا إِلا لأَن الشوكاني -رحمه الله تعالى- ينصر اعتقاد السلف.

٣- عدوانه على إِمام الأَئمة ابن خزيمة – رحمه الله تعالى –:

في «المقالات»: (ص٤٠٩) قال: «ولهذين الكتابين -يعني كتاب السنة،

وكتاب نقض الدارمي- ثالث في مجلد ضخم يسميه مؤلفه ابن خزيمة «كتاب التوحيد» وهو عند محققي أَهل العلم كتاب الشرك، وذلك لما حواه من الآراء الوثنية...» اهـ.

٤- عدوانه على عبد الله بن الإمام أَحمد - رحمه الله تعالى -:

في «المقالات»: (ص٤٠٢) عنوان باسم: «كتاب يسمى كتاب السنة وهو كتاب الزيغ» ومما قاله عنه (ص٤٠٣): «والآن نتحدث عن كتاب السنة هذا تحذيراً للمسلمين عما فيه من صنوف الزيغ لاحتمال انخداع بعض أُناس من العامة بسمعة والد المؤلف مع أَن الكفر كفر كائناً من كان الناطق به...» اهـ إِلى (ص ٤١٢). ثم قال (ص٥٠٤): «ويوم كان القرامطة يقلعون الحجر الأَسود من الكعبة المكرمة كان هؤلاء الحشوية البربهارية يدعون إِلى هذه الوثنية ببغداد بالسيف...» اهـ. عقيدة الصحابة - رضي الله عنهم - التي ورثوها من أَنوار الكتاب والسنة وتابعهم عليها التابعون لهم بإِحسان هذه هي «الوثنية» عنده؟

٥- عدوانه على الإِمام عثمان بن سعيد الدارمي - رحمه الله تعالى -:

في خمسين صفحة من «المقالات»: (ص ٣٥٢- ٤٠١) نَفَضَ - وحسابه على الله - غيظه على هذا الإِمام ومن تابعه في الاعتقاد ومما قاله (ص٣٥٦): «فيا ترى: هل يوجد في البسيطة من يكفر هذا الكفر الأَخرق سوى صاحب «النقض» ومتابعيه...» اهـ. وبعد نُقولات حرفها من كتاب الدارمي -رحمه الله تعالى- قال

(ص٣٧٥): «فقل لي بربك هل يوجد على وجه البسيطة مؤمن يشك فيمن يتفوه بتلك الكلمات ونظائرها - وهي كثير في كتبهم، أو يرتاب في أنه حاد الله ورسوله، وخرج عن جماعة المسلمين أهذه هي السنة التي يدعون إليها- عاملهم الله بما يستحقون وعاجلهم بما يستأهلون من نقمته وعذابه وأزاح شرورهم وظلمات شركهم وضلالهم عن هذا البلد المنكود بهم وبرعوناتهم وجهالتهم» اهـ. إلى آخر مقاطع من الكلام على هذا المنوال، ومنها: أنه لا تجوز مناكحتهم ولا إمامتهم كما في (ص٣٨٢). والحكم عليهم بمفارقة جماعة المسلمين كما في (ص٣٩٤). ماذا بعد هذا إن كان التلميذ يؤمن به ويُؤَمِّن على دعاء شيخه المذكور فكيف يرضى لنفسه ديانة أن يقيم بين ظهراني من يحكم شيخه بأنهم كفار لا تجوز مناكحتهم ولا إمامتهم...؟ وإن كان لا يرتضيه فكيف لا ينفيه ويذب عن إخوته في الإسلام؟ وأقل الأحوال: لماذا لا يطوي الثوب على غِرَّة فيترك التمجيد له بِمَرَّة؟

٦- قذفه للخطيب البغدادي - رحمه الله تعالى - بالصِّبية والسكر:

اشتد فرحه بما ساقه في «التأنيب»: (ص١٩، ٢٠) بما ذكره سبط ابن الجوزي عن محمد بن طاهر المقدسي في ذلك. وفي «التنكيل»: (١ / ١٣٥، ١٤٥) بين ما في هذه الحكاية من ضعف وانقطاع. وديدن السبط في «مرآة الزمان» بذكر الحكايات المنكرة، وأنه ترفض بعد، وأنه كان سادراً في حنفيته. فانظر كيف تحمل العصبية الصماء على الاحتجاج بالمقاطيع والمعاضيل وإشاعة الفحشاء بها.

٧- قذفه للحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى -:

غمز الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- بفعلة شنعاء وكذبة صلعاء هي من صريح القذف عند الفقهاء. وفي «بدع التفاسير»: (ص١٣٩) لعصريه عبد الله بن الصديق الغماري ذب عن عرض الحافظ ابن حجر مِمَّا اختلقه هذا المبتلى.

٨- عدوانه على الإمام الشافعي ورميه في نجاره - رحمه الله تعالى -:

لقد رمى الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - في «نجاره» - أي نسبه - وفي لسانه وفي ثقته وفي فقهه وذلك في «التأنيب»: (ص٤، ١٠٠، ٢٣٠). وفي «إحقاق الحق»: (ص٧). وتجد الرد عليه مبسوطاً في «التنكيل»: (١ / ٤٠٣، ٤٣٨) وأن هذا المسكين يلجأ في دعاويه إلى غير ملجأ. إلى غير ذلك في مئات الأعلام من العلماء تتبعه العلامة المعلمي -رحمه الله تعالى- في (٢٧٣) ترجمة جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. وهكذا يتعالج بقرض الأعراض والتمضمض بالأعراض وسحب أذيال البغض على كل من ليس «حنفياً أشعرياً صوفياً قبورياً» مع مهارة بالغة في: التَقَوُّل وتحريف النقول والتصرف في نصوص المؤلفين كما فعل في «الانتقاء» لابن عبد البر وتداركه: القدسي إلى آخر ما هنالك من الصيال والتصاول وأسباب الخذلان والتخاذل. ولم نره في شيء مما تقدم ندم على ما قدم. وفي كتابَي «التنكيل» و«طليعته» للعلامة المعلمي - رحمه الله تعالى - من الردود الموثقة الأمينة من غير سرف ولا مخيلة ما يكشف مخازي هذا المبتلى وأنها كما قال المعلمي في موضع من كتابه -أصبحت: (كضرطة عير في الفلا)» انتهى المقصود من كلام الشيخ بكر ـ رحمه الله ـ.

١٢ – وقال الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في مقدمة كتاب «التنكيل» للمعلمي ـ رحمه الله ـ:

«الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه وإخوانه أجمعين.

أما بعد: فإني أقدم اليوم إلى القراء الكرام كتاب «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل»، تأليف العلامة المحقق الشيخ عبدالرحمن بن يحيى بن علي اليماني رحمه الله تعالى، بيّن فيه بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة تجني الأستاذ الكوثري على أئمة الحديث ورواته، ورميه إياهم بالتجسيم والتشبيه، وطعنه عليهم بالهوى والعصبية المذهبية، حتى لقد تجاوز طعنه إلى بعض الصحابة، مصرحاً بأن أبا حنيفة ـ رحمه الله ـ رغب عن أحاديثهم! وأن قياسه مقدم عليها! فضلاً عن غمزه بفضل الأئمة وعلمهم، فمالك مثلاً عنده ليس عربي النسب؛ بل مولى!، والشافعي كذلك، بل هو عنده غير فصيح في لغته، ولا متين في فقهه. والإمام أحمد غير فقيه عنده! وابنه عبدالله مجسم، ومثله الأئمة ابن خزيمة وعثمان بن سعيد الدارمي وابن أبي حاتم، وغيرهم، والإمام الدارقطني عنده أعمى ضال في المعتقد، متبع للهوى، والحاكم شيعي مختلط اختلاطاً فاحشاً!!! وهكذا لم يسلم من طعنه حتى مثل الحميدي، وصالح بن محمد الحافظ، وأبي زرعة الرازي، وابن عدي، وابن أبي داود، والذهبي وغيرهم!

ثم هو إلى طعنه هذا يضعف الثقات من الحفاظ والرواة، وينصب العداوة بينهم وبين أبي حنيفة لمجرد روايتهم عنه بعض الكلمات التي لا تروق لعصبية الكوثري وجموده المذهبي، وهو بسبيل ذلك لا يتورع أن يعتمد على مثل ابن النديم

الوراق وغيره ممن لا يُعتد بعلمه في هذا الشأن. وهو على النقيض من ذلك يوثق الضعفاء والكذابين، إذا رووا ما يوافق هواه! وغير ذلك مما سترى تفصيله في هذا الكتاب بإذن الله.

ومنه يتبين للناس ما كان خافياً عليهم من حقيقة الكوثري، وأنه كان يجمع في نفسه بين صفتين متناقضتين: فهو في الفقهيات وعلم الكلام مقلد جامد، وفي التجريح والتعديل، والتوثيق والتضعيف، وتصحيح الحديث وتوهينه، ينحو منحى المجتهد المطلق، غير أنه لا يلتزم في ذلك قواعد أصولية، ولا منهجاً علمياً! فهو مطلق عن كل قيد وشرط!، لذلك فهو يوثق من شاء من الرواة، ولو أجمع أئمة الحديث على تكذيبه، ويضعف من شاء ممن أجمعوا على توثيقه، ويصرح بأنه لا يثق بالخطيب وأبي الشيخ ابن حبان ونحوهما، ويضعف من الحديث ما اتفقوا على تصحيحه، ولو كان مما خرجه الشيخان في «صحيحيهما» ولا علة قادحة فيه. ويصحح ما يعلم كل عارف بهذا العلم أنه ضعيف بل موضوع، مثل حديث «أبوحنيفة سراج أمتي»! إلى غير ذلك من الأمور التي ستتجلى للقارئ الكريم، مبرهناً عليها من كلام الكوثري نفسه في هذا الكتاب العظيم، بأسلوب علمي متين، لا وهن فيه، ولا خروج عن أدب المناظرة، وطريق المجادلة بالتي هي أحسن، بروح علمية عالية، وصبر على البحث والتحقيق كاد أن يبلغ الغاية، إن لم أقل: بلغها. كل ذلك انتصاراً للحق، وقمعاً للباطل، لا تعصباً للمشايخ والمذهب، فرحم الله المؤلف، وجزاه عن المسلمين خيراً».

وقال الشيخ الألباني – رحمه الله – في مقدمة شرح العقيدة الطحاوية،

لابن أبي العز[1] :- رادًا على أبي غدة -: «هو الشيخ عبدالفتاح أبو غدة الحنفي الحلبي، المعروف بشدة عدائه لأهل السنة والحديث، لاسيما في بلده (حلب)، حين كان يخطب على منبر مسجده يوم الجمعة، ويستغله للطعن في أهل التوحيد المعروفين في بلده -بالسلفيين- خاصة، وفي أهل التوحيد السعوديين وغيرهم، الذين ينبزهم بلقب الوهابية عامة، ويعلن عداءه الشديد لهم، ويصرح بتضليلهم بقوله: «إن الاستعانة بالموتى من دون الله تعالى وطلب الغوث منهم جائز، وليست شركاً، ومن زعم أنها شرك أو كفر فهو كافر»! ويتهمهم جميعاً بشتى التهم، التي كنا نظن أن أمرها قد انتهى ودُفن، لأن الناس قد عرفوا حقيقة أمرهم، وأن دعوتهم تنحصر في تحقيق العبادة لله تعالى، وإخلاص الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا بأبي غدة هذا، يتجاهل كل ذلك، ويحيي ما كان ميتاً من التهم حولهم، ويلصقها بهم، بل ويزيد عليها ما لم نسمعه من قبل، فيقول من على المنبر: «إن هؤلاء الوهابيين تتقزز نفوسهم أو تشمئز حينما يُذكر اسم محمد صلى الله عليه وسلم»!! - سبحانك هذا بهتان عظيم- ، إلى غير ذلك من التهم الباطلة مما سمعه منه أهل بلده الذين حضروا خطبه بذلك، وغيره مما جاء في التعليق على كتاب الأستاذ الفاضل فهر الشقفة: (التصوف بين الحق والخلق)(ص

(١) (ص ٤٩ – ٦٠).

٢٢٠) الطبعة الثانية، وهذا موافق تماماً لما قاله متعصب آخر مثله، من حملة الدكتوراه في كتاب له: «ضل قوم لم تشعر أفئدتهم بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وراحوا يستنكرون التوسل بذاته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته» .

فهل هذا توافق غير مقصود بذاته من هذين المتعصبين ؟ وإنما التقيا عليه بجامع الاشتراك في الحقد على أهل السنة ومعاداتهم، دون اتفاق سابق بينهما على اتهامهم بهذه التهمة الباطلة التي نخشى أن يكونا أحق بها وأهلها ؟ أم الأمر كما قال تعالى: ﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات: ٥٣]؟

فلما كتب الله على البلاد السعودية أن يكون أبو غدة مدرساً في بعض معاهدها كتم عداءه الشديد إياهم ولدعوتهم، وتظاهر بأنه من المحبين لهم، ولسان حاله ينشد:

ودارهــم مــا دمــت في دارهــم   وأرضــهم مــا دمــت في أرضــهم!

ودعم ذلك بقيامه على طبع بعض كتب الحديث والتعليق عليها، وأحدها من كتب الإمام ابن القيم، ويزين بعضها بالنقل عنه وعن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى، ولكنه في الوقت نفسه لا يتمالك من النقل عن عدوهما اللدود وعدو أهل الحديث جميعاً، بل والإكثار عنه، ألا وهو المدعو زاهد الكوثري، الذي كان -والحق يقال- على حظ وافر من العلم بالحديث ورجاله، ولكنه -مع الأسف- كان علمه حجة عليه ووبالا ؛ لأنه لم يزدد به هدى ونوراً، لا في الفروع

ولا في الأصول، فهو جهمي معطل، حنفي هالك في التعصب، شديد الطعن والتحامل على أهل الحديث قاطبة، المتقدمين منهم والمتأخرين.

فهو في العقيدة يتهمهم بالتشبيه والتجسيم، ويلقبهم في مقدمة «السيف الصقيل» (ص٥) بالحشوية السخفاء، ويقول عن كتاب «التوحيد» للإمام ابن خزيمة: «إنه كتاب الشرك»! أو يرمي نفس الإمام بأنه مجسم جاهل بأصول الدين !

وفي الفقه يرميهم بالجمود وقلة الفهم، وأنهم حملة أسفار (!)

وفي الحديث طعن في نحو ثلاثمائة من الرواة أكثرهم ثقات، وفيهم نحو تسعين حافظاً، وجماعة من الأئمة الفقهاء، كمالك والشافعي وأحمد، ويصرح بأنه لا يثق بأبي الشيخ ابن حيان، ولا بالخطيب البغدادي ونحوهما! ويكذب الإمام عبدالله ابن الإمام أحمد بن حنبل المتفرد برواية «المسند» عن أبيه، وكأنه لذلك لا يعتبره من المسانيد التي ينبغي الرجوع إليها، والاعتماد عليها، فيقول في كتابه «الإشفاق على أحكام الطلاق» (ص ٢٣ طبع حمص):

«مسند أحمد على انفراد من انفرد به ليس من دواوين الصحة أصلاً» ثم قال (ص ٢٤): «ومثل مسند أحمد لا يسلم من إقامة السماع والتحديث مقام العنعنة، لقلة ضبط من انفرد برواية مثل هذا المسند الضخم»! ثم هو يصف الحافظ العقيلي بقوله: «المتعصب الخاسر».

وبالجملة فقلَّ من ينجو من الحفاظ المشهورين وكتبهم من غمز ولمز هذا المتعصب الخاسر حقاً؛ مثل ابن عدي في «كامله» والآجري في «شريعته»! وغيرهما. وهو إلى ذلك يُضعّف من الحديث ما اتفقوا على تصحيحه، ولو كان مما أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»، دون علة قادحة فيه، وقد سبق ذكر بعض ما ضعفه منها،[1] وعلى العكس من ذلك؛ فهو يصحح انتصاراً لعصبيته المذهبية ما يشهد كل عارف بهذا العلم أنه ضعيف بل موضوع، مثل حديث «أبو حنيفة سراج أمتي»! إلى غير ذلك من الأمور التي لا مجال لسردها، وبسط القول فيها الآن. وقد رد عليه وفصّل القول فيها بطريقة علمية سامية، وبحث منطقي نزيه، العلامة عبدالرحمن المعلمي اليماني في كتابه «طليعة التنكيل»، ثم في كتابه الفذ العظيم «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل»، فليراجعها من شاء الوقوف على حقيقة ما ذكرنا، فإنه سيجد الأمر فوق ما وصفنا. والله المستعان.

هذا شيء من حال الكوثري، وأبو غدة- دون شك- على علم بها، لأنه إن كان لم يتعرف عليها بنفسه من بطون كتب الكوثري التي هو شغوف بمطالعتها - وهذا أبعد ما يكون عنه - فقد اطلع عليها بواسطة رد العلامة اليماني عليها رداً علمياً نزيهاً كما سبق.

---

(١) انظر: مقدمة الألباني - رحمه الله - لشرح العقيدة الطحاوية، (ص٣٨-٤٠). (س).

وإن تعليقات أبي غدة الكثيرة على الكتب التي يقوم بطبعها، والنقول التي يودعها فيها من كلام الكوثري كل هذا وذاك ؛ ليدل دلالة واضحة على أنه معجب به أشد الإعجاب، وأنه كوثري المشرب. وكيف لا ؟ وهو يضفي عليه الألقاب الضخمة، التي لا يطلقها عليه غيره، فيقول: «العلامة المحقق الإمام» (ص٦٨) من التعليق على «الرفع والتكميل». بل يقول قبيل مقدمته عليه: «الإهداء: على روح أستاذ المحققين الحجة المحدث الفقيه الأصولي المتكلم النظار المؤرخ النقاد الإمام»!! «وقد بلغ من شدة تعلقه به أن نسب نفسه إليه فهو الشيخ عبدالفتاح أبو غدة الحنفي الكوثري»، وأن سمى ابنه الكبير باسم: زاهد، تبركاً به وإحياء لذكره! فهو إذن راض عنه وعن أفكاره وآرائه مائة في المائة! فهو مشترك معه في تحمل مسؤولياتها. ويؤكده أنه لم يُبد أي نقد أو اعتراض في شيء منها في أي تعليق من تعليقاته الكثيرة، بل هو متأثر به إلى أبعد حد، فإنك تراه بينما هو يضفي عليه ما سبق من الألقاب الضخمة، يضن على شيخ الإسلام ابن تيمية ببعضها، فهو إذا ذكره لا يزيد على قوله: «الشيخ ابن تيمية» (ص٥٥، ٦٠- الرفع والتكميل)، مع الاعتراف بأننا لا ندري على وجه اليقين بقصده بـ«الشيخ» هنا، هل يعني في العلم والفضل، أم في العمر والسن، أم في الزيغ والضلال !! وكان المفروض أن لا نتوقف في حمله على المعنى الأول، ولكن منعني من ذلك علمي أن أبا غدة «كوثري» كما عرفت، والكوثري يرمي ابن تيمية في كثير من تعليقاته بالزيغ والضلال! بل لقد قال في كتابه «الإشفاق» (ص ٨٩): «إن كان ابن تيمية

لا يزال يعد شيخ الإسلام، فعلى الإسلام السلام»! وغالب ظني أن هذه الكلمة – وأبو غدة متأثر بها قطعاً لأنها من شيخه «أستاذ المحققين الحجة..» – هي السبب في اقتصار أبي غدة على لفظ «الشيخ ابن تيمية» دون «شيخ الإسلام»؛ لأنه لو فعل لكان عاقاً لشيخه وذلك ما لا يكون منه إلا أن يشاء الله هدايته! أقول هذا مع علمي أنه أطلق مرة هذا اللقب عليه في تعليقه على «الأجوبة الفاضلة» (ص ٩٢)، فإن كان ذلك عن اعتقاد منه بما كتب ورام، ولم يكن منه رمية من غير رام، ولا على سبيل ما يعتقده الناس في بلد إقامته المؤقتة «الرياض»، ولا من قبيل الزلفى به إليهم، أو غير ذلك من الاحتمالات التي قد تخطر في البال، فيكون أبوغدة بإطلاقه المذكور، قد أعلن براءته من شيخه الكوثري في كلمته السابقة. فلعل عنده من الشجاعة الأدبية ما يتجرأ به على أن يعلن صراحة أنه كتب ذلك عن قناعة واعتقاد فقط، وأن ابن تيمية رحمه الله هو شيخ الإسلام حقاً. وأن كلمة شيخه الكوثري المتقدم في رد ذلك هو كافر بها ومتبرئ منها، فإن فعل، وذلك مما أشك فيه، سألت الله لنا وله التثبيت!

ومهما يكن قصد أبي غدة من قوله «الشيخ ابن تيمية»، فالذي لا نشك فيه أنه تلميذ الكوثري حقيقة ومذهباً. وإذا كان كذلك فلا يمكن أن يكون سلفي المذهب في التوحيد والصفات، كما كان عليه ابن تيمية وابن القيم وابن عبدالوهاب، رحمة الله عليهم، لأن شيخه الكوثري يعاديهم في ذلك أشد المعاداة، وقد قدمت إليك بعض ما رماهم به من التهم كالتجسيم وغيره، ومن نسبته ابن

تيمية خاصة إلى الكذب والخيانة في النقل! مما يدل على أنه ألد أعداء أهل السنة والحديث إطلاقاً في العصر الحاضر.

وإذا كان كذلك، فأبو غدة عدو لدود أيضاً لهم، ولا يمكن أن يكون غير ذلك؛ وهو يضفي تلك الألقاب الضخمة عليه، فإلى أن يتبرأ من شيخه في معاداته تلك لأهل السنة، فهو ملحق به. وليس هذا مما ينافي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[الأنعام: ١٦٤].

كلا، وإنما هو من باب المؤاخذة على اعترافه بأنه كوثري، وبعلمه بانحراف شيخه وطعنه في أهل السنة وأئمة الحديث والفقه، وغير ذلك من مخازيه التي منها مطاعنه العديدة في شيخ الإسلام ابن تيمية، حتى لقد قال -عامله الله بما يستحق-: «ولو قلنا لم يُبل الإسلام في الأدوار الأخيرة بمن هو أضر من ابن تيمية في تفريق كلمة المسلمين لما كنا مبالغين في ذلك، وهو سهل متسامح مع اليهود والنصارى..»!! «الإشفاق» (ص ٨٦).

إن أبا غدة يعلم هذا وغيره مما ذكرنا، وما لم نذكره عن شيخه الكوثري، ولم نره يتعقبه في شيء من ذلك إطلاقاً، الأمر الذي يجعلنا نعتقد أنه مع شيخه في عدائه لأهل السنة والحديث، وإلا فليعلن براءته منه جملة وتفصيلا، فإن فعل – وما إخاله – أخذنا بظاهر كلامه، ووكلنا سريرته إلى ربه سبحانه وتعالى. وبعد هذا كله: أليس لنا أن نتساءل: إذا كان أبو غدة بهذا البعد عن أهل السنة والتوحيد تبعاً لشيخه الكوثري، حتى كان يعلن في حلب تكفير القائلين بأن

الاستغاثة بغير الله كفر، كما سبق، فكيف طاب له المقام في البلاد السعودية هذه السنين حتى الآن، وهو يعلم أنهم هم الذين كان يعنيهم أصالة بتكفيره المذكور؟ فهل رجع هو عن تكفيرهم، وعن القول بجواز الاستغاثة بغير الله، إلى القول الذي كان ينقمه عليهم: إن الاستغاثة كفر. وبذلك حصل الوئام، فطاب له المقام؟

فأقول: الجواب في قلب أبي غدة، ولكن الذي نعلمه عنه هو ما سبق ذكره، ومن القواعد الأصولية المقررة عند الحنفية وغيرهم ؛ قاعدة استصحاب الحال إلا لنص، ولما كان لا نص لدينا برجوع أبي غدة عن تكفيره المذكور، فالواجب علينا البقاء على ما نعلمه عنه، وعلى ذلك فلم يحصل الوئام المزعوم، لأن السعوديين - وخصوصاً أهل العلم منهم - لا يزالون - والحمد لله- محتفظين بعقيدتهم في التوحيد، محاربين للشركيات والوثنيات، التي منها الاستغاثة بغير الله تعالى من الأموات، فكيف إذن طاب له المقام بين ظهرانيهم؟

الذي أتصور أنه لم يكن بينهم كما يجب أن يكون «المربي الناصح الرشيد»! يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويبين لهم أن ما أنتم عليه من أمور منكر وضلال، منها إنكار قولهم: إن الاستغاثة بغير الله تعالى كفر، فإنه لو فعل، لكان أمر من ثلاثة أمور: إما أن يقنعهم بضلالهم، بخطبة نارية يلقيها هناك، كما كان يفعل في بلده (حلب)، وهذا مستحيل.

وإما أن يقنعوه هو بضلاله، بما عندهم من حجج ناطقة وأدلة قاطعة من كتاب الله وسنة رسوله، وهذا بعيد !

وإما أن تكون الثالثة ولا بد، وهي.. إلا أن يشاء الله تعالى. ولما كان يعلم بأن النتيجة هي ما أشرنا إليه، وكان يستحب البقاء بين أظهرهم، لسبب لا يخفى على القارئ اللبيب، آثر أن يظل بينهم كأي إنسان آخر ليس له هدف إلا.. على حد قول الشاعر:

ودارهم ما دمت في دارهم   وأرضهم ما دمت في أرضهم!

ولا يستغربن هذا أحد ممن يحسنون الظن بأبي غدة، ولم يعرفوا حتى الآن عقيدته، فإن لدي البرهان القاطع على ما نسبت إليه من المداراة، ولم أقل: المداهنة ! لقد قال في مطلع تقريره الجائر ما نصه: «يرى الناظر في شرح الطحاوية أن الشارح لها من أهل التوثق والضبط والإتقان فيما ينقله من الأحاديث الشريفة وغيرها.. بعبارة واضحة، لا لبس فيها ولا غموض، وبإمامة ملموسة مشهورة». قلت: فإذا كان أبو غدة مؤمناً حقاً بهذه الإمامة الملموسة المشهورة ؛ فأنا أختار له من كلام هذا الإمام سبع مسائل، فإن أجاب عنها بما يوافق ما ذهب إليه هذا الإمام المشهور من قلب مخلص فذلك ما نرجوه، وأعتذر إليه من إساءة الظن به، وإن كانت الأخرى فذلك مما يؤيد -مع الأسف- ما رميته به من المداراة. المسألة الأولى: قال الإمام (ص ١٢٥): «وأهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث». قلت: وهذا الإطلاق هو مما يدندن به شيخه الكوثري في تعليقاته،

ليتوصل إلى نفي حقيقة الكلام الإلهي المسموع. وراجع له «شرح الطحاوية» (ص ١٦٨ - ١٨٨) و«التنكيل» (٢/ ٣٦٠- ٣٦٢).

المسألة الثانية: قال الإمام تبعاً لأبي جعفر الطحاوي (ص ١٦٨): «وأن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية». ثم شرح «الإمام» مذاهب الناس في مسألة الكلام الإلهي على تسعة مذاهب وبين أن مذهب السلف: أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وأنه يتكلم بصوت.

وشيخ أبي غدة ينفي الصوت المسموع (مقالات الكوثري ص ٢٦)، ويقول في تعليقه على «كتاب البيهقي»: «الأسماء والصفات» (ص ١٩٤): «إن موسى عليه السلام لما كلمه الله تعالى تكليماً لم يُسمعه صوته، وإنما أفهمه كلامه بصوت تولى خلقه من غير كسب لأحد....»!

المسألة الثالثة: قال «الإمام» (ص ٢٨٠) تبعاً للطحاوي: «وهو (تعالى) مستغن عن العرش وما دونه، ومحيط بكل شيء وفوقه»، والكوثري لا يؤمن بفوقية الله تعالى على خلقه حقيقة كما يليق بجلاله، بل إنه ينسب القائلين بها من الأئمة إلى القول بالجهة والتجسيم!

المسألة الرابعة: يُثبت الإمام «الفوقية المذكورة بأدلة كثيرة جداً، في بعضها

التصريح بلفظ «الأين» الذين سأل به رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارية ليتعرف على إيمانها». وشيخك يا أبا غدة يُنكر مثل هذا السؤال تبعاً لتشكيكه في صحة الحديث كما سبق (ص٢٧)، [1] فهل تؤمن أنت بهذا الحديث، وتجيز هذا السؤال الذي سأله الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ !

المسألة الخامسة: يقول «الإمام» تبعاً للأئمة: مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة: «إن الإيمان هو تصديق الجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان. وقالوا: يزيد وينقص». وشيخك تعصباً لأبي حنيفة يخالفهم، مع صراحة الأدلة التي تؤيدهم من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح رضي الله عنهم، بل ويغمز منهم جميعاً مشيراً إليهم بقوله في «التأنيب» (ص٤٤- ٤٥) إلى «أناس صالحون» يشير أنهم لا علم عندهم فيما ذهبوا إليه ولا فقه، وإنما الفقه عند أبي حنيفة دونهم، ثم يقول: إنه الإيمان والكلمة، وإنه الحق الصراح. وعليه فالسلف وأولئك الأئمة الصالحون (!) هم عنده على الباطل في قولهم: بأن الأعمال من الإيمان، وأنه يزيد وينقص. وقد نقل أبو غدة كلام شيخه الذي نقلنا موضوع الشاهد منه، نقله بحرفه، في التعليق على «الرفع والتكميل» (ص ٦٧- ٦٩)، ثم أشار إليه في مكان آخر منه ممجداً به

(١) من مقدمة شرح العقيدة الطحاوية. (س).

ومكبراً له بقوله (ص٢١٨):

«وانظر لزاماً ما سبق نقله تعليقاً فإنك لا تظفر بمثله في كتاب»، ثم أعاد الإشارة إليه (ص ٢٢٣) مع بالغ إعجابه. وظني به أنه يجهل- أن هذا التعريف للإيمان الذي زعم شيخه أنه الحق الصراح- مع ما فيه من المخالفة لما عليه السلف كما عرفت، مخالف لما عليه المحققون من علماء الحنفية أنفسهم، الذين ذهبوا إلى: أن الإيمان هو التصديق فقط ليس معه الإقرار! كما في «البحر الرائق» لابن نجيم الحنفي (٥/ ١٢٩)، والكوثري في كلمته المشار إليها يحاول فيها أن يصور للقارئ أن الخلاف بين السلف والحنفية في الإيمان لفظي، يشير بذلك إلى أن الأعمال ليست ركناً أصلياً، ثم يتناسى أنهم يقولون: بأنه يزيد وينقص، وهذا ما لا يقول به الحنفية إطلاقاً، بل إنهم قالوا في صدد بيان الألفاظ المكفرة عندهم: «وبقوله: الإيمان يزيد وينقص» كما في «البحر الرائق» - «باب أحكام المرتدين»! فالسلف على هذا كفار عندهم مرتدون!! راجع شرح الطحاوية (ص ٣٣٨- ٣٦٠)، و«التنكيل» (٢/ ٣٦٢- ٣٧٣) الذي كشف عن مراوغة الكوثري في هذه المسألة.

وليعلم القارئ الكريم أن أقل ما يُقال في الخلاف المذكور في المسألة أن الحنفية يتجاهلون أن قول أحدهم -ولو كان فاسقاً فاجراً-: أنا مؤمن حقاً، ينافي مهما تكلفوا في التأويل التأدب مع القرآن، ولو من الناحية اللفظية على الأقل الذي يقول: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ

ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ [الأنفال:٢-٤]. فليتأمل المؤمن الذي عافاه الله تعالى مما ابتلى به هؤلاء المتعصبة، من هو المؤمن حقاً عند الله تعالى، ومن هو المؤمن حقاً عند هؤلاء؟!

المسألة السادسة: ذهب «الإمام» شارح الطحاوية (ص ٣٥١) إلى جواز الاستثناء في «الإيمان» وهو قول المؤمن: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى. على تفصيل في ذلك بينه، والحنفية يمنعون منه مطلقاً، بل إن طائفة منهم ذهبوا إلى تكفير من قال ذلك، ولم يقيدوه بأن يكون شاكاً في إيمانه، ومنهم الاتقاني في «غاية البيان»، وصرح في «روضة العلماء» (من كتبهم) بأن قوله «إن شاء الله» يرفع إيمانه، فلا يجوز الاقتداء به (يعني في الصلاة). وفي «الخلاصة» و«البزازية» في كتاب النكاح، عن الإمام أبي بكر محمد بن الفضل: من قال: أنا مؤمن إن شاء الله فهو كافر لا تجوز المناكحة معه. قال الشيخ أبو حفص في «فوائده»: لا ينبغي للحنفي أن يزوج بنته من رجل شفعوي المذهب. وهكذا قال بعض مشايخنا، ولكن يتزوج بنتهم. زاد في «البزازية»: تنزيلاً لهم منزلة أهل الكتاب. كذا في «البحر الرائق» (٢/ ٥١)!

المسألة السابعة: ذهب شارح الطحاوية (ص ٢٣٦-٢٣٩) تبعاً لإمامه أبي حنيفة وصاحبيه إلى كراهة التوسل بحق الأنبياء وجاههم. وهذا مما خالف فيه الكوثري إمامه أبا حنيفة رحمه الله تعالى، اتباعاً لأهواء العامة، ونكاية بأهل السنة. كما يعلم ذلك من اطلع على رسالته «محق

التوسل» وغيرها. وقد كنت بينت شيئاً من تعصبه واتباعه لهواه في محاولة تقويته إسناد حديث في التوسل، فيه من هو ضعيف عنده، كما هو مشروح في الجزء الأول من «سلسلة الأحاديث الضعيفة» رقم (٢٤)، فليراجعه من شاء.

قلت: فهذه سبع مسائل هامة، كلها في العقيدة، إلا الأخيرة منها، قد وجهتها إلى أبي غدة، الذي تظاهر بالثناء على شارح «الطحاوية»، ووصفه بأنه صاحب «إمامة ملموسة مشهورة»، فإذا أجاب بمتابعته له فيها- وهذا ما أستبعده على كوثريته - فالحمد لله. وإن خالفه فيها، وظل على كوثريته. فقد تبين للناس- إن شاء الله تعالى- أن ثناءه على شارح «الطحاوية»)الإمام)، لم يكن عن اعتقاد وثقة به كما زعم، وإنما ليتخذه سلماً للطعن بمخرج أحاديثه، وإلا كيف ساغ له أن يسكت عن الشارح في هذه الأخطاء، بل الضلالات السبع بزعمه تبعاً لشيخه الكوثري، وعن أخطائه الأخرى الحديثية التي سبقت الإشارة إلى أنواع منها، وينتقدني شاكياً إلى بعض رؤسائه أو المسؤولين هناك - في أمور- لو صح نقده فيها لا تكاد تُذكر تجاه تلك، كماً ولا كيفاً؟ !

وليت شعري ما الذي منع أبا غدة، إذا كان لديه من الانتقادات عدة، حول هذا الكتاب أو غيره من مؤلفاتي، أن يفضي بها إليّ مباشرة حينما كنا نلتقي مرات في أشهر العطلة الصيفية في المكتب الإسلامي، بدل أن يغافلني ويرفع ذلك

التقرير الجائر خلسة دون علمي، أو علم صديقه صاحب المكتب الإسلامي، ترى ماذا يقول عامة الناس فضلاً عن خاصتهم فيمن كان هذا صنيعه مع أخيه؟! فإن قالوا فيه: إنه... فلا يلومن إلا نفسه، وعلى نفسها جنت براقش، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢].

١٣- **وقال الشيخ مقبل الوادعي - رحمه الله -** في تقديمه لكتاب «الأسماء والصفات للبيهقي - رحمه الله -، بتحقيق الشيخ عبدالله الحاشدي - وفقه الله -[(١)]:

وقد كانت الأمة الإسلامية تتلقى دينها في العقيدة و العبادات و المعاملات و الأخلاق من كتاب الله و من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى انحرف واصل بن عطاء رأس الاعتزال، و تبعه من تبعه من أئمة الضلال، فقدموا أهواءهم على كتاب ربنا، وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأثاروا الشبهات في أوساط المجتمع المسلم، أثاروها بالمناظرات و التأليف، فاضطر علماؤنا رحمهم الله أن يردوا على هذه الشبهات بالمؤلفات النافعة، ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

فقد قام علماؤنا رحمهم الله بالرد على أئمة الضلال ؛ خصوصاً فيما يتعلق بالعقيدة، و كان من أجمع ما كتب فيما يتعلق بالأسماء والصفات: كتاب (الأسماء

(١) (١/ ٥-٦).

والصفات) للحافظ البيهقي رحمه الله، إلا أنه كان قد دنسه (محمد زاهد الكوثري) بتعليقاته الزائغة، وليس له هم إلا الرد على عقيدة أهل السنة، يقدح في الحديث الصحيح إذا كان مخالفًا لهواه، ويستدل بالحديث الضعيف إذا كان موافقًا لهواه، ويقدح في أعلام السنة ؛ مثل الإمام أبي بكر محمد بن خزيمة، وشيخ الإسلام ابن تيمية، ومن سلك مسلكهم من أئمة الهدى، وزاد الطين بلة: الملحق الموجود في بعض الطبعات لزائغ من الزائغين، أخذ بالثأر لأئمة الزيغ و الهوى، فخيب الله آمال هذا و ذاك، و قيض الله أخانا الفاضل (أبا عبد الرحمن بن محمد الحاشدي) وطهر الكتاب من هذا وذاك: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:٨١]. ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨]. ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٦]. ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧].

بحمد الله أصبح الكتاب بعد العمل الذي قام به أخونا (عبد الله) كتاب عقيدة، و كتاب جرح و تعديل، وكتاب تصحيح و تضعيف»[1].

---

(١) وقال الشيخ مقبل – رحمه الله – في كتابه (المخرج من الفتنة) ص٢٩– أثناء حديثه عن الجرح
=

قلتُ: قال الشيخ الحاشدي في مقدمة الكتاب[١]:

«كثيرًا ما سمعت شيخنا الفاضل: أبا عبد الرحمن مقبل بن هادي الوداعي، حفظه الله تعالى و رعاه يقول: إن كتاب الأسماء و الصفات للحافظ أبي بكر البيهقي رحمه الله تعالى يحتاج إلى من يخدمه، ويا حبذا لو أن طالب علم يقوم بتحقيقه و التعليق عليه، وتطهيره من أدناس الكوثري و تعليقاته البائرة، التي شوه بها هذا الكتاب، فعزمتُ متوكلا على الله جل و علا على القيام بهذا العمل... - إلى أن قال :- أما بالنسبة لتعليقات الكوثري في العقيدة، فقد حذفتها ولم أتعرض للرد عليها إلا نادرًا، وأحيل القارئ على الكتب المتقدمة - أي كتب أهل السنة -، فإنها رد على كل مبتدع من المتقدمين و المتأخرين.والكوثري لم يأتِ بشيء جديد، بل هو يردد أباطيل أسلافه من الأشاعرة و الماتوريدية و غيرهم من أهل البدع و الأهواء، وقد رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية في كتبه، و كشف أباطيلهم و تلبيساتهم بما لا مزيد عليه. فرحمه الله وطيب ثراه، وأما تعليقات الكوثري الحديثية ؛ فقد رددتُ على كثير منها بما ستراه إن شاء الله ».

والتعديل -:«محمد زاهد الكوثري: مبتدع لا يُعتمد عليه في علم الحديث».(س).

(١) (١/ ١٠-١٢). وتحقيق الحاشدي مطبوع في مجلدين، وفيه تعقباته على جهمي العصر: (الكوثري).(س).

١٤- وقال الشيخ سفر الحوالي – سلمه الله – في كتابه «منهج الأشاعرة – الكبير-»[١]:

«عندما يتفق المنتسب لليهودية مع المنتسب للإسلام في أصل التلقي من مشركي اليونان، والتدين بالدين الوثني العالمي: دين الفلسفة اليونانية، فإنه لا غرابة في وقوفهما – ومن شاركهما في هذا الدين من أي نحلة وجنس- صفاً واحداً ضد جبهة الإيمان والتوحيد!

وإلا فكيف يعيش الرازي، وموسى بن ميمون في عصر واحد[٢]، والأول بأقصى المشرق، والآخر بأقصى المغرب، فيؤلف الأول «أساس أو تأسيس التقديس»، ويؤلف الآخر «دلالة الحائرين»، وتقرأ هذين الكتابين فتجدهما يخرجان من مشكاة واحدة، بل من بؤرة واحدة لا أثر فيها لإسلام هذا، ولا يهودية ذاك من حيث المنهج والاستمداد.

فالإسلام – الذي ينتسب إليه الرازي- أجلى من الشمس في رابعة النهار بلا غيم ولا قتر فيما يتعلق بإثبات الصفات.

---

(١) (ص ١٧٦-١٨٣).

(٢) توفي الرازي (٦٠٦هـ)، وابن ميمون (٦٠٥هـ)، وكان الأول في سمرقند، والآخر في الأندلس!

واليهودية التي ينتسب إليها موسى بن ميمون في توراتها المحرفة من الغلو المسرف في الإثبات ما يصل إلى تشبيه يترفع عنه كثير من الوثنيين.

ومع هذا يتفق الاثنان في نفي الصفات، وفي الهجوم على «المجسمة المشبهة الحشوية»؛ أي أهل السنة والجماعة.

فأما كتاب الرازي فقد تقدمت بعض النقول منه، ولا هجرة بعد الفتح، ولا كلام في التأسيس بعد «بيان التلبيس»(١).

وأما كتاب «دلالة الحائرين» الذي استمد منه الأشاعرة، فإليك طرفاً من حكايته:

ألف موسى بن ميمون اليهودي هذا الكتاب باللغة العربية نطقاً، أما كتابة حروفه فقد جعلها بالخط العبري؛ لأنه خشي أن يثير عليه المسلمين واليهود على السواء، فكانت لغته العربية حائلة دون فهم اليهود له، وخطه العبري مانعاً من قراءة المسلمين له.

وهذا بالطبع بعض آثار المكر اليهودي المتأصل، لكن ما علينا من هذا، فليته بقي كذلك وأراحنا الله منه.

---

(١) أي: «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية»؛ لشيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ، الذي زيف به التأسيس وما بني عليه.

غير أن أحد أعيان الطبقة الثانية من تلاميذ الرازي ؛ وهو أبو عبدالله محمد بن أبي بكر التبريزي، لمس -على ما يبدو- حيرة أصحابه الأشاعرة، ورأى أن أعظم كتبهم «التأسيس» قائم حقاً على التلبيس، فما صدّق أن عثر على كتاب «دلالة الحائرين»، ليجعله دليلاً لحيرة أصحابه، وظهيراً للتأسيس على الحشوية!!.

فأتى منه على الجزء، أو المقدمات المطابقة لموضوع التأسيس، فشرحها، وعرب خطها.[(١)]

ثم طمرت السنون الشرح والكتاب، ودار الزمان دورات ؛ حتى قام اليهود في القرن العشرين - ومنهم «إسرائيل ولفنستون» الذي كان مقيماً بمصر، ومدرساً في جامعتها- بإحياء تراث أجدادهم، واحتفلوا بذكرى موسى بن ميمون ومؤلفاته.

وعاصرهم أكبر أشاعرة عصره: (محمد زاهد الكوثري)، فرأى وجوب الانتصار للمذهب، والتشفي من أعدائه (الحشوية)، فنشر شرح شيخه الأشعري (التبريزي) للكتاب اليهودي، ولا ندري عما إذا كان هذا العمل باتفاق مع

---

(١) وهي المقدمات الخمس والعشرون التي حققها الكوثري، وعنوان الكتاب المحقق كاملاً: «المقدمات الخمس والعشرون في إثبات وجود الله ووحدانيته، وتنزيهه أن يكون جسماً، أو قوة في جسم، من دلالة الحائرين».

اليهود، أو إشارة منهم، إلا أن الكوثري قال: «لو كان القائمون بالاحتفاء بموسى بن ميمون قبل سنين ظفروا بهذا الشرح القيم، لقاموا بنشره إذ ذاك بكل اغتباط»[(١)].

يريد أن يقول: إن المسألة توافق، وليست عن اتفاق. والله أعلم.

والمهم أن الكوثري أخرج الكتاب في سنة (١٣٦٩هـ-١٩٤٨م) وهي السنة التي قامت فيها دولة إسرائيل بفلسطين، ولسان حاله يقول: إذا لم تكن هذه الدولة على مذهب الحشوية، فلتكن ما تكون!

وحتى لا يحسب أحدٌ أننا نتجنّى عليه - فضلاً عن شيخه التبريزي صاحب الفضل الأول- ننقل من مقدمته ما أنطق الله به لسانه، فهو يقول ضمن كلامه عن ابن ملكا اليهودي[(٢)] الذي أفسد الإسلام في نظره: «وقد أوتي ذكاءً وحسن بيان،

---

(١) المقدمات الخمس والعشرون، (ص٢٣).

(٢) هو أبو البركات هبة الله بن ملكا، فيلسوف، كان يهوديًّا ثم أسلم، وألف كتباً، أشهرها «المعتبر» مطبوع. ذكره شيخ الإسلام كثيراً ـ لاسيما في درء التعارض، ومنهاج السنة ـ ناقداً إياه بالعدل، كعادته، ووصفه بأنه من أمثل الفلاسفة طريقةً، وعلل ذلك بسلوكه طريقة النظر بلا تقليد، وكونه نشأ ببغداد بين علماء السنة والحديث، فاستنار بأنوار النبوات أكثر من صاحبيه: ابن سينا، وابن رشد. (منهاج السنة ١/ ٣٥٤،٣٤٨). فمقياس الشيخ دائماً هو الاستمداد من نور النبوة، أو عدمه، وصحة النظر العقلي أو فساده، دون النظر لمعايير الجاهلية، توفي ابن ملكا سنة (٥٤٧هـ). انظر عنه: الأعلام للزركلي (٨/ ٧٤).

مع مكر بالغ، وشغب ملبّس، يدس بها في غضون كلامه ما ورثه من عقيدة التشبيه من نحلته الأصلية، فيروج تلبيسه على من لم يؤت بصيرة نافذة تجلو الحقائق، يتظاهر بالرد على الفلاسفة في بعض مباحث المنطق والرياضيات والإلهيات، فيكون بذلك سبباً لرواج شغبه عند بعض محدِّثي الحشوية في تجويز حلول الحوادث[(١)] في الله سبحانه....

مع أن حلول الحوادث في ذات الله محالٌ عند المتكلمين والفلاسفة في آن واحد[(٢)]. بل بحلول الحوادث في العالم استدلوا على حدوث العالم[(٣)] ! فكيف يستجاز ذلك في مبدع العالم جل جلاله؟.

وإن انخدع بكلام ابن ملكا ابن تيمية في تلبيسه، وتسعينيته، وسبعينيته، ومنهاجه، ومعقوله[(٤)]...»

---

(١) حلول الحوادث هو الستار الوثني الذي يتخفى به منكرو صفات الله؛ كالرضا والغضب ونحوها، فينفونها زاعمين أن إثباتها إحلالٌ للحوادث بذاته تعالى.

(٢) لاحظ اتفاق المنهج بين الطائفتين، ثم انظر أيهما نقل عن الآخر.

(٣) صدق الكوثري في هذا، وهذا هو أساس البلاء فإنهم لم يستطيعوا إثبات وجود الله إلا بنفي صفاته؛ لأن هذا هو منهج المعلم الأول!

(٤) (ص١٠)، والكوثري يقصد كتب شيخ الإسلام الخمسة: بيان تلبيس الجهمية، التسعينية، السبعينية، منهاج السنة، موافقة صريح المعقول.

ثم قال في مقام مقارنة كتاب ابن ملكا «المعتبر» بكتاب ابن ميمون «دلالة الحائرين»: «فيستغرب من الشيخ الحراني –يعني شيخ الإسلام– إهماله لتلك البراهين المسرودة في «دلالة الحائرين» في تنـزيه الباري عن الجسمية، مع اطلاعه عليها، وأخذه بتلك المحاولة الساقطة في معقولة عند رده على السيف الآمدي قوله باستحالة تحديد الله بجهة؛ لاحتياج ذلك إلى مخصص كما هنا، على طبق ما صنع في أخذه عن ابن ملكا ما انفرد به عن النظار من تجويز حلول الحوادث في الله. تعالى الله عما يقول المجسمة والمشبهة علواً كبيراً».(١)

فالكوثري يتهم شيخ الإسلام –صراحة– بأن تلك الأسفار التي لم يُكتب في بابها مثلها قط– لا في قديم الدهر ولا حديثه– ما هي إلا اقتباسات من فكر رجل يهودي مغمور يدعى ابن ملكا!

فماذا يريد الكوثري بذلك؟ أهو كما قال المثل العربي: «رمتني بدائها وانسلت»؟

الحقيقة أن الأمر أعظم من ذلك!

فإن الكوثري من أعظم الناس تدليساً وتلبيساً، ومكراً ودهاءً، يعرف ذلك من تتبع شيئاً من كلامه ونقولاته، وإليك البيان:

---

(١) (ص٢١).

١- أن ابن ملكا اعتنق الإسلام كما نص المترجمون لحياته، ونقل الكوثري نفسه قول الظهير البيهقي عنه أنه «حسن إسلامه»، فلا مقارنة بينه وبين اليهودي الميت على كفره، بل الزنديق الذي ليس بمسلم ولا كتابي موسى بن ميمون، وغاية ما في الأمر أن الرجل لما أسلم اعتنق بعض الحق الذي عليه مذهب السلف، فشغب عليه الكوثري لاعتناقه مذهب الحشوية، لا لكونه يهودياً، وإلا فلماذا لم يشغب على صاحبه ابن ميمون؟ وهو الكافر الصريح؟

٢- لم يكتفِ الكوثري بالشغب على ابن ملكا واتهامه في دينه، بل اتهم شيخ الإسلام بالأخذ عنه والتلقي منه، فهو إنما طعن في الرجل توصلاً إلى الطعن في شيخ الإسلام، وافتعل لذلك مناسبة كون ابن ملكا يهودي الأصل، وأقحم ذلك كله في مقدمة كتاب ابن ميمون؛ لأنه كتابُ يهودي أصلاً، أشعري مضموناً ونصاً، فبهذا جعل القدر المشترك بين ابن ملكا الذي أسلم ووافق عقيدة السلف، وبين ابن ميمون الموافق للأشاعرة مع بقائه على يهوديته شيئاً واحداً، فانظر إلى هذا التلبيس والمكر والدهاء.

٣- أن الكوثري - على ما ظهر لي- يسره أن يقال عنه: «رمتني بدائها وانسلت»، وتبقى المسألة في هذا الحد، وذلك لكي يخفي ما هو أعظم من ذلك، وهي صلته بإسرائيل ولفنستون وجولدزيهر وغيرهما من يهود المستشرقين،[١]

---

(١) انظر مقدمة كتاب العقيدة والشريعة، لجولد زيهر (ص:ك)، حيث أسهم الكوثري أيضاً هناك.

وكذلك إخراجه لهذا الكتاب في أحرج موقف مر بين المسلمين واليهود؛ وهو قيام دولة إسرائيل.

٤-على كلام الكوثري يكون المسلمون جميعاً مقلدين في دينهم لفلاسفة اليهود! فأتباع السلف عنده -وعلى رأسهم ابن تيمية- هم من مقلدة ابن ملكا، والأشاعرة هم من مقلدة ابن ميمون. فالأمة الإسلامية إذن مهتديها وضالها- سائرة على خطى يهود!!

وربما يثار سؤالٌ هنا، وهو: إذا كان اليهود بهذه المنـزلة عند الكوثري وأساتذته، فمن هو الخطير على الإسلام إذن؟

والجواب: نأخذه من كلام الكوثري نفسه:

إنهم أهل السنة والجماعة!! فهو يقول عن أهل الحديث في الهند: «وبعض طوائف الهنود أصبحوا أضر على الإسلام من اليهود»[(١)].

١٥ – وقال الشيخ الشمس الأفغاني ـ رحمه الله ـ: [(٢)]

---

(١) في تعليقه على «تبيين كذب المفتري»، (ص٣٩٥)، وهو إن كان أدخل معهم غيرهم في هذا الحكم، لكنهم هم المقصودون من السياق، وحسبه أنه أدخلهم مع الطوائف المجمع على كفرها!!

(٢) في رسالته الحافلة: «عداء الماتريدية للعقيدة السلفية»، (١/ ٣٤٠-٣٧٦).

«الأستاذ محمد زاهد بن الحسن التركي الجركسي الكوثري (ت١٣٧١)، كان على حظ وافر من العلوم النقلية والعقلية وذا ملكة تامة قوية في اللغة العربية، وكان له اطلاع واسع على المخطوطات في خزانات العالم، وجرأة في مجاهرة ما يعتقد، ولكن مع ذلك قد جمع من الأفعال الذميمة الكثيرة من الخيانة والكذب والتحريف والتلبيس والتدليس لتحقيق ما يهواه والعداوة الشديدة للعقيدة السلفية وحامليها، وكتبهم من أئمة السنة قديماً وحديثاً، والطعن فيهم ولعنهم وسبهم، ورفع راية التعطيل ومناصرة الجهمية، والخرافات القبورية، والتعصب للمذهب الحنفي بكل باطل.

وبالجملة؛ لم يعرف في أهل البدع مبتدع جمع بين هذه المثالب كما جمع هذا الكوثري، فهو ساقط عن الديانة والأمانة إلى دركِ الفسق والخيانة.

وإليك بعض التفصيل عن هذا الرجل في عدة فقرات:

أ- أما اطلاعه الواسع على العلوم فلا يحتاج إلى بيان، ولكن علمه كان وبالاً عليه، حيث استخدمه في الباطل.

ب- وأما جرأته وصراحته؛ لمناصرة الباطل.

فيقول الكوثري ـ في هذا الصدد ـ عن نفسه: «أما الكوثري فهو ـ ولله الحمد ـ ناصع الجبين، جبان رعديد، لا يجترئ على تخطي حدود ما أنزل الله تعالى في ذاته، وصفاته، وأحكام شريعته، ولكنه بطل كرار، حنيفي حنفي، يهد الأصنام

صغيرها وكبيرها، ويسحق رؤوس عبادها، بمقامع الحجج من الكتاب والسنة والمعقول، ما دام له عرق ينبض، وكتاباته، ولا سيما الرد على نونية ابن القيم دواء شاف للمرضى بداء التجسيم والوثنية»[١].

قلت: انظر أيها المسلم إلى جرأة هذا الكوثري كيف يجاهر بشتم أئمة السلف بعدّه إياهم أصناماً، ورمي أهلِ السنة بأنهم عباد الأصنام، ورمي العقيدة السلفية بالتجسيم والوثنية؟

ويقول أحد الكوثرية ـ وهو الشيخ محمد يوسف البنوري الديوبندي (ت١٣٩٧هـ)[٢] في الثناء على الكوثري: «فهو سمح هين لين مع كل من صاغ صوابه خطأً، وأما من أراد التلبيس في الحق، والتدليس في الدين، فهو معذور في ذلك لا يستطيع اللين معه».[٣]

ويقول البنوري: «هو محتاط متثبت في النقل متيقظ لكل مدلول الكلام،

(١) مقالات الكوثري: (ص٣٣٦)، مقالة بعنوان: «الصراع الأخير بين الإسلام والوثنية»، ويعني بالوثنية السلفية!

(٢)حنفي ماتريدي ديوبندي كوثري متعصب، ترجمته في معجم المستدرك على معجم المؤلفين لرضا كحالة، (ص٧٦٣)، وتشنيف الأسماع: (ص٥٨٦-٥٩١)، وله مقدمة مسمومة لمقالات الكوثري تكشف عن حقيقته.

(٣) مقدمة البنوري لمقالات الكوثري: و.

مطابقة، والتزاماً، بكل صنوف الدلالات؛ انظر إلى أبلغ كتابة له في الرد على نونية ابن القيم، وأقسى لهجة في كتبه،هل تجد فيه مغمزاً، وكان سيفاً صقيلاً، وصارماً مسلولاً، ومهنداً مشهوراً، لم يستطيعوا له فلة فيه، رواية ولا دراية، في عشرين سنة، مع غاية عدائهم إياه في هذا الموضوع».[١]

ويقول: «هو متصلب في المعتقد كصخرة صماء، منتصر للماتريدية غاية الانتصار، حارس متيقظ يذب عن حريم الحنفية كل حملة شنعاء، ولا تجد لصارمه نبوة، ولا لجواده كبوة في هذا الصدد».[٢]

انظر أيها المسلم طالب الحق والإنصاف إلى هذا البنوري الديوبندي الكوثري المقلد الأعمى له كيف يجازف في الثناء على الكوثري بقوله: «محتاط متثبت في النقل»؟!

وقد علم أهل عصره أن الكوثري نسيج وحده في الخيانة والتدليس والتلبيس والتحريف حتى بشهادة بعض تلامذته وأصدقائه كما سيأتي قريباً. ثم كيف يقول: «وأما من أراد التلبيس في الحق، والتدليس في الدين فلا يستطيع اللين معه؟» مع أنه

---

(١) المرجع المذكور: ز.

(٢) المرجع المذكور: ز.

وحيد دهره في السب والشتم واللعن والطعن في أئمة الإسلام ورميهم بالتجسيم والتشبيه بل بالوثنية والكفر والشرك، والنفاق، والزندقة، والإلحاد؟!

فهل كان أئمة الإسلام أمثال عبدالله بن أحمد، والدارمي، وابن خزيمة، والدارقطني، وابن تيمية وغيرهم يريدون التدليس في الدين والتلبيس في الحق؟

أما تعليقات الكوثري في الرد على نونية الإمام ابن القيم فهي أغور كتاباته في الضلال والإضلال والتلبيس والخيانة والتحريف والشتائم لأئمة الإسلام، فكيف يجوز لمسلم أن يقول: «أبلغ كتابة له... هل تجد فيه مغمزاً؟»؟!

وإذا لم يكن السباب الشنيع والشتم الفظيع لأئمة الإسلام ورميهم بالكفر والشرك والوثنية مغمزاً فماذا هو المغمز؟!

ثم قول هذا البنوري الكوثري: «لم يستطيعوا فلة فيه رواية ولا دراية في عشرين سنة» من أعجب العجاب! أتعامى هذا البنوري عن «التنكيل...»؟ هذا الكتاب العظيم لذهبي العصر العلامة المعلمي (ت١٣٨٦هـ) الذي صرع فيه الكوثري بل الكوثرية جمعاء.

وهذا الكتاب في الحقيقة يستحق أن يقال في الثناء عليه ـ بحق ـ إنه لم يستطيعوا فلة فيه لا رواية ولا دراية حتى الآن مع غاية عدائهم إياه، وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات، وقد مر عليه أكثر من عشرين سنة.

هذه كانت نبذة من جرأة هذا الرجل ومجاهرته بالباطل.

ج- موقفه من توحيد الألوهية، فالكوثري في هذا الصدد قبوري محض خرافي، بحت، ويُجوز تحت ستار التوسل: بناء القبب والمساجد على القبور، بل الصلاة إليها والاستغاثة بالأموات وغيرها من الشركيات، ويطعن في حديث علي رضي الله عنه في هدم القبور المشرفة، وحديث جابر في النهي عن تجصيص القبور[١].

وكلاهما رواه مسلم في صحيحه وغيره من الأئمة[٢].

وللكوثري مقالتان خطيرتان مكتظتان بخرافات قبورية وشركيات صريحة.

إحداهما بعنوان: «بناء المساجد على القبور والصلاة إليها»[٣].

والأخرى بعنوان: «محق التقول في مسألة التوسل»[٤].

---

(١) انظر مقالات الكوثري: (ص١٥٩).

(٢) حديث علي رواه مسلم: (٢/ ٦٦٦)، وأبوداود: (٣/ ٥٤٨)، والترمذي: (٣/ ٣٥٧)، والنسائي: (٤/ ٨٨)، وأحمد: (١/ ٩٦، ١٢٩).

وحديث جابر رواه مسلم: (٢/ ٦٦٧)، وأبوداود: (٣/ ٥٥٢)، والترمذي: (٣/ ٣٥٩)، والنسائي: (٤/ ٨٦، ٨٧، ٨٨)، وابن ماجه: (١/ ٤٩٨)، وأحمد: (٣/ ٢٩٥، ٣٣٢، ٣٩٩). وانظر ما يأتي في (٣/ ٢٤٢-٢٤٨).

(٣) مقالات الكوثري: (١٥٦-١٥٩).

(٤) المصدر المذكور: (٣٧٨-٣٩٧)، وانظر: تبديد الظلام: (١٥٥-١٦٢).

وسنذكر بعض نماذج خرافاته الشركية في فصل: تعطيلهم لصفة الألوهية إن شاء الله تعالى[١].

د- وأما عداوته للعقيدة السلفية وحامليها من أئمة السنة وكتب السنة؛ فحدث ولا حرج.

فهو يجاهر بغاية صراحة دون وازع ولا حياء ولا تقى بالطعن في العقيدة السلفية التي اعتنقها أئمة السنة أصحاب الحديث أهل السنة والجماعة أمثال: أحمد ابن حنبل، والبخاري، والترمذي، وأبي داود، وابن خزيمة، والدارمي، وغيرهم - بأنها: «الوثنية الخرقاء»، و«الوثنية الأولى»، و «النحلة التي تمت إلى الوثنية بأوثق وشيجة»، و«الوثنيات»، و «المعتقد الصريح في الوثنية»، و«الوثنية الصريحة»، و«الوثنية بعد الإسلام»، و «الوثنية في الإسلام»، و«الوثنية الملبسة بلباس السنة»، و«منطق البادية والوثنية»، و«خيالات الوثنية»، و«آراء الوثنية»، و«أساطير الوثنية»، و«دسائس الوثنية»، و «النحلة الوثنية»، و«تحذير الأمة من دعاة الوثنية»، و«الصراع الأخير بين الإسلام والوثنية»[٢]، و«الكفر المكشوف»،

---

(١) انظر: «الماتريدية»؛ (٣/ ٢٨٥-٢٩٦).

(٢) مقالات الكوثري: (٢٨٧، ٢٩٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٣٨)، وغيرها، تبديد الظلام: (٤١، ١٥٤)، وتعليقاته على الأسماء =

و«صرائح الكفر الناقل عن الملة »، و «الكفريات»، و «فهل بعد هذا كفر»، و «كفر مكشوف»، و «الكفر القبيح»، و «الكفر ونحوه»[١]، و «كتاب التوحيد لابن خزيمة كتاب الشرك»[٢].

وهكذا يرمي أئمة الإسلام بالوثنية فيقول في حقهم جهاراً:

«الوثنيون»، «الوثنية»، «للحشوية نسب عريق في الوثنية»، «دعاة الوثنية»، «المرضى بداء التجسيم والوثنية»، «تحذير الأمة من دعاة الوثنية»[٣].

هـ- أما رميهم بالحشوية والمجسمة والمشبهة فحدث ولا حرج.

وهكذا رمى كبار أئمة هذا الدين واحداً واحداً بالخصوص، وإليك بعض النماذج:

والصفات، للبيهقي: (٤٠٧، ٤٤٣، ٤٤٤)، وتعليقاته على تبيين كذب المفتري: (١٨)، وانظر أيضاً مقدمته لتبديد الظلام، ومقدمته لتبيين كذب المفتري. ترى عجائب الغرائب.

(١) مقالات الكوثري: (٣٠١، ٣٠٥، ٣٠٣، ٣٢٠، ٣٢٥)، تبديد الظلام: (١١٤).

(٢) تأنيب الكوثري: (٢٩).

(٣) مقالات الكوثري: (٣٣٢، ٣٢٧، ٣٢٦، ٣٠٧، ٣٠١، ٣٢٥، ٣٣٦)، وتعليقاته على الأسماء والصفات: (٣٥٢، ٣٥٦، ٤١٩، ٤٠٧).

١ - رمى راوية الصفات الإمام حماد بن سلمة بن دينار (ت١٦٧هـ):

بأنه «مشبه»، وأنه: «أداة صماء في أيدي المشبهة»[(١)].

ويقول الكوثري: «الدفاع عن حماد بن سلمة لا يصدر إلا ممن لا يعي ما يقول، فتباً لعقل يستسيغ الوثنية في الإسلام ويحاول الدفاع عن ضعفاء الأحلام».[(٢)]

مع أن هذا الإمام دافع عنه أمثال ابن المبارك، وابن معين، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، وغيرهم من أئمة هذا الشأن.

فمن كلام عبدالله بن المبارك: «دخلت البصرة فما رأيت أحداً أشبه بمسالك الأول من حماد بن سلمة».[(٣)]

وقال ابن معين والإمام أحمد وابن المديني، واللفظ للأول: «إذا رأيت إنساناً يقع في عكرمة، وحماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام».[(٤)]

وشهد له الإمام أحمد بقوله: «لا أعلم أحداً أروى في الرد على أهل البدع

---

(١) انظر التأنيب: (١٨٦، ١٨٩).

(٢) تعليقاته على الأسماء والصفات: (٤٤٤).

(٣) تهذيب الكمال: (٧/ ٢٦٢)، تهذيب التهذيب: (٣/ ١٢).

(٤) تهذيب الكمال: (٧/ ٢٦٣)، تذكرة الحفاظ: (١/ ٢٠٣)، تهذيب التهذيب: (٣/ ١٥).

منه»[(١)].

فهل أمثال ابن المبارك وابن معين وأحمد بن حنبل وابن المديني وغيرهم ممن دافعوا عن هذا الإمام ـ كلهم كانوا لا يعون ما يقولون؟ وهل كلهم كانوا يستسيغون الوثنية في الإسلام؟ وهل كلهم كانوا يحاولون الدفاع عن ضعفاء الأحلام؟ ـ فاعتبروا يا أولي الأبصار!

وكيف يصح هذيان الكوثري: «إنه مشبه»؟ وقد سمعت ابن المبارك يشهد له بأنه أشبه بمسالك الصحابة رضي الله عنهم، فهل الصحابة كانوا مشبهة عند هذا الجركسي الكوثري؟؟

ومن حسن الحظ أن الحنفية ومنهم الكوثري يعدون ابن المبارك وابن معين من الحنفية[(٢)] وهما قد شهدا لحماد بن سلمة كما سمعت.

بل ظهر لنا بشهادة أحمد بن حنبل وابن معين، وابن المديني: أن الكوثري متهم على الإسلام، حيث طعن في هذا الإمام راوية أحاديث الصفات، فلعل هذا

---

(١) تهذيب الكمال: (٧/ ٢٥٩).

(٢) انظر عن ابن المبارك، الجواهر المضية: (٢/ ٣٢٧)، وفقه أهل العراق: (٦١)، وانظر عن ابن معين فقه أهل العراق: (٦٤)، فقد جعله الكوثري حنفياً صلباً متعصباً.

الجركسي تبرقع بالإسلام ليكيد لأئمة الإسلام!؟

٢- الإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ):

الذي تخرج على أمثال أحمد بن حنبل وابن المديني وابن راهويه، وابن معين في الحديث، وعلى البويطي في الفقه، وعلى ابن الأعرابي في اللغة، وكان أحد الأعلام الثقات، واسع الرحلة، جامع حديث شعبة والسفيانين، ومالك وحماد بن زيد، حتى بشهادة تاج الدين السبكي واعترافه.(١)

ومع ذلك يرميه الكوثري بأنه: «المجسم المسكين»، «المجسم الفاقد العقل»، «إمام المجسمة»، «مجسم مكشوف الأمر يعادي أئمة التنزيه»، «هذا الأخرق»، «هذا الخاسر»، «هذا الهرم»، «صاحب العقل الوثني» إلى آخر الهذيان.(٢)

والحقيقة أن الهدف من وراء ذلك: القدح والطعن في عقيدة الإمام أحمد بن حنبل مباشرة، غير أن الكوثري لم يستطع القدح في عقيدته هكذا جهاراً وصراحة، أما همزه ولمزه وطعنه في الإمام أحمد فواضح فاضح.

٣- الإمام ابن الإمام: عبدالله بن أحمد (ت٢٩٠هـ):

---

(١) انظر طبقات الشافعية: (٢/ ٣٠٢-٣٠٤)، والسبكي من أئمة الكوثري!

(٢) انظر مقالات الكوثري: (٢٨٥، ٢٨٧، ٢٩٠، ٣٠٨، ٥٧٣، ٢٨٣، ٣٠٣، ٢٨٢، ٢٨٤، ٣٠٢، ٣٠٥)، وتأنيب الكوثري: (٢٦)، وإمتاعه: (٦٣-٦٤).

الذي تربى في كنف إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، واهتم بتربيته أبوه تربية خاصة اهتماماً بالغاً.

وألف في عقيدة أهل السنة والجماعة، ولا سيما الإمام أحمد كتابه العظيم «كتاب السنة».[(١)]

يقول فيه الكوثري: «لم يتمكن من المضي على سيرة أبيه حتى ألف هذا الكتاب تحت ضغط تيار الحشوية، وأدخل فيه بكل أسف ما يجافي دين الله وينافي الإيمان به فَضَلَّ به أصحابه»، «سجل في كتابه الآراء الوثنية»، «فهل يشك مسلم في خروج من يعتقد ذلك من الإيمان إلى الوثنية الصريحة».

ثم الكوثري يرميه بأنه من الرواة المغفلين الذين دس عليهم عبدة النار واليهود عقائدهم، ثم يرميه بمتابعة النصارى، وبالمخادعة للمسلمين.

كما يرمي «كتاب السنة» لهذا الإمام بأنه «كتاب الزيغ، وكتاب الوثنية

---

(١) راجع لمعرفة مكانة هذا الإمام: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: (٥/ ٧)، تاريخ بغداد: (٩/ ٣٧٥-٣٧٦)، طبقات الحنابلة: (١/ ١٨٠-١٨٨)، المنتظم: (٦/ ٣٩-٤٠)، تهذيب الكمال: (١٤/ ٢٨٥-٢٩٢)، سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٥١٦-٥٢٦)، تذكرة الحفاظ: (٢/ ٦٦٥-٦٦٦)، تهذيب التهذيب: (٥/ ١٤١-١٤٣).

والتجسيم، والتشبيه»[(١)].

أيها المسلم: انظر إلى جرأة هذا الهاذي وإقذاعه في الشتائم والسباب والتكفير لأئمة الإسلام، فإذا كانت عقيدةُ هؤلاء الأئمة أعلام الإسلام ـ عقيدةً وثنيةً ـ فمن الموحد؟ أأفراخ الجهمية الأولى؟ أم أتباع ابن سينا وغيره من القرامطة، الباطنية، والحلولية الاتحادية، والقبورية والماتريدية؟

وكيف دسَّ المجوس واليهود والنصارى عقائدهم على عبد الله بن أحمد؟ مع أنه أخذ العقيدة عن أبيه، فهل كان الإمام أحمد من اليهود والنصارى والمجوس؟! وبهذه الحيلة يطعن الكوثري في الإمام أحمد.

٤- إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت٣١١هـ) صاحب الصحيح، وكتاب التوحيد:[(٢)]

يقول فيه الكوثري: «عريق في التعصب جامع بين التعنت البالغ والتساهل المرذول، رمي بقلة الدين والزندقة، وكتاب التوحيد له في الحقيقة، كتاب الشرك؛ لما حواه من الآثار الوثنية، ظهرت نحلتهم الوثنية بنشر نقض الدارمي، وسنة عبدالله،

(١) انظر مقالات الكوثري: (٣٢، ٣٣٢، ٣٢٣،٣٢٤، ٣١٥، ٣٠٧، ٣٠١، ٣٢٦،٣٢٩، ٣٣٨).

(٢) راجع لبيان إمامته وعلو كعبه بين أئمة الإسلام حتى على لسان السبكي في طبقاته: (٣/ ١٠٩- ١١٩)، والسبكي من أئمة الكوثري في أهوائه!

وتوحيد ابن خزيمة»[١]

إلى آخر النعيق والنهيق اللذين هما من ميزات هذا الكوثري في حق أئمة الإسلام.

سبحان الله! هل يكون الكوثري صحيح الإسلام طاهر المعتقد؟ وأئمة الإسلام مرميون بالتعصب والتعنت، وقلة الدين، والزندقة، وكتبهم كتب الشرك تحوي الوثنية، وتَظهر النحلة الوثنية بنشر كتبهم؟! سبحانك هذا بهتان عظيم، والله المستعان على ما يصفون.

وهل يقبل قول كل ناهق، وناعق، وناقق في أئمة الإسلام؟

٥- الإمام الحافظ الناقد شيخ الإسلام ابن الحافظ الكبير[٢]، الإمام ابن الإمام، والحافظ ابن الحافظ،[٣] عبدالرحمن بن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ):

يهذي فيه الكوثري كثيراً؛ منه قوله: «مسكين فاسد المعتقد، حتى أصبح

---

(١) انظر تأنيب الكوثري: (٢٩،١٣٣)، تبديد الظلام: (١٠٨)، تعليقاته على الأسماء والصفات: (٢٦٧)، ومقالاته: (٣١٥،٣٣٠)، وانظر أيضاً مقدمته للأسماء والصفات للبيهقي: ب.

(٢) تذكرة الحفاظ: (٣/ ٨٢٩).

(٣) طبقات الشافعية للسبكي: (٣/ ٣٢٤)،وفيه عبرة للكوثرية!

ينطوي على العداء لمتكلمي أهل الحق، وذكر في كتابه «الرد على الجهمية» ما يدل على ما أصيب به عقله، فسبحان قاسم العقول، يجهل علم الكلام ومع ذلك يدخل في مضائق علم أصول الدين، مباعداً التفويض، والتنزيه، فتزل قدمه».(١)

قلت: أما المتكلمون فهم أهل البدعة والباطل، وليسوا بأهل الحق باتفاق أئمة السنة، وأما تفويض المتكلمين فسيأتي أنه في الحقيقة تقول خطير على السلف؛ لأن تفويض السلف تفويض في الكيف دون المعنى.

وأما تنزيه المتكلمين فهو في الحقيقة تعطيل أولاً وتشبيه آخراً فيجب تنزيه الله تعالى من تنزيههم كما سيأتي تحقيقه أيضاً.

وأما رمي الكوثري لهذا الإمام العظيم بأنه مسكين، فاسد المعتقد، أصيب في عقله فهذا من قبيل: «رمتني بدائها وانسلت»، وأئمة الإسلام على حظ وافر من العقل السليم الصريح، كما أنهم على المعتقد الصحيح ـ ولله الحمد ـ حتى باعتراف بعض كبار الحنفية.

وسنذكر الشيء الكثير من نماذج واقعية لفساد معتقد هؤلاء المتكلمين وفساد عقولهم إن شاء الله تعالى، فالمساكين المتهوكون هم المتكلمون!

---

(١) انظر تأنيب الكوثري: (١٦٧،١٦٨).

٦- الإمام أبو الحسن عمر بن أحمد الدارقطني صاحب السنن (ت٣٨٥هـ):

تفوح ألسنة العلماء وكتب الجرح والتعديل بفضائل هذا الإمام حتى تاج الدين السبكي حيث يقول في الثناء عليه: «الإمام الجليل، سيد أهل عصره، إمام زمانه، شيخ أهل الحديث، أوحد عصره في الحفظ، والفهم، والورع، إمام القراء النحويين، فريد عصره، قريع دهره نسيج وحده، إمام وقته، انتهى إليه علم الأثر، والمعرفة بعلل الحديث، وأسماء الرجال مع الصدق، والثقة، وصحة الاعتقاد، والاضطلاع من العلوم سوى علم الحديث منها: المعرفة بمذاهب الفقهاء، والأدب والشعر» إلى آخر ما ذكره من ميزاته التي تحير العقول، كل هذه بشهادة السبكي إمام الكوثري.[(١)]

لكن الكوثري لفساد معتقده يقدح في هذا الإمام ويطعن في عقيدته بهتاناً وعدواناً فيقول: «والدارقطني هو الذي يهذي..، وهو الأعمى المسكين بين عور حيث ضل في المعتقد وتابع الهوى في الكلام على الأحاديث، واضطرب».

ويقول: «يكون قوله هذا هذياناً بحتاً، وسفهاً صرفاً..لأن الله سبحانه أعمى

---

(١) طبقات الشافعية: (٣/ ٤٦٢-٤٦٦).

بصيرة هذا المتسافه في صفات الله سبحانه وتعالى، حتى دوّن في صفات الله سبحانه ما لا يدوّنه إلا مجسّم..كما أعمى بصيرة كثير من زملائه وهو معهم في الفروع، فإذن هو فاقد البصر في المعتقد كما أنه فاقد البصر في الفروع، ومن يكون فاقد البصرين يكون هو الأعمى بين أناس عور» إلى آخر الهذيان الذي هذى به الكوثري في هذا الإمام.(١)

قلت: ماذا تكون قيمة ديانة الكوثري وأمانته بعد ما شهد السبكي لهذا الإمام بصحة الاعتقاد، والإمامة في علوم الحديث ومذاهب الفقهاء؟؟

ولنعم ما قيل:

وهبني قلت: هذا الصبح ليل   أيعمى العالمون عن الضياء

٧- الإمام المحدث الحافظ الحجة الثقة الثبت المتقن المجود شيخ السنة، وشيخ الحرم المجمع على إمامته وديانته بشهادة كبار أئمة الإسلام أهل الجرح والتعديل وراوي حديث المسلسل بالأولية:

أبو نصر عبيد الله بن سعيد الوائلي السجزي الحنفي، السلفي العقيدة (ت٤٤٤هـ).(٢)

---

(١) تأنيب الكوثري: (٢٦١،٢٤٤-٢٦٢)، وانظر أيضاً: (٢٣٩).

(٢) انظر علو مكانته وعظيم إمامته وجليل منزلته وديانته بين أئمة الإسلام في: الأنساب:

=

ومع ذلك كله ترى الكوثري جمع شتائم من قبله من أئمة التأويل للطعن في هذا الإمام العظيم، وزاد من كرشه ما لا يصدر إلا عن أسوأ الشعراء الماجنين.

وإليك نماذج من تلك الشتائم والعظائم ليَعرف المسلمون حقيقة هذا الجركسي وأنه ساقط عن منزلة الديانة والأمانة، والنزاهة، كما يعرفوا حقيقة من سايره من الكوثرية، وبعض الديوبندية.

فمن تلك الشتائم والعظائم: «المنافق، الحائد بجهله عن الحقائق»، و «اللعين، الطريد، المهين، الشريد»، و «التيس»، و «الرذل، الخسيس، الأحقر»، و «الغرّ، المتمادي في الجهل، المصر»، و «الأحمق، الأخرق».

ورماه بما يلي من الكلمات التالية أيضاً:

«غمرات الجهل»، و «سخافة العقل»، و «مخايل الحمق»، و «الخرق والحمق»، و «كثرة العوار و الشنار»، و «فحش التشبيه، وصمة التجسيم».

(١٢/ ٢١٧-٢١٨)، اللباب: (٣/ ٣٥٣)، سير أعلام النبلاء: (١٧/ ٦٥٤-٦٥٧)، العبر: (٢/ ٢٨٥-٢٨٦)، تذكرة الحفاظ: (٣ /١١١٨-١١٢٠)، طبقات الحفاظ: (٤٢٩)، شذرات الذهب: (٣/ ٢٧١-٢٧٢)، وانظر من كتب الحنفية: الجواهر المضية: (٢/ ٤٩٥)، تاج التراجم: (٣٩).

ولعنه فقال: «فأفٍ له ولخرقه»، «فعليه لعائن الله تترى، واحدة بعد واحدة» وقال فيه: «يتكلم في صفات تعالى على جهله وسخافة عقله»، و «وما رأيت جاهلاً أجسر على التكفير، وأسرع على التحكم على الأئمة من هذا الأخرق»، «وتكلم السجزي في النزول، والانتقال، والزوال والاتصال و الانفصال، والذهاب والمجيء.. ومن قال بذلك حلّ دمه»، إلى آخر ذلك الهذيان والبهتان والعدوان في حق هذا الإمام.

والكوثري أنكر كونه حنفي المذهب وصرّح بأنه شافعي المذهب، مع أنه مترجم في طبقات الحنفية وليس له ذكر في الشافعية،[1] وهذا لون آخر من الكذب والتلبيس والتدليس، فالكوثري خائن بائن.

٨- شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ):

تكفير الكوثري لشيخ الإسلام وتضليله وتبديعه وشتائمه له مما لا يخطر بالبال، فقد جمع الكوثري ذلك كله عن كل من هب ودب، وعن كل متهور مبتدع عدو لشيخ الإسلام، وأقره الكوثري وزاد من عند كرشه ما أنجس به لسانه وبنانه هذا الكوثري الفاسق، الثرثري المارق.

وهذه بعض النماذج:

* «صار كفره مجمعاً عليه».[2]

---

(١) انظر السيف الصقيل للتقي السبكي، مع تعليقات الكوثري المسماة بتبديد الظلام: (١٩-٢٠، ١٥٤).

(٢) انظر مقدمة الكوثري للرسائل السبكية: (٢٧،٢٤،٤٨،٣٥،٧٩)، تبديد الظلام: (١٥٦).

* «وقع الاتفاق على تضليله وتبديعه وزندقته»،[١] «ليس من الفرق الثلاث والسبعين».[٢]

* ورماه بالنفاق ونقض دعائم الإسلام.[٣]

* «فهل يتصور أن ينطق مبتدع مارق بأصرح من هذا في وسط المسلمين».[٤]

* «مجسم، عنده تجسيم صريح، من الغلاة في التجسيم، أربى على الكرامية، من الغلاة في التشبيه».[٥]

* «وارث علوم صابئة حران حقاً، والمتسلف من السلف ما يكسوها كسوة الخيانة والتلبيس»،[٦] «الماجن المتجري»، «المارق»، «الخبيث»، «كذاب أشر على السلف والخلف»، «أفاك»، «مفتر»، «مخرف»، «حاطب ليل الهدار المهذار»، «الفاتن

---

(١) مقدمته للرسائل السبكية: (٢٧،٢٨)، تبديد الظلام: (٨١).

(٢) تبديد الظلام: (١٦٧).

(٣) تبديد الظلام: (٨١،١٦٦)، ومقدمة الرسائل السبكية: (٣٤).

(٤) تبديد الظلام: (١٤٠)، مقدمة الرسائل السبكية: (٥٢).

(٥) انظر تبديد الظلام: (١٧،٨٠،٦٣)، مقالات الكوثري: (٢٨٥)، مقدمته للرسائل السبكية: (٧٩).

(٦) تبديد الظلام: (٨٠).

بالمعنى الصحيح»، «المفتون». (١)

※ «ملبس»، «الضال المضل»، «آية في التضليل»، «من أئمة الضلال»، «أضلّ كثيراً من العباد»، «زائغ اعتقاداً وعملاً»، «وهذا الخبيث من أعظم الزائغين»، «غال»، «جاهل»، «المسكين»، «من الغلاة في السفاهة»، «مصاب في عقله أو دينه»، «مبتدع»، «من أهل البدع»، «أسوأ حالاً من الفلاسفة النافين للحشر»، «أربى على المعتزلة»، «أربى على الكرامية في الزيغ»، «عبد خذله الله وأعماه، وأصمه، وأضله، وأذله». (٢)

※ «إن كان ابن تيمية لا يزال شيخ الإسلام فعلى الإسلام السلام». (٣)

※ «ومن أحاط علماً بما نقلناه... واستمر على مشايعته، وعلى عده شيخ الإسلام فعليه مقت الله وغضبه». (٤)

---

(١) تعليقات الكوثري على ذيول تذكرة الحفاظ للذهبي: (١٨٧)، تبديد الظلام: (١٤٠، ١٦، ١١٨، ١٨٦)، مقالات الكوثري: (٢٨)، مقدمته للرسائل السبكية: (٢١، ٥٩، ٦٠، ٥٥، ٣٠، ٥٢).

(٢) انظر مقدمة الكوثري للرسائل السبكية: (٢٩، ٣٠، ٣٢، ٥٤، ٥٥، ٧٩، ١٩، ٢٧). تبديد الظلام: (٧، ٩، ١٦، ١٧، ١٨، ٣٠، ٦٣، ٦٧، ٨٠، ٨٤، ١٠٥)، وتعليقات الكوثري على ذيول تذكرة الحفاظ للذهبي: (١٨٨).

(٣) الإشفاق: (٨٩).

(٤) تبديد الظلام: (١١٨-١١٩).

* «ولو قلنا: لم يُبل الإسلام في الأدوار الأخيرة بمن هو أضر من ابن تيمية في تفريق كلمة المسلمين ـ لما كنا مبالغين في ذلك، وهو سهل متسامح مع اليهود والنصارى».(١)

* «كأنه [يعني ابن القيم] وشيخه كانا يحاولان القضاء على البقية الباقية في الإسلام ومن علوم الإسلام، إتماماً لما لم يتم بأيدي المغول».(٢)

* ذكر الكوثري تمهيداً طويلاً في تاريخ الوثنية وأنها كيف دبت إلى الإسلام مرة ثانية ـ بعد ما انقشعت بظهور الإسلام ـ؟

فحاصل ما يرمي إليه الكوثري الكذاب البهات الخداع: أن الوثنية دخلت إلى الإسلام من طريق المحدثين، وآخرهم شيخ الإسلام ابن تيمية، إنا لله وإنا إليه راجعون!.

فيقول الكوثري: «... وكان أخطر هؤلاء الأعداء على الدهماء، وأبعدهم غوراً في الإغواء، أناساً ظهروا بأزياء الصالحين بِعُيُونٍ دامعةٍ كَحِيْلَةٍ، ولِحَىً مُسَرَّجَةٍ طويلةٍ، وعمائم كالأبراج، وأكمامٍ كالأخراج، يحملون سبحات كبيرةٍ

---

(١) الإشفاق: (٨٦).

(٢) تبديد الظلام: (٣٩).

الحباتِ، ويتظاهرون بمظهر الدعوة إلى سنة سيدِ الساداتِ ﷺ، مع انطوائهم على مخازٍ ورثوها عن الأديان الباطلة، والنحل الآفلة..إلى أن نبغ في أواخر القرن السابع بدمشق حراني، تَجَرَّدَ للدعوة إلى مذهب هؤلاء الحشوية السخفاء».(١)

قلت: لقد تتبعت شتائم الكوثري لشيخ الإسلام فتجاوزت المئات فسئمت من تتبعها فتركت.

وفيما ذكرت من النماذج عبرة بالغة، وحجة دامغة على أن هذا الجركسي عدو الإسلام الصحيح، وحاقد على أئمة الإسلام، وأنه كذاب بهات، نسيج وحده في الكذب والبهت والخيانة، فهو ساقط من مكانة الديانة والأمانة؛ فالكوثري فاسق مارق، محتال دجال.

لأن سيرة شيخ الإسلام مدونة في كتب أهل الإسلام.

فمن ذا الذي حقن الله به دماء المسلمين وحفظ أعراض نسائهم - بما فيهم الماتريدية والأشعرية، ورد به كيد التتار من الشام غير شيخ الإسلام؟ وجاهد وقاتل ضدهم باللسان والسنان حين تخلى عن نصرة الإسلام هؤلاء الماتريدية، والأشعرية وغيرهم.

---

(١) تبديد الظلام: (٢-٥).

وبهذا احتج عليهم شيخ الإسلام في تلك المناظرة التاريخية التي بها أفحمهم، وفيها عبرة لهم[١]، فكان الواجب عليهم أن يشكروه، ولكن هؤلاء كفروه بدل أن يشكروه.

ومن ألَّف هذا الكتاب العظيم «منهاج السنة» في الرد على الرافضة السبئية اليهودية؟

ومن ألَّف هذا الكتاب العظيم: «الصارم المسلول على شاتم الرسول» ضد هذا النصراني الذي شتم الرسول صلى الله عليه وسلم؟[٢]

ومن ألَّف «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» ذلك الكتاب القيم؟

ومن تكلم هذا الكلام الشديد العنيف مع السلطان في إذلال أهل الذمة من اليهود والنصارى؟[٣]

فكيف يصح بعد هذا كون شيخ الإسلام وثنياً متسامحاً مع اليهود والنصارى؟ قاتل الله الدجالين المحتالين الباهتين المائنين.

---

(١) انظر: العقود الدرية: (٨٣، ١١٩، ١٢٢-١٤٢)، البداية والنهاية: (١٤/ ١٥-١٦).

(٢)انظر: البداية والنهاية: (١٣/ ٣٣٥-٣٣٦).

(٣) المرجع نفسه: (١٤/ ٥٤).

وأما بالنسبة إلى وصفه بشيخ الإسلام ـ فمن يرتاب فيه من المتهورين فليرجع إلى «الرد الوافر»، وعليه تقريظات لكثير من كبار الحنفية، منهم الإمام البدر العيني (٨٥٥هـ)، وفي تقريظه عبرة للكوثري والكوثرية ومن سايره من بعض الديوبندية، وهو حري بأن يكتب بحبر الذهب، وبأقلام الزبرجد على ألواح القلوب، وقد رأيت أبا غدة الكوثري وصفه بشيخ الإسلام مرات.[1]

فهل أصاب أبا غدة دعاءُ شيخه الكوثري ومقته ولعنه وغضبه؟ [2]

وأما ما ذكره الكوثري في وصف أهل الحديث ليجعلهم وثنيةً؛ فهذه الأوصاف لا تليق إلا بأمثال الكوثري والكوثرية، لا بأهل الحديث؛ لأن ذلك زي أهل البدع، حتى في عهدنا الحاضر.

فقد قال الإمام ابن القيم في وصف أهل البدع:

فـظ غلـيظ جاهـل مـتمعلم ... ضـخم العمامـة واسـع الأردان[3]

---

(١) انظر على سبيل المثال: تعليقاته على الأجوبة الفاضلة للكنوي: (٩٢)، وتتماته للموقظة للذهبي: (١٤٧).

(٢) ليس في دعاء الكوثري ـ كما سبق ـ: «ولعنه». (س).

(٣) القصيدة النونية: (٢٥٢)، وشرحها توضيح المقاصد: (٢/ ٦١١)، وشرحها للدكتور محمد خليل هراس: (٢/ ٤١٣).

٩- الذهبي ناقد الرجال، ومؤرخ الإسلام، أحد الأئمة الأعلام (ت٧٤٨هـ).

جمع الكوثري الشيء الكثير من سباب تاج الدين السبكي (ت٧٧١هـ) للإمام الذهبي، وزاد من عنده ما زاد، وهذه بعض النماذج: «مجسم اعتقاداً رغم تبريه منه»، «يتسكع في ظلم التجسيم... وهو من أعظم الدعاة إليه»، «من الحشوية»، «عنده نزعة خارجية»، «لا يفهم من علم أصول الدين نقيراً ولا قطميراً»، «هذا قدر عقلية الذهبي، عقليته من أسخف العقليات، عقليته ترى الخرافات حقاً، فلا يوثق بكلامه».

ويرميه بالبدع والأهواء، وعدم الممارسة لعلوم الشريعة، والغفلة عن التنزيه، والانحراف عن أهل التنزيه، والتعصب المفرط حتى يسخر منه، والوقيعة في أهل الدين والصوفية، ووضع الأكاذيب في كتبه مع علمه بأنها كذب، إلى آخر تلك الشتائم والسباب التي رمى بها الكوثري الإمام الذهبي.[1]

١٠- الإمام ابن القيم - رحمه الله - (ت٧٥١هـ):

---

(١) انظر: تبديد الظلام: (١٠٠، ١٠٢، ١٧٦-١٧٨)، ومقالات الكوثري: (١٨٧)، وأقرها أبوغدة الكوثري أيضاً، انظر: تعليقاته على الرفع والتكميل للكنوي: (٣١٩)، وانظر: طبقات الشافعية للسبكي: (٢/ ١٣-١٥، ٢٢، ٢٥، ٣/ ٣٥٢-٣٥٣، ٨/ ٨٨-٨٩، ١٠/ ٤٠٠).

أقذع الكوثري في شتائم هذا الإمام العظيم؛ فأفرد في سبابه كتابه: «تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم»، وهو تعليقات على كتاب «السيف الصقيل [(١)] في الرد على ابن زفيل» [(٢)].

وهذه بعض النماذج من تلك الشتائم الشنيعة الفظيعة، والتكفير والتضليل والتبديع: «كافر أو حمار»، «حمار أو تيس»، «الملحد»، «الخبيث»، «الملعون»، «الوسخ»، «النجس»، «الفدم»، «البليد»، «البجباج»، «النفاج»، «المتخلف»، «الوقح»، «جاهل»، «المتشبع»، «المسكين»، «المبتدع»، «المتهوس»، «المدبر»،

---

(١) يُنسب هذا الكتاب إلى تقي الدين السبكي «علي بن عبدالكافي» (ت٧٥٦هـ)، وهو والد تاج الدين السبكي «عبدالوهاب بن علي» (ت٧٧١هـ)، وكلاهما من ألد أعداء شيخ الإسلام والإمام ابن القيم ـ رحمهما الله ـ. ويبعد عقلاً ونقلاً كون هذا الكتاب من كتب تقي الدين السبكي، أما عقلاً: فلاشتماله على شتائم فظيعة شنيعة لا تصدر ممن يخاف الله تعالى؛ بل هي مما يليق بأسوأ الشعراء هجاءً وشتماً، وأما نقلاً: فلم يذكره قبل الزبيدي أحد ممن ترجم لتقي الدين السبكي، حتى ابنه تاج الدين لم يذكره في ترجمة والده في الطبقات، مع أنه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. ولو كان هذا الكتاب لتقي الدين السبكي لطار به الركبان، ولاسيما أعداء شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى، وما ذكره الزبيدي لا يدل على أن الموجود هو بعينه.

(٢) لم يُعرف عن الإمام ابن القيم: أنه ابن زفيل، ولا يعرف من أجداده من أبيه ولا من أمه أحد سمي «زفيلاً». وقد ذكر الدكتور بكر أبو زيد قصة طريفة حول الكوثري و «زفيل»، فارجع إلى التقريب لفقه ابن القيم: (١/ ٣١)، وهذه القصة تدل على أن الكوثري كذاب أفاك.

«الجلف»، «المتعالم»، «الردي»، «الزائغ»[١].

«مجسم»، «مشبه»، «حشوي»[٢]، «مصاب في العقل أو الدين»، «من الضلال والمعتدين»، «من ورثة علوم الصابئة عبدة الأجرام العلوية»، «من المجسمة وإخوانهم اليهود والنصارى»، «متلبس بجريمة خداع خبيث في صدد تلبيس ودس شنيعين»، «كثير الغش للأمة، وليس في أمر الدنيا، ولكنه في صميم الإسلام»[٣].

«بلغ في كفره مبلغاً لا يجوز السكوت عليه»، «فهل وصلت الزنادقة، والملاحدة والطاعنون في الشريعة إلى أكثر من هذا؟ بل ولا عشر هذا»، «ما زاد عنه الزنادقة والملاحدة والطاعنون في الشريعة في الخروج على الإسلام والمسلمين...»[٤].

«لعنه الله»، «عليه لعنة الله»، «قاتله الله ما أجرأه على الله»، «قبحه الله»، «تباً له»،

---

(١) انظر: تبديد الظلام: (٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٨ـ ٢٩، ٣١، ٣٥، ٣٧، ٣٩، ٤٧، ٥١، ٥٥، ٥٩، ٦١، ٦٨، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٥، ٨٧، ٩١، ٩٣، ١٣٩، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٥، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٤).

(٢) المرجع السابق: (٩٣، ٢٤، ٢٢، ٣٩).

(٣) المرجع السابق: (٦٣، ٢٢، ١٤٩، ٣٩، ١٠، ٧٧).

(٤) المرجع السابق: (١٨٢، ٥٧، ٥٨).

«أخزاه الله»، «سحقاً له»، «قطع الله دابر كلامه»، «قلب الله قلبه»، «ويح الناظم ما أجهله»، «والله ينتقم منه»، «عامله الله بعدله»، «يستحق اللعنات لخروجه على معتقد المسلمين بتلك المخازي»، «فتباً لابن تيمية وصاحبه»، «فتباً للتابع والمتبوع»، «قاتلهما الله ما أجرأهما على الله»، «والله ينتقم منهما بما أثارا من الفتن»[١].

قلت: قد تتبعت شتائم الكوثري لهذا الإمام العظيم أيضاً، فسئمت من نتنها، وقد جاوزت المئات، فتركتها.

وقد دافع عن شيخ الإسلام، والإمام ابن القيم كثير من كبار أئمة الحنفية، أذكر بعضهم لتكون شهادتهم من قبيل: «وشهد شاهد من أهلها»: وتدل على أن الكوثري عقور ماكر، فجور خاسر.

منهم: الإمام زين الدين عبدالرحمن بن علي التفهني (ت٨٣٥هـ)، رئيس القضاة، والذي انتهت إليه رئاسة الحنفية[٢]، حتى باعتراف الكوثري.[٣]

فله كلام مهم طيب في الذب عن شيخ الإسلام.[٤]

---

(١) المرجع السابق: (٣٤، ٩٩، ٣٧، ٤٧، ١٨٣، ٢٦، ١٨٢، ١٦٥، ٥٥، ٩١، ١٥٥، ٣٩، ١٤٩، ١٥٠، ١٤٣، ١٢١، ١٤٠)، ومقالات الكوثري: (٢٨٥).

(٢) ترجمته في الضوء اللامع: (٤/ ٩٨-١٠٠)، والفوائد البهية: (٨٨-٨٩).

(٣) انظر تعليقاته على ذيول تذكرة الحفاظ للذهبي: (٣٠٠).

(٤) انظر تقريظه على كتاب «الرد الوافر»: (١٥١-١٥٥)، وانظر: غاية الأماني: (٢/ ١٣٦-١٣٨).

ومنهم: الإمام بدرالدين محمود بن أحمد العيني، مؤلف «عمدة القاري» (ت٨٥٥هـ)، الذي يتهالك في إجلاله الكوثري، ويتعصب له، ويفضله على الحافظ ابن حجر، كما يفضل عمدته على فتحه.(١)

فللإمام العيني كلام في غاية من الأهمية في الدفاع عن شيخ الإسلام، يثلج به صدور المنصفين.(٢)

---

(١) انظر: التاج اللجيني، للكوثري: (٤-٩).

(٢) انظر تقريظه على كتاب «الرد الوافر»: ١٥٨-١٦٥، وانظر: غاية الأماني: ٢/ ١٢٨-١٣٢، ومن نموذج كلام الإمام البدر العيني في الدفاع عن شيخ الإسلام وفي ذم أعدائه: «وما هم إلا صلقعٌ بلقعٌ، والمكفر منهم صلمعة بن قلمعة» (أ) وهيان بن بيانٍ، وهيٌّ بن بيّ، (ب) وضل بن ضُل، (ج) وضلال بن التلال، (د)»، ومن قوله أيضاً: «فمن قال: هو كافر فهو حقيق، ومن نسبه إلى الزندقة فهو زنديق»، وفيه عبرة للكوثري والكوثرية:

أ-«صلقع بلقع»: خالٍ. «صلمعة بن قلمعة»: لا يُعرف. القاموس: (٩٥٣).

ب-أي لا يعرف ولا يعرف أبوه. لسان العرب: (١٣/ ٤٤١، ١٤/ ٣٧٥).

ت-بالكسر والضم: منهمك في الضلال، أو من لا يعرف أبوه، أو لا خير فيه. القاموس: (٢٤).

ث- «التلال» إتباع لكلمة «الضلال» بمعنى «ضال تال»، الصحاح: (٤/ ١٦٤٤)، وانظر: لسان العرب: (١/ ٣٩٥)، والمعنى أن هؤلاء خالون عن التقوى، لا يُعرفون ـ ساقطون عن حيز الأمانة ـ لا خير فيهم، منهمكون في الضلال.

ومنهم: العلامة الملا علي القاري (ت١٠١٤هـ)، الذي يلقبه الكوثري: «ناصر السنة»[١].

فله كلام في الذب عن شيخ الإسلام والإمام ابن القيم، نهاية في الإنصاف والبعد عن الاعتساف.[٢]

ومنهم: الإمام ولي الله الدهلوي (ت١١٧٦هـ)، والعلامة السيد محمود الألوسي مفتي الحنفية (ت١٢٧٠هـ)، وابنه، وحفيده.[٣]

وفي هذا كله عبرة بالغة لأمثال الكوثري من اللعانين الطاعنين في أئمة الإسلام، ولنعم ما قيل:

ومليحة شهدت لها ضراتها ... والحسن ما شهدت به الضرات

١١- الإمام الشاه ولي الله الدهلوي الحنفي (ت١١٧٦هـ).

لقد رفع الله تعالى هذا الإمام مكانة، صار بها إماماً وشيخاً لأهل الحديث والحنفية الديوبندية جميعاً، حيث وفقه الله لأعمال عظيمة في نشأة علم الحديث ونشر السنة في البلاد الهندية، وقام بدور عظيم في القضاء على الشرك والبدع

---

(١) تبديد الظلام: (١٠٠).

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: (٨/ ٢٥١-٢٥٢).

(٣) راجع: جلاء العينين: (٤٣-٤٦)، غاية الأماني: (٢/ ١٢٧-١٨٨).

والخرافات[١] مع ملاحظات عليه.

وله نصوص مهمة في كتبه في القضاء على الشرك والخرافات القبورية.[٢]

ونَصَرَ مذهب أهل الحديث.[٣]

وقمع أهل الكلام الطاعنين في أئمة الإسلام.[٤]

ونقد أصول مذهب الحنفية التي تركت لأجلها كثير من الأحاديث الصحيحة المحكمة الصريحة[٥]، وحارب التقليد الأعمى والتعصب المقيت.[٦]

ودافع عن شيخ الإسلام.[٧]

ولما كان لهذا الإمام هذه المواقف الحميدة؛ لم ينج من شتائم الكوثري؛

---

(١) انظر: الحطة: (١٤٦-١٤٨)، أبجد العلوم: (٣/ ٢٤٣-٢٤٤)، نزهة الخواطر: (٦/ ٤٠٦-٤٠٧)، فهرس الفهارس: (١/ ١٧٨، ٢/ ١١١٩-١١٢٠).

(٢) انظر على سبيل المثال: حجة الله البالغة: (١/ ٥٩-٦٣)، والفوز الكبير: (١٨، ٢٠).

(٣) انظر: حجة الله البالغة: (١/ ١٤٧-١٥٢).

(٤) المرجع السابق: (١/ ٦٢، ٦٤، ١٥٣).

(٥) المصدر نفسه: (١/ ١٦٠)، الإنصاف:(٨٨-٨٩).

(٦) حجة الله البالغة: (١/ ١٥٤-١٥٦)، الإنصاف: (٩٧-١٠١).

(٧) انظر: جلاء العينين لنعمان الآلوسي الحنفي: (٤٥، ٥٦)، عن التفهيمات الإلهية للشاه ولي الله.

فعضه بأنيابه وخمشه بمخالبه، فرماه بفساد الاعتقاد، والتقول، والقول بقدم العالم، وكدورةٍ في التفكير، وتحكمٍ في التصوير، وضيق دائرة الاطلاع، وقلة الدراسة، والاسترسال في الخيال، والشطط في كثير من بحوثه وتحقيقاته، واضطراب فكري ينأى به عن الإصابة، ويشطح التابع والمتبوع، وعباراتٍ مرصوصةٍ لا محصل لها، والانطواء على أعمال تجافي الصواب، وغيرها.[(١)]

كما رماه بالفتن، والتهافت، والانحراف.[(٢)]

١٢- مجدد الدعوة السلفية الإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي (ت١٢٠٦هـ).

أقذع الكوثري في اتهام هذا الإمام المجدد ـ تحت خطة مدبرة ـ، فمن نماذج شتائمه واتهامه له ما يقول فيه الكوثري:

«زعيم المشبهة»، «زعيم البادية»، «أهذا أصبح إمام الموحدين؟».

ويتهمه بالغلو والإسراف في سفك الدماء، ونهب الأموال، وإكفار الأمة المحمدية في جميع الأقطار، والحكم على أتباع أئمة الهدى بأنهم مشركون.[(٣)]

---

(١) انظر: حسن التقاضي: (٩٥-٩٧)، وراجع مقالاته(٤١٨).

(٢) راجع: تعليقات الكوثري على الأسماء والصفات للبيهقي: (٤٥٥).

(٣) انظر: مقالات الكوثري: (٣٧٤-٣٧٧).

قلت: لعنة الله على الكاذبين، ولقد أُلفت في سيرة الإمام كتب كثيرة، فهي كافية شافية للمرضى الأفاكين البهاتين.[(١)]

١٣- الإمام المحدث محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ):

لا يحتاج هذا الإمام إلى التعريف، فأعماله وجهوده العظيمة لإحياء السنة والقضاء على البدع والخرافات معروفة عند أهل العلم.[(٢)]

فكيف لا يطعن الكوثري في مثل هذا الإمام؟

فمن شتائم الكوثري له قوله: «إنه يهودي مندس بين المسلمين؛ لإفساد دينهم»[(٣)].

---

(١) أهمها: «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: السلفية وأثرها في العالم الإسلامي»، للشيخ الدكتور صالح بن عبدالله العبود ـ حفظه الله ـ، مطبوع.

(٢) راجع نيل الوطر: (٢/ ٢٩٧-٣٠٢)، ومقدمة الشيخ محمود إبراهيم زايد للسيل الجرار للشوكاني.

(٣) مقالات الكوثري: (٣٣٧-٣٣٨)، قلت: أصل هذه الكلمة الفاجرة الماكرة لرجل يدعى «محمد بن صالح» المعروف بابن حريوة المقتول مصلوباً (١٢٤١هـ) لزندقته وأشياء أخرى، وكان متفلسفاً مشائياً، ثم إشراقياً من أهل وحدة الوجود، معجباً بتائية ابن الفارض الملحد، وكان زيدياً معتزلياً، فألف كتابه «الغطمطم الزخار» في الرد على «السيل الجرار» للشوكاني، وقال فيه تلك

=

سبحان الله! إذا كان أمثال الشوكاني يهوديين مندسين في المسلمين؛ لإفساد الدين، فمن يكون صحيح الإسلام؟ هل الكوثري وأمثاله من أفراخ الجهمية؟! وأئمة القبورية، الفسقة الفجرة الطاعنين في الأئمة؟!

والمضحك المبكي أن الكوثري ينبز أئمة الإسلام بالكفر، والشرك، والوثنية، واليهودية، ثم يبرئ نفسه، فيقول مخاطباً للعلامة المعلمي: «ويجب أن يعلم هذا الباهت المتهافت أن الكوثري ليس ممن يجري على لسانه نبح الكلاب، ولا تهاذر القحاب[(١)]، ولا النبز باليهودية في الخطاب للأضداد والأحباب»[(٢)].

هؤلاء أحد عشر كوكباً والشمس والقمر من أئمة الإسلام، ذكرتهم على

الكلمة الفاجرة، ثم تشبث بها الكوثري وعدها لحماً طرياً، ورطباً جنياً، فماذا تكون قيمة كلام الملاحدة في أئمة الإسلام؟ راجع لشرح خبث هذا الرجل: نيل الوطر: (٢/ ٢٧٥-٢٩٩)، هكذا يكون سلف الكوثري!

(١) القحاب: جمع «القَحْبة» وهي المرأة الفاجرة البغي، وأصل معنى: «ق، ح، ب» السعال. انظر: القاموس: (١٥٧)، ومحيط المحيط: (١١٦)، والمعنى: هذيان البغايا الفاجرات الماجنات.

قلت: لكن جرى على لسان الكوثري ما هو أشنع وأبشع مما يجري على ألسنة الماجنات، من الحكم على أئمة الإسلام بالوثنية واليهودية، ونحوه، مع تناقضه الفاضح، وكذبه الواضح.

(٢) الترحيب: (٢٩٦).

سبيل المثال، مع ذكر نماذج من شتائم الكوثري، لهم ليعرف المسلمون حقيقة هذا الكوثري، وأنه ساقط عن مرتبة الأمانة والديانة، والنزاهة والنباهة، وأنه مبتدع حالك، عقور متهالك، لأنه سب أئمة الإسلام سباً شنيعاً فظيعاً، وهذه أبرز علامات أهل البدع؛ بل أهل الفسق والفجور.

فقد صرح أئمة الإسلام أن علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر؛ بل من يبغض أصحاب الحديث فهو زنديق، بشهادة إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، فضلاً عن تلك العظائم والشتائم ورمي الأئمة بالكفر والوثنية.

و- وأما تعصبه المقيت للمذهب الحنفي؛ فحدث ولا حرج، فقد بلغ في التعصب إلى حد طعن في زهاء ثلاثمائة من الرواة غالبهم ثقات، وفيهم نحو تسعين حافظاً من أئمة هذه الأمة، بل تجنى على بعض الصحابة، وردَّ كثيراً من الأحاديث الصحيحة، وبعكس ذلك دافع عن الكذابين، وحاول تصحيح الموضوعات، وتلاعب بالقواعد[1]، ولذلك لُقِّب الكوثري: «مجنون

---

(١) انظر: التنكيل: (١/ ٥)، وطليعة التنكيل: (١٧)، ومقدمة الألباني للتنكيل للمعلمي: (٣-٤)، وتنبيه الباحث السري للشيخ محمد العربي التباني: (٢-٣)، وتشنيف الأسماع لمحمود سعيد: (٢٠٩-٢١٦)، وبدع التفاسير للشيخ عبدالله الغماري: (١٨٠-١٨١)، الحاشية، ومقدمة الشيخ حسام الدين القدسي للانتقاء لابن عبدالبر: (٣-٤).

أبي حنيفة»[١].

وشهد الكوثري على نفسه بأنه متعصب.[٢]

ولنعم ما قاله العلامة المعلمي في بيان تعصب الكوثري وخيانته وطعنه في الأئمة: «... حتى كان أئمة الحديث ورجاله وفقهاء المذاهب الأخرى أهلٌ عند العيني والكوثري لكل كذب، وإن اشتهروا بالإمامة والثقة والصدق والتقوى، بخلاف أصحابهما أهل الرأي، كأنه لا يكون منهم ولا من حمرهم، وكلابهم، إلا الصدق، ومع ذلك يرمي هؤلاء مخالفيهم بالتعصب واتباع الهوى... ويتحرى بهذه الكلمات مواضع ارتكابه الموبقات، والله المستعان»[٣].

ز- وأما مناصرته لأهل البدع وذبه عنهم؛ فشيء يضيق عنه نطاق البيان، وفيما يلي بعض الأمثلة:

١- ضاق الكوثري ذرعاً، وسيء بذبح الجعد بن درهم (ت١٢٤هـ)، حتى صرح بعدم جواز قتله.[٤]

---

(١) انظر: بدع التفاسير لعبدالله الغماري: (١٨٠).

(٢) المرجع السابق.

(٣) التنكيل: (١/٤٤٩).

(٤) راجع: لفت اللحظ: (٤٨).

وجاش صدره غيظاً على خالد بن عبدالله القسري (ت١٢٦هـ) والي العراق وذابح الجعد؛ حيث يقول الكوثري: «إنه ضحى بالإنسان بدل الأنعام، فتلاعب بالدين وشعائر الله تعالى»(١)، مع أن أهل السنة شكروا خالداً بعمله هذا.(٢)

وللعلامة المعلمي كلمة قيمة حول مغالطات الكوثري وتعجرفه حول قتل الجعد، يحسن الاطلاع عليها.(٣)

٢- يتهالك الكوثري في الدفاع عن الجهم بن صفوان (ت١٢٨هـ)، ويذب عنه فيقول: «وتنسب لجهم آراء، وليس له فرقة تنتمي إليه بعده، ونسبة غالب من نسب إليه من قبيل النبز بالألقاب تهويلاً لسمعة الرجل بين الفرق، وآراؤه توزعت بينهم بعد تمحيصها على حسب أنظارهم، لا على ما ارتآه جهم، شأن كل رأي يشيع في الناس»(٤).

---

(١) انظر: تأنيب الكوثري: (٩١).

(٢) انظر: الرد على الجهمية للدارمي: (١١٠)، القصيدة النونية: (١٢-١٣)، وشرحها توضيح المقاصد: (١/ ٥٠-٥١)، وشرحها لخليل هراس: (١/ ٢٧).

(٣) التنكيل: (١/ ٢٤٦-٢٤٨).

(٤)مقدمة الكوثري لتبيين كذب المفتري: (١٢).

قلت: سبحان الله! يقبل الكوثري للطعن في أئمة الإسلام جميع الأكاذيب، أما أئمة الكفر فيرى الكوثري أن غالب ما يُنسب إليهم من قبيل النبز بالألقاب؛ لسوء سمعتهم لا على ما ارتآهم. وهذا في الحقيقة طعن في جميع أئمة الإسلام، الذين صرحوا بتكفير الجهم[1]، ومنهم الإمام أبوحنيفة، فقد قال للجهم: «اخرج عني يا كافر»، حتى باعتراف كبار الماتريدية.

فلازم كلام الكوثري: أن أئمة الإسلام قد كفروا مسلماً، وأنهم نبزوه بالألقاب تهويلاً لسوء سمعته، فليبك على عقل الكوثري من كان باكياً، أو ليضحك من عقله من كان ضاحكاً.

٣- يحاول الدفاع عن بشر بن غياث المريسي الحنفي رافع لواء الجهمية (ت٢٢٨) بعد الجهم، ويحاول أن يستره.[2]

٤- يذب عن محمد بن شجاع الثلجي البلخي الحنفي الجهمي المريسي

---

(١) فلقد صرح بتكفيره وتكفير الجهمية الأولى (٥٥٠) من أئمة الإسلام في شتى البلاد، وفيهم كبار أئمة الحنفية، انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي: (٢/ ٢٢٧-٣١٢)، وراجع القصيدة النونية: (٣٧)، وشرحها توضيح المقاصد: (١/ ٢٩٠)، وشرح الدكتور محمد خليل هراس: (١١٥)، وإكفار الملحدين: (٣٩-٤١)، للعلامة الكشميري.

(٢) انظر: حسن التقاضي: (٢٠-٢١).

(ت٢٦٦هـ)، الكذاب، الذي ذكرنا نماذج من خبثه، [١] فقد ألف الكوثري كتاباً في الدفاع عنه سماه «الإمتاع»، بالغ في إجلاله وإكباره، وطعن لأجله في كبار أئمة الإسلام، أمثال حماد بن سلمة، والدارمي.[٢]

٥- يثني الكوثري على المعتزلة ثناءً بالغاً مع نقد هين، ويجل أعمالهم، ومواقفهم، وبعكس ذلك يسب المحدثين ويظهرهم بمظهر الوثنية والحماقة والجاهلية، ويعظم كتبهم ـ أي المعتزلة ـ ويدعو إليها.[٣]

ويظهر من غضون كلامه أنه غير راضٍ برفع فتنة خلق القرآن رضاء كاملاً؛ حيث يقول: «ارتفع شأن الحشوية،وانقمع أهل النظر والمعتزلة»[٤].

ويذب عن المعتزلة بأن المحدثين كانوا يرمونهم بمنابذة السنة، كما يحمل تبعة فتنة خلق القرآن على المحدثين، ويشفي صدره بتلك الفتنة، وما أصاب المحدثين

---

(١) انظر: «عداء الماتريدية للعقيدة السلفية»، (١/ ٢٤٩). (س).

(٢) راجع الإمتاع: (٥٩-٦٦)، وتعليقات الكوثري على الأسماء والصفات للبيهقي: (٣٧٢-٣٧٣، ٤٤٤-٤٤٦)، وتعليقاته على تبيين كذب المفتري: (٣٧٠-٣٧١)، وتبديد الظلام: (٩٦-٩٧)، وفقه أهل العراق: (٦٥).

(٣) انظر: مقدمته لتبيين كذب المفتري: (١٤، ١٨)، وتبديد الظلام: (١٢-١٣).

(٤) المرجع السابق.

من البلاء.[١]

٦- يدافع عن ابن سينا الحنفي القرمطي (ت٤٢٨هـ).[٢]

٧-٨-كما يحاول الدفاع عن الملاحدة والزنادقة الاتحادية.[٣]، أمثال ابن الفارض[٤]، وابن عربي.[٥]

قلت: لا غرو في ذلك، فإن الكوثري نفسه صوفي نقشبندي، وله قصيدة

---

(١) تأنيب الكوثري: (١٠-١٢).

(٢) راجع: تبديد الظلام: (١٣٧).

(٣) انظر: مقالات الكوثري: (٣٤٠-٣٤١).

(٤) هو عمر بن علي بن مرشد الحموي المصري (ت٦٣٢هـ)، قال الذهبي: «صاحب الاتحاد الذي ملأ به التائية...؛ فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده، فما في العالم زندقة ولا ضلال». سير أعلام النبلاء: (٢٢/٣٦٨).

قلت: تائيته مطبوعة وفيها كفر بواح واتحاد صراح، انظر: ديوان ابن الفارض: (٣٥، ٧٠)، وانظر: شرح خبثه في: الميزان: (٣/ ٢١٤)، واللسان: (٤/٣١٧).

(٥) محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي (ت٦٣٨هـ)، قال الذهبي: «ومن أردأ تواليفه كتاب «الفصوص»، فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر». سير أعلام النبلاء: (٢٣/٤٨)، وانظر أيضاً: الميزان: (٣/٦٥٩-٦٦٠)، واللسان: (٥/ ٣١١-٣١٥)، و «رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي»؛ للدكتور موسى الدويش، و «عقيدة ابن عربي وحياته»؛ للفاسي، تحقيق: الشيخ علي الحلبي.

بعنوان: «النظم العتيد لتوسل المريد برجال الطريقة النقشبندية الخالدة الضيائية»، وله عليها شرح: «إرغام المريد»، وكر الخرافات.

قلت: هذه كانت بعض الأمثلة، وهي تشهد على أن هذا الكوثري عدو لأئمة الإسلام والسنن، وفي الوقت نفسه محبٌ لأئمة الضلال والفتن، وتدل على صلة وثيقة له بأهل البدع الجهمية القبورية الصوفية.

ج- للكوثري موقف خطير إلى الغاية من أحاديث الصفات.

ط- الكوثري ليس منفرداً فيما ارتكبه من الموبقات التي ذكرنا بعض نماذجها، بل شاركه فيها الكوثرية[1]، وكثير من الديوبندية.[2]

كما نرى هؤلاء جميعاً يثنون على الكوثري ثناءً بالغاً، ويعظمونه غاية التعظيم، ويلقبونه بألقاب فخمة ضخمة، إسرافاً وغلواً ويبرؤنه من كل شين

---

(١) راجع على سبيل المثال: حال أبي غدة، ومسايرته للكوثري في أهوائه في تعليقاته على الأجوبة الفاضلة: (١٣٠، ٣٠١، ٣٠٢)، وعلى الرفع والتكميل: (٢١١، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٢، ٣١٩، ٨١-٨٢، ٣٥٤)، وللدكتور بكر بن عبدالله أبي زيد رسالة بعنوان: «براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة»، كافية شافية لشرح ما انطوى عليه أبوغدة الكوثري الذي أطرق إطراق الكرى.

(٢) انظر: مقدمة الشيخ البنوري الديوبندي لمقالات الكوثري. ففيها العجب العجاب من السباب لأئمة الهدى؛ لتعرف موقف الديوبندية من أئمة السنة.

وتهمة[١]، وهذا مما يدل على سقوطهم عن منزلة الأمانة والإنصاف، وأنهم خلطاء الكوثري في البدع والأهواء، وسباب أئمة هذه الأمة.

ومن كلام الشيخ البنوري الديوبندي في الثناء على الكوثري: «جمع بين علوم الرواية... وعلوم الدراية... وبين دقة الشمائل ومكارم الأخلاق من التواضع...، والورع...، والتقوى...، وكرم النفس، والسماحة... أمامنا مقالاته، وأبحاثه هي شهود مقانع... بكل دقة وبكل ديانة، وبكل أمانة...»[٢].

ومن كلام الشيخ محمد عاشق إلهي البرني الديوبندي في تبرئة الكوثري: «ولقد سمعت غراً، ومفتوناً، يرميه بالتعصب، وهي فرية يكذبها الأمر الواقع»[٣].

---

(١) راجع: المصدر السابق، مقالتي أبي زهرة، ومحمد إسماعيل، وترجمة الكوثري بعنوان: «الإمام الكوثري» لأحمد خيري، وكلها مطبوعة في أول مقالات الكوثري، وفيها ما لا يخطر بالبال، وطرة كتابَيْ: الرفع والتكميل ـ الطبعة الأولى ـ والأجوبة الفاضلة ـ كلاهما للكنوي بتحقيق أبي غدة، ومقدمة أبي غدة للتصريح لأنور شاه: (٦)، و «قواعد في علوم الحديث» لظفر أحمد الديوبندي: (١٣)، وفقه أهل العراق: (٤)، وراجع: العناقيد الغالية لمحمد عاشق إلهي البرني الديوبندي: (١٧٩-١٨٣)، طبعة مكتبة الشيخ بهادر آباد كراتشي.

(٢) مقدمة البنوري لمقالات الكوثري: ج-د.

(٣) العناقيد الغالية: (١٨١)، وأصل الكلام لمحمد إسماعيل تلميذ الكوثري، انظر: مقدمة مقالات الكوثري: خ.

وهكذا نرى أحمد خيري الحنفي الكوثري يتهم الآخرين بأنهم شاتمون، ويبرئ ساحة الكوثري من كل سوء.(١)

قلت: سبحان الله ! هل الكذب والتلبيس وسباب السلف ونبز أئمة الإسلام بالشرك والكفر، والوثنية، واليهودية، يُعد من رقة الشمائل ومكارم الأخلاق، والتواضع، والورع، والتقوى، وكرم النفس، والديانة والأمانة؟!

فنعوذ بالله من هذه الموبقات، وإذا لم يكن هذا تعصباً، فما هو التعصب؟!

ومن العجب العجاب أن الكوثري نفسه يتظاهر بالعفة والنزاهة، وكراهة السباب والشتائم، ورمي الآخرين بهجر القول، ويصرخ بأن فلاناً تخرج في مدرسة السباب، وأن فلاناً مبسمل بشتائم وسباب وبهت، وأنه ليس في جعبته إلا الشتائم، وأن الفرية شأن الزنيم، وأن الكوثري ليس ممن يجري على لسانه نبح الكلاب، ولا النبز باليهودية للأضداد.(٢)

قلت: أكتفي أن أذكركم بقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ

---

(١) انظر: «الإمام الكوثري»: (٢٣).

(٢) انظر: مقالات الكوثري: (٢٣٦، ٢٩٨، ٣٠٧، ٣١٦، ٣٢٢)، الترحيب: (٢٩٦)، لفت اللحظ: (١٢).

يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿١١٢﴾ ﴾ [النساء: ١١٢].

وقوله تعالى: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف: ٢ – ٣].

وما يقال: «رمتني بدائها وانسلت»، وهذا تناقض واضح فاضح.

هذا كله من ناحية، ومن ناحية أخرى يعد الكوثري إماماً للحنفية إلى يومنا يرجعون إليه ويعتدون بآرائه، ويعدون كتاباته معيناً صافياً ينهلون منه، لاسيما المتعصبة منهم؛ كبعض الديوبندية وغيرهم[(١)]

(١) انظر على سبيل المثال: مقدمة البنوري الديوبندي لمقالات الكوثري، والعناقيد الغالية لمحمد عاشق إلهي الديوبندي: (١٧—١٨٣)، وما تمس إليه الحاجة، لمحمد عبدالرشيد النعماني الديوبندي: (٢٧، ٢٩، ٤٠، ٤٥، ١١٢)، وتاريخ المذاهب الإسلامية، لأبي زهرة: (١٧٥)، وعقيدة الإسلام، لأبي الخير: (٨٧، ٨٨، ١٠٧، ١٠٩، ١٢٣، ١٢٤، ٢١١، ٣٠٤، ٣٠٦)، والحسن بن زياد وفقهه، لعبدالستار حامد: (١٢٩)، وتعليقات مصطفى إبراهيم الكوفي على تأويل الأحاديث، للسيوطي: (١٢٢، ١٢٩-١٣١)، وابن تيمية ليس سلفياً، لمنصور محمد محمد عويس: (٥٩-٦٢، ١٧١-١٧٢)، وتعليقات يوسف عبدالرزاق على إشارات المرام، =

للبياضي: (١٣٩-١٤٢، ١٤٨)، ومشايخ بلخ من الحنفية، لمحمد محروس عبداللطيف: (١/ ١٩٧)، وقد دمج الشيخ شبير أحمد العثماني الديوبندي في كتابه «فتح الملهم» كتاب الكوثري «الإشفاق على أحكام الطلاق»، وهكذا فعل الشيخ أحمد العثماني الديوبندي في كتابه «إعلاء السنن»، كما صرح به أحمد خيري في «الإمام الكوثري»: (٦٨-٦٩)، والبنوري الديوبندي لحمة أبحاثه وسداها في الصفات من كلام الكوثري، انظر: معارف السنن: (٤/ ١٣٥-١٥٧)، ولقد فوجئت بتعليق حول ترجمة الحسن بن زياد (٢٠٤هـ)، فيه طعون شنيعة في أئمة الإسلام لرجل يدعى «كامل الخراط» على المجلدة التاسعة لسير أعلام النبلاء: (٩/ ٥٤٣-٥٤٥) ـ فإذا هو عين كلام الكوثري في التأنيب: (٢٧٣-٢٧٥)، بدون العزو إليه ـ فكامل الخراط قد انخرط بكامله في تلبيسات الكوثري، ولا عجب من هذا المنخرط، الكامل، بل العجب من الشيخ شعيب الأرناؤوط حيث أشرف على هذه المجلدة كيف أقر هذا الخبث؟ مع أن ابن زياد هذا قد كذبه ابن معين وأبوثور ويعقوب بن سفيان، والدارقطني وغيرهم، وجروح أمثال ابن المديني ويزيد بن هارون وصالح جزرة فيه واسعة الذيل.

انظر: تاريخ ابن معين: (٢/ ١١٤، ٣/ ٣٦٣)، تسمية الضعفاء والمتروكين من مجموعة الرسائل في علوم الحديث: (١٧)، وكتاب الضعفاء والمتروكين: (٨٩)، كلاهما للنسائي، أخبار القضاة، لوكيع: (٣/ ١٨٩)، الضعفاء، للعقيلي: (١/ ٢٢٨)، الجرح والتعديل: (٣/ ١٥)، الكامل، لابن عدي: (٢/ ٧٣١)، الضعفاء والمتروكون، للدارقطني: (١٩٢)، تاريخ بغداد: (٧/ ٣١٥-٣١٧)، كتاب الضعفاء والمتروكين، لابن الجوزي: (١/ ٢٠٢)، الميزان: (١/ ٤٩١)، اللسان: (٢/ ٢٠٨-٢٠٩)، الفوائد البهية: (٦١)، وكيف ينسى تكذيب ابن معين له وهو حنفي متعصب عند الكوثرية؟ انظر:

=

والفنجفيرية.[١]

فترى هؤلاء كلهم يسايرون الكوثري، فيتكلمون بلسانه، ويكتبون بقلمه وبنانه، ويعضون على الموبقات بأسنانه، ويقاتلون بسيفه وسنانه.

كمقلد أعمى وأصم، لا يفكر في أنه هل اهتدى، أم ضل وغوى، كما قيل:

وما أنا إلا من غَزية إن غوت غويت وإن ترشد غَزية أرشد

وهذه ـ والله ـ طامة كبرى.

ولذلك قال العلامة المعلمي: «ولو كان هذا الطعن من رجل مغمور... لهان الخطب، ولكنه من رجل مشهور ينعته أصحابه بأمثال ما كتب على لوح كتابه «تأنيب الخطيب».. ويلي ذلك كلمة الناشر، وترجمة المؤلف بتلك الألقاب الضخمة والعبارات الفخمة، ويتبعه الحنفية، وهم ـ كما يقول ـ السواد الأعظم، ويتابعه في الجملة كل من تخالف السنة هواه من غلاة المقلدين، وأتباع المتكلمين، وعباد القبور، ويعتضد بكلامه الملحدون، بلى إن من أفاضل علماء الحنفية جماعة يمقتون تصرف الأستاذ، ولكن تصدهم عن رفع أصواتهم بالإنكار عليه موانع هم أعلم بها، والله

فقه أهل العراق: (٦٤) للكوثري.

(١) انظر: إرشاد الأنام للفنجفيرية.

المستعان»[١].

ي- ولقد تصدى للكوثري كثير من العلماء، وفيهم بعض أصدقائه، وتلامذته، وخلطائه في كثير من الأهواء، فكشفوا الستار عن أسراره، وبينوا نماذج من تلبيساته وخياناته [٢]، وكان ينبغي للكوثري والكوثرية أن يتحروا الصواب والإنصاف والأمانة، إما تقوى لله، أو خشية كشف الستار عن الأسرار، ولنعم ما

---

(١) التنكيل: (١/ ٥).

(٢) أذكر على سبيل المثال منهم: الشيخ حسام الدين القدسي في مقدمته لكتاب «الانتقاء...» لابن عبدالبر: (٣-٤)، وهو من أخص تلامذة الكوثري وأصدقائه، كما في «الإمام الكوثري»: (٧١)، ومنهم: الشيخ محمد العربي التباني، فقد ألف في الرد على الكوثري كتابه: «تنبيه الباحث السري»، ومقدمته مهمة في بيان كشف كذبات الكوثري وخياناته. ومنهم: صديقاه الغماريان ولقباه بمجنون أبي حنيفة. انظر: بدع التفاسير: (١٨٠-١٨١)، ومنهم محمود سعيد بن ممدوح، فله كلام في غاية الأهمية في كشف خيانات الكوثري وكذباته وتلبيساته، انظر تشنيف الأسماع: (٢٠٩-٢١٦)، وهو تلميذ أبي غدة ومحمد عوامة، كما صرح به في هذا الكتاب نفسه: (٣٥٠-٣٥١)، ومنهم الشيخ أحمد عصام الكاتب مؤلف عقيدة التوحيد في فتح الباري. انظر: مقدمته لكتاب «الاعتقاد» للبيهقي: (١٦-١٩). أما أهل الحديث وحملة العقيدة السلفية المحضة فلا حاجة إلى بيان ردودهم عليه، ومن أهمها «التنكيل» لذهبي العصر «المعلمي» وهو نسيج وحده، فقد نكل بالكوثري تنكيلاً، مطبوع بتحقيق الألباني.

قاله العلامة المعلمي: «فإن أبت نفسه إلا بعثرة القبور؛ فليتحر الحق، إما تديناً، وإما علماً بأن في الناس بقايا، وفي الزوايا خبايا»[1].

ك- للكوثري كتب ومقدمات للكتب وتعليقات عليها، غالبها مكتظ بالخبث والضلال، وسب أئمة الإسلام وبعضها أبعد غوراً في الإضلال، وأقذع في شتم الأئمة الأعلام، ولا سيما مقالاته وتبديده، أذكر منها ما يلي:

- «تأنيب الخطيب...».

- «مقالات الكوثري».

- «الإمتاع بترجمة ابن زياد وابن شجاع».

ومقدماته وتعليقاته على الكتب الآتية:

- «العالم والمتعلم».

- «الرسالة».

- «الفقه الأبسط» المنسوب إلى الإمام أبي حنيفة (ت١٥٠هـ) ـ رحمه الله ـ.

- «الاختلاف في اللفظ، والرد على الجهمية والمشبهة» للإمام ابن قتيبة، وسماها «لفت اللحظ إلى ما في الاختلاف في اللفظ».

---

(١) التنكيل: (١/ ٢١).

- «التنبيه، والرد...» لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي (ت٣٧٧هـ).

- «الإنصاف...» للقاضي أبي بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ).

- «الأسماء والصفات» للإمام البيهقي (ت٤٥٨هـ).

- «التبصير في الدين...» لأبي المظفر شاهفور بن طاهر الإسفراييني (ت٤٧١هـ).

- «العقيدة النظامية» لإمام الحرمين أبي المعالي عبدالملك بن عبدالله الجويني (ت٤٧٨هـ).

- «تبيين كذب المفتري...» لابن عساكر (ت٥٧١هـ).

- «السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل» المنسوب إلى تقي الدين علي بن عبدالكافي السبكي (ت٧٥٩هـ) وهو مفتعل على السبكي.

وتعرف هذه التعليقات بـ(تكملة الرد على ابن القيم)، وتسمى بـ(تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم)...

وقد أطلنا بعض الإطالة في شرح حال الكوثري؛ لئلا يغتر بتمويهاته من لم يكن خبيراً بتلبيساته، وليعلم القراء الكرام أن الكوثري لم ينفرد بطاماته وموبقاته، بل شاركه كثير من خلطائه؛ كالكوثرية وبعض الديوبندية من الماتريدية، كالفنجفيرية، والبنورية وغيرهم من أهل الأهواء والبدع». انتهى كلام الشمس الأفغاني ـ رحمه الله ـ.

١٦- وقال الدكتور محمد أحمد عبدالقادر في بحثه: «الشيخ زاهد الكوثري وجهوده في مجال الفكر الإسلامي» [(١)]

« خصومته – أي الكوثري – الفكرية لأهل السلف:

يتأكد الذي يطالع كتابات الشيخ زاهد الكوثري لأول وهلة أن بينه وبين السلفيين خصومة فكرية شديدة، يفصح عنها في مواضع كثيرة ومتفرقة من مؤلفاته وشروحه وتعليقاته، ولا ندري سبباً منطقياً يبرر تلك الخصومة الفكرية لأهل السلف، إلى حد تصل معه إلى درجة العداوة! وليست هذه الخصومة الفكرية من جانب الكوثري فقط، بل يبادله السلفيون تلك الخصومة، وإن كانت هي من قبل الكوثري أشمل وأعنف».

وقال: « كان هجومهم الأكبر ضد شخص أحد كبار الحنابلة في القرن الثامن الهجري، وهو شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، فلقد كانت لابن تيمية فتاوى عدها الكوثري وأتباعه شططاً وبعداً عن جوهر الإسلام، كما اعتبروها تزيداً في الفتوى لم يقل به أحياناً الإمام أحمد بن حنبل نفسه، والحقيقة أن موقف الكوثري وتلاميذه من ابن تيمية خصوصاً قد جاء حاداً وصارماً، ومتضمناً الكثير من العبارات الخارجة، التي لا يمكن أن تصدر عن مسلم، فضلاً

---

(١) منشور ضمن الكتاب التذكاري المهدى للدكتور محمد عبدالهادي أبوريدة، ١٩٩٣م، (ص ٢٩٩-٣٢٥).

من كونها تصدر عن مفكر أو عالم».

وقال: «والمستعرض لكتابات الكوثري يلاحظ أن هناك تعريضاً ولمزاً بأهم أعلام الاتجاه السلفي، واصفاً إياهم بالجهل تارة، وبضيق الأفق تارة ثانية، وبالطعن في دين بعضهم تارة ثالثة، وهكذا، ولعل ذلك هو الذي دفع بعض السلفيين المعاصرين لأن يتصدوا لهجوم الكوثري، وهجوم تلاميذه، على شخصيات سلفية جليلة، ولها مكانتها».

وقال: «ويتأدى الكوثري من خلافه الفكري مع السلف بوصفهم بأقذع الأوصاف،كما يصف كلامهم وآراءهم بالسخف والتخريف، وأنه مما يضحك منه الأطفال وما إلى ذلك، ولقد جاوز الكوثري الحق فيما ذهب إليه من وصف السلفيين بالتشبيه والتجسيم، حيث إنهم ليسوا كذلك بحال من الأحوال، والمسألة في تصوري هي محاولة رمي السلف بما ليس فيهم، واتخاذ ذريعة من ذلك في التمادي في الخصومة، أو جعل هذه القاعدة المغلوطة مقدمة يتأدى منها الكوثري إلى مبرر يراه مقنعاً في تفسير الخلاف والخصومة الفكرية. فشتان ما بين موقف المشبهة والمجسمة، وموقف السلف، بصدد فهم صفات الله تعالى، ولا يمكن أن يكون موقف هؤلاء كأولئك. إن موقف السلف منـزه إلى أبعد حدود التنـزيه، في إطار مقولة التنـزيه عندهم، وهي إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات، دون تكييف ولا تمثيل. فكيف يكون موقف من التزم النهج الإسلامي التوحيدي الصحيح المتمثل في كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، كيف يكون هذا الموقف المنـزه حقيقة مجسماً

أو مشبهاً ؟!! إن تأويل الصفات أو بعضها عند السلف يتساوى مع النفي التام لها، فكيف ننفي صفات جاء ذكرها في كتاب الله ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم ربه تعالى. إن مجاوزة الحق هنا في تصوري في موقف من ينفي أو يعطل أو يؤول، وليس في موقف من يثبت الصفات على نحو تنزيهي. يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]».

أخيرًا: قال الدكتور: «يؤخذ على الكوثري في إطار حماسه الزائد: اندفاعه إلى تخطئة غيره ممن لا يتفق معه إلى حد رميه بالكفر، أو يصف خصمه بأوصاف لا يليق أن تصدر عن عالم أو مفكر مثله، وهذه تمثل أبرز مثالب شخصية الكوثري».

١٧- **وقال الشيخ الدكتور محمد لطفي الصباغ** في مقدمة تحقيقه «رسالة أبي داود إلى أهل مكة» [1]: وقد وقفت على طبعة حديثة لها بتحقيق الأستاذ عبدالفتاح أبو غدة، ودرستها فوجدته قد أفاد من طبعتي، وأخذ كثيراً من تعليقاتي وعبر عنها بألفاظه، ولم يذكر أنه استفادها مني !

وقرأت مقدمته فوجدت شيئاً عجباً ما كنت أتصور صدوره عنه، ومعرفتي به قديمة تتجاوز الأربعين سنة. وقد أسفّ في تلك المقدمة إسفافاً شنيعاً، وما كنت

---

(١) (ص ٤ -٥ و ٥١-٥٢).

أظن أن هذا الرجل سينحدر إلى هذا المستوى، لا سيما وأني لم أواجهه بما يسوؤه، ولكني ذكرت الكوثري بما له وبما عليه، بإيجاز شديد، فساءه ذلك، فانتصر لأستاذه بهذا الأسلوب. وقد ذكر الكوثري علماءُ أجلاء بما يستحقه من اللوم والتعنيف، وكفوني المؤونة ؛ من أمثال العلامة الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، والعلامة محمد عبدالرزاق حمزة، والعلامة شيخنا الشيخ محمد بهجة البيطار رحمهم الله، والعلامة بكر أبو زيد. وقد ملأ الأستاذ عبدالفتاح أبو غدة هذه المقدمة سباباً وشتماً وتنقصاً لأخيه المسلم، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم" رواه مسلم برقم ٢٥٦٤ وكلام الشيخ أبي غدة ذلك الكلام المقذع يُصنف في زمرتين:

أولاهما: دفاعه عن شيخه محمد زاهد الكوثري.

وثانيتهما: سبابه وشتمه لطالب علم ما ادعى يوماً أنه عالم.

وسأحدث القارئ الكريم عن هاتين الزمرتين، ثم أشير إلى انتقادات علمية لنشرته المذكورة... – إلى أن يقول عن طبعة الكوثري -:

نُشرت هذه الرسالة أول مرة في مصر سنة ١٣٦٩ في مطبعة الأنوار نشرة (محققة!!) تصرف محققها في نص الرسالة تصرفاً دون أن يشير إلى الأصل وخالف بذلك الأمانة العلمية، وليس ذلك بغريب عنه لأن له سوابق في هذا المضمار، إنه الأستاذ محمد زاهد الكوثري المتوفى سنة ١٣٧١هـ غفر الله له.

وقد علق عليها تعليقات يسيرة، ولكنه أطال في الدفاع عن أبي يوسف رحمه الله إطالة لا تتناسب وطبيعة التعليقات في الرسالة، ونال من ابن المبارك أمير المؤمنين في الحديث والإمام العملاق نيلاً يدل على تعصب وقلة إنصاف، وذلك عندما زعم أنه لم يكن متفرغاً للعلم، ففاته كثير مما أدركه غيره.

أما تصرفه ؛ فقد كان يتصرف في قراءة الألفاظ، ولم يشر إلى الأصل المخطوط إلا في عدد قليل من هذه التصرفات، أما معظمها فلم يشر إليه أية إشارة، فأوهم بذلك أن المنشور مطابق للأصل، وهذا أمر لا يتفق والتحقيق العلمي الصحيح.

من ذلك صنيعه في ص ٢٣ فقد كتب أقوم (أقدم) وكتب وإنه (لأنه)، وصنيعه في ص ٢٧ إذ كتب ومنه (وفيه) ولم يشر إلى الأصل، وصنيعه في ص ٢٤ إذ كتب بتة (عنه).

والرجل على معرفته بالكتب المطبوعة والمخطوطة وعلى اطلاعه الواسع في جوانب الثقافة الإسلامية لا يؤمن جانبه بحال، لأنه محارب لعقيدة السلف، حاقد أشد الحقد على أئمة الهدى الذين دعوا إلى العودة لما كان عليه السلف الصالح ؛ من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، والشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله جميعاً، وعلى كل من سار على دربهم ونادى بدعوتهم؛ وهو متعصب لمذهبه الحنفي تعصباً لا يرضى به أئمة المذهب أنفسهم رحمهم الله، فلقد كان يحمله هذا التعصب الأعمى على أن ينال من كبار الأئمة، ويقع في أعراض

العلماء الصالحين، ثم هو بعد ذلك يحرف الكلم عن مواضعه، ويقطع النص عن سياقه وسباقه، ويقوّل الناس ما لا يقولون.

وأحيل القارئ الكريم إلى ما كتبه العلامة عبدالرحمن المعلمي اليماني رحمه الله في كتابه «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل»، والعلامة المحدث محمد عبدالرزاق حمزة رحمه الله في كتابه «حول ترحيب الكوثري بنقد تأنيبه»، وغيرهما ؛ ليرى الأمثلة على ما أشرنا إليه. أسأل الله العلي القدير أن يجنبنا الزيغ والضلال ويقينا الفتنة في الدين والعمل».

١٨- وقال الشيخ محمد بن الأمين أبو خبزة الحسني التطواني في تقديمه لكتاب الدكتور صادق بن سليم بن صادق « تكحيل العين بجواز السؤال عن الله بأين »[١]:

« هذا الحديث الشريف الصحيح – أي حديث " أين الله ؟ - كان قنبلة ذرية أتى على صروح المبتدعة من جهمية ومعتزلة وأشعرية وماتردية من القواعد، وألقمهم حديدًا لا حجرًا فقط ؛ فلجأوا إلى شياطينهم ومردتهم يستغيثون ويستنصرون، فاقتحم أبو جهلهم العقبة - أي الكوثري - معصوب العين

(١) (ص ٥ – ٧).

بعصابة التعصب، مريض القلب بداء الحسد والحقد ونصرة الباطل، فقاء ما في صدره من جحود الحق ومدافعته بدافع الكبر، الذي هو بطر الحق وغمط الناس، وكتب بيده الآثمة ما زين له من الباطل، من الطعن في هذا الحديث الشريف بما هو معروف في أوضاعه المرصدة لمحاربة الحق وأهله ؛ كمقالاته الخبيثة، وتعاليقه على عدد من الكتب. ورجل يسمح له ضميره الخرب وعقله المريض بالبراءة من دين الإسلام إن بقى الناس يصفون الإمام المجاهد ناصر السنة وقامع البدعة أبا العباس أحمد بن تيمية بشيخ الإسلام - رحمه الله ورضي عنه، وكبت أعداءه - لا تجوز موالاته ولا الأخذ عنه، بله الترضي عنه، والدعاء ؛ إن كان فارق الدنيا على ما عاش عليه من محاربة الحق والوقيعة في أئمة الهدى من السلف الصالح، حتى من ينعته بفقيه، ويشير إلى أنه وحده الحقيق بوصف الإمام القدوة للمسلمين أولهم وآخرهم، وتورط في سبيل نصرته والدفاع عنه إلى الكفر بكثير من الأحاديث الصحيحة والحسنة.

وهذا معروف عنه ومبثوث في كتبه ولا سيما (النكت الطريفة)، وقد رماه الله في حياته وبعد مماته بالغيّر من علماء الإسلام، فردوا عليه ردودا مفحمة؛ كالشيخ عبدالرحمن المعلمي في (التنكيل) وغيره، وكالشيخ أحمد الغماري - وهو من بابته في التصوف والخرافة -إ، لا أنه ألف سفرًا ناريًا تجاوز في الحد بعامل رد الفعل العنيف ؛ سماه (بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري) طبع بعد وفاة الرجلين، وكذلك الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله -، فقد تناوله في عدد من كتبه

ورسائله، وكشف عواره، ولاحق أنصاره وتلاميذه بالردود الموفقة، ومازالت سمومه سارية المفعول في مجال التعصب المذهبي ».

١٩- وقال الدكتور صادق بن سليم بن صادق في مقدمة كتابه (تكحيل العين بجواز السؤال عن الله بأين)[1]: «هذا بحث استعنت الله تعالى على إعداده، لم تتهيأ لي فرصة نشره إلا هذه الآونة، قصدت منه: الرد على جهمي العصر ومريسي القرن: محمد زاهد الكوثري، المعروف في الأوساط العلمية بعداوته الصارمة لأهل السنة السلفيين، فقد أطال هذا المعطل فيهم لسانه البذيء، وأجهد قلمه القارص في انتقاصهم، وتسفيه أحلامهم، وسعى بكل وسيلة للنيل من معتقدهم بما لو جمع لجاء في مجلد كبير.

لقد عمد هذا الماتريدي إلى الطعن في جملة وافرة صحيحة من الأحاديث التي يستدل بها أهل السنة على بعض مسائل الاعتقاد، وغرضه من ذلك: قطع الطريق عليهم عن الاحتجاج بها في مثل هذه المطالب، وفيها أحاديث وردت في الصحيحين طالما شرقت بها المعطلة وغصت بها حلوقهم.......الخ رده ».

٢٠- وقال الشيخ سليمان العلوان: «الكوثري ليس إماماً إلا في التجهم؛ فقد

---

(١) (ص ٩ - ١٠).

شحن كتبه بنشر مذهب الجهمية الذين كفرهم خمسمائة عالم وأكثر من ذلك من سائر البلدان، ونصب العداء وأظهر البغضاء لأهل التوحيد والعقيدة، وكفَّر علماء الأمة الذين يشنؤون مذهبه، مع كثرة سبه وشتمه من لا يستحق التكفير عنده.

ومن نظر في كتبه وتعليقاته ـ وأرى ألَّا ينظر فيها إلا لكشف ما فيها من البدع ـ؛ رأى العجب العجاب من تحريفه الكلم عن مواضعه، وشدَّة عداوته لعقيدة السلف، وإشادته بمذهب الخلف، ولا يتحاشى عن رمي ابن خزيمة وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم رحمهم الله بالتجسيم، وأمَّا تلاعبه بالأحاديث؛ فحدِّث ولا حرج؛ فما يخالف من الأحاديث بدعه وفجوره يطعن فيه، وإن كان الحديث في «الصحيحين»، وإنْ لم يضعفه؛ شكك في دلالة الحديث على المراد، ونازع في معناه.

ومع هذا كله نرى المعلق على «الأجوبة الفاضلة» و «الرفع والتكميل» و «قواعد في علوم الحديث» [1] يعظمه، ويصفه بأوصاف كاذبة خاطئة لا يستحقها مَنْ هو خير منه، مع أن هذا المعلق يدعي محبة الشيخين ابن تيمية وابن القيم، فالله المستعان.

وقد قال هذا المعلق الذي فتن بمحبة الكوثري الجهمي قبل تقدمته لـ «الأجوبة الفاضلة»؛ قال: «الإهداء إلى روح أستاذ المحققين، الحجة، المحدث،

(١) أي: أباغدة.

الفقيه، الأصولي، المتكلم، النظار، المؤرخ، النقادة، الإمام محمد زاهد الكوثري، الذي كان يوصي بكتب الإمام اللكنوي ويحض عليها، رحمهما الله تعالى... ».

أقول: الإهداء فيه ما فيه من التشبه بالغرب، ومخالفة هدي السلف، وبسطه في غير هذا الموضع، والكلام مع هذا المفتون في قوله: «أستاذ المحققين، الحجة، النقادة... ».

وهذا تصويب لحال الكوثري، وإن رغم أنف هذا المفتون.

وأي تحقيق عند الكوثري؟! أهو نشر مذهب السلف؟ أم نشر مذهب الخلف؟ إن كان الأول؛ فتكذبه كتب الكوثري وتعليقاته الماكرة، وإن كان الثاني؛ أهذا هو التحقيق عند هذا المفتون؟ أم هذا الإجرام العظيم والتجهم الذميم؟!

وقوله: «الحجة»: هذا من أعظم الجهل؛ فليس الكوثري حجة، بل هو جهمي لا اعتداد به ولا كرامة له.

وقوله: «النقادة»: هذا جهل آخر، وكتب الكوثري وتعليقاته لا تنقد إلا مذهب السلف، وتطعن في كتبهم، وتشكك في عقائد مؤلفيها، وهذا من أعظم الإلحاد والضلال.

ووصف الكوثري بـ«النقادة» ـ مع أن هذه حاله ـ ضلال بعيد وانحراف عن مذهب السلف؛ فكلامهم في وجوب مجانبة أهل البدع والتحذير من كتبهم ومجالستهم أمر مشهور مذكور في كتب السنة.

وقال الإمام البغوي ـ رحمه الله ـ في كتابه «شرح السنة» (١/ ٢٢٧): «وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم».

ولا يثني أحد على أهل البدع ـ وأي بدع؟! بدع جهمية!! ـ ويثني على كتبهم، ويرغّب فيها؛ إلا وهو يحبهم، ومن أحب قوماً؛ حشر معهم، وقد قال النبي ﷺ: «**المرءُ مع من أحب**» [(١)]، رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس ا.

وعلماء السلف رحمهم الله بينوا أمر الجهمية، وكشفوا حالهم، وأظهروا كفرهم؛ حتى قال ابن المبارك ـ رحمه الله ـ: «لأن أحكي كلام اليهود والنصارى أحب إلي من أن أحكي كلام الجهمية».[(٢)]

قال الدارمي: «وصدق ابن المبارك أن من كلامهم في تعطيل صفات الله تعالى ما هو أوحش من كلام اليهود والنصارى...». [(٣)]

فكيف مع هذا يمدحُ مَنْ يدعي العلم واتباع السلف رأساً من رؤوسهم؟!

وقد قال الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في «خلق أفعال العباد» (ص١١): «وإني لأستجهل من لا يكفرهم؛ إلا من لا يعرف كفرهم».

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠).

(٢) رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٦).

(٣) «الرد على الجهمية»، (ص٣١).

وقال الإمام الدارمي ـ رحمه الله ـ في «الرد على الجهمية» (ص١٧٣) بعدما ذكر حديث علي في قتل الزنادقة؛ قال: «فرأينا هؤلاء الجهمية أفحش زندقة، وأظهر كفراً، وأقبح تأويلاً لكتاب الله ورد صفاته فيما بلغنا عن هؤلاء الزنادقة الذين قتلهم علي عليه السلام وحرقهم»».[1]

قلت: هذه بعض أقوال أهل العلم والكتّاب في الكوثري،[2] مع التنبيه إلى أن التحذير من سقطاته وانحرافاته لم يقتصر على أهل السنة، بل صنع هذا بعض من هو على مشربه؛ بسبب تجاوزات وتعصبات منه لم يحتملوها.[3]

فالحمد لله الذي سخَّر له من يُعجل بفضحه في هذه الدار، قبل يوم الحساب.

---

(١) إتحاف أهل الفضل والإنصاف..، (ص٨٦-٨٨).

(٢) وللمزيد ينظر: «البيان بالدليل لما في نصيحة الرفاعي والبوطي من الأباطيل» للشيخ صالح الفوزان، و «دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام» للدكتور عبدالله الغصن، و «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» للدكتور عبدالرحمن المحمود، و «الرد القويم البالغ على كتاب الخليلي المسمى بالحق الدامغ» للدكتور علي فقيهي، و «القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد» للدكتور عبدالرزاق البدر، و «أضواء على الرسالة المنسوبة إلى الحافظ الذهبي..» للأستاذ أبي الفضل القونوي، و «كتب حذر منها العلماء» للشيخ مشهور سلمان.

(٣) من ذلك كتاب: «بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري» للخرافي الكبير: أحمد الغماري، (مطبوع بتحقيق الشيخ علي الحلبي)، و «التنبيه والإيقاظ» للطهطاوي ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ، وكتب القبوري المعاصر: محمود سعيد ممدوح فصلاً بعنوان «كلمة عن كتب الشيخ محمد زاهد الكوثري» في كتابه «تشنيف الأسماع» (ص٢٠٩-٢١٦)، أبان فيه بعض تعصباته.

ترجمة العلاّمة محمد بن عبدالعزيز ابن مانع (١)

هو الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن مانع بن إبراهيم بن حمدان بن محمد بن مانع بن شبرمة.

وآل شبرمة من (آل محمد) الذين هم أحد فخذي (آل وهيب) المسمون الوهبة، الذين هم من بني حنظلة، أحد البطون الكبار في القبيلة الكبيرة الشهيرة (بني تميم).

أما والدته، فهي بنت رشيد بن ناصر آل شبيلي، وآل شبيلي هم أسرة كريمة من العناقر من بني سعد بن تميم.

وُلد المترجم في بلدة عنيزة، المدينة الشهيرة بالقصيم عام ١٣٠٠ هـ فلما بلغ السابعة أدخله والده كُتاباً ليتعلم القرآن، وكان والده مريضاً إذ ذاك، وهو قاضي بلدة عنيزة، وبعد أيام توفي والده، فقرأ القرآن كله وحفظ بعضه، ثم اشتغل بطلب العلم، فقرأ مختصرات العلوم الشرعية والعربية؛ ككتاب التوحيد ودليل الطالب وبلوغ المرام وشرح الشنشوري على الرحبية، والآجرومية، على علماء عنيزة وبريدة.

---

(١) عن «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبدالله البسام ـ رحمه الله ـ (٦/ ١٠٠-١١٣) (باختصار وتصرف)، وللزيادة عن ترجمته ينظر كتاب: «العلامة محمد بن مانع» للأستاذ عبدالمنعم الوكيل، وكتاب: «الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع ـ حياته وآثاره»؛ للدكتور عطية صقر.

فلما ناهز البلوغ سافر إلى بغداد للاستزادة من العلم، فقرأ على علمائه النحو والصرف والفقه والفرائض والحساب والمنطق، ثم توجه إلى مصر فأقام بالأزهر، فقرأ فقه الحنابلة والنحو وغيرهما.

ثم سافر إلى دمشق، واتصل بعلمائها وتعرف إليهم، فقرأ عليهم في الحديث، ثم عاد إلى العراق ولازم مشايخه السابقين، فتزود منهم في علوم العربية بأنواعها، وقرأ عليهم مختلف أنواع العلم وفنونه.

وكان جاداً مجداً مواصلاً نهاره بليله في القراءة والتحصيل، وإدمان المراجعة والبحث، وكان لا يضيع من وقته لا قليلاً ولا كثيراً.

وكان فقيهاً مطلعاً على خلاف العلماء، ويكاد يحفظ نظم ابن عبدالقوي البالغ أربعة عشر ألف بيت في فقه الحنابلة، هذا عدا المختصرات والمتون ونظم العلوم.

من مشايخه:

الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، الشيخ عبدالله بن عائض، الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، الشيخ صالح العثمان القاضي، الشيخ عبدالله بن محمد بن دخيل. وهؤلاء مشايخه في القصيم من بريدة وعنيزة والمذنب.

السيد محمود شكري الآلوسي، السيد علي نعمان الآلوسي، الشيخ محمد

الذهبي، الشيخ جمال الدين القاسمي، الشيخ عبدالرزاق البيطار، الشيخ بدرالدين الحسني، العلامة الشيخ عبدالوهاب أفندي، نائب أمين الفتوى في بغداد، الشيخ عبدالرزاق الأعظمي البغدادي، العلامة السيد يحيى بن قاسم الأثري، المدرس في المدرسة الأحمدية ببغداد. **وهؤلاء مشايخه في دمشق وبغداد والقاهرة.**

الشيخ محمد بن عوجان، قرأ عليه الفقه في بلد الزبير، وذلك عام ١٣٣٠هـ حينما عاد من عنيزة إلى العراق. وقرأ على كثير غير هؤلاء..

من أعماله :

١- أنشأ المحسن الشهير مقبل بن عبدالرحمن الذكير نادياً في البحرين لتحرير المقالات والتباحث، وإعداد الردود على النصارى المبشرين الذين انتشروا في أطراف الجزيرة العربية والخليج العربي للتبشير، فجعل المترجَم رئيس النادي المذكور، فقام به خير قيام.

٢- وفي عام ١٣٣٤هـ، طلبه حاكم قطر الشيخ عبدالله بن ثاني، فرحل إليه، فولاه قضاء قطر والتدريس والخطابة، فأمضى في هذه الأعمال ثلاثاً وعشرين سنة، رحل إليه الطلاب من عمان وسائر بلدان الخليج، وأخذوا عنه أثناء هذه الفترة الطويلة، وقبل حلوله في قطر كان أهلها يقلدون مذهب المالكية، فصاروا من آثار تدريسه وتعليمه حنابلة المذهب.

٣- وفي عام ١٣٥٨هـ طلبه الملك عبدالعزيز آل سعود فوكل إليه التدريس بالمسجد الحرام والمدارس الحكومية.

٤- ثم عينه جلالته رئيساً لثلاث هيئات: هيئة تمييز الأحكام الشرعية، وهيئة الأمر بالمعروف، وهيئة الوعظ والإرشاد، فكان رئيساً لهذه الدوائر الثلاث في آن واحد.

٥- وفي عام ١٣٦٥ هـ صدر مرسوم ملكي بتعيينه مديراً عاماً للمعارف، ثم أسندت إليه رئاسة دار التوحيد، وما زال مديراً للمعارف حتى شكلت وزارة المعارف، وأسندت وزارتها إلى سمو الأمير فهد بن عبدالعزيز (خادم الحرمين فيما بعد ـ رحمه الله ـ).

٦- وفي عام ١٣٧٤هـ طلبه حاكم قطر ـ سابقاً ـ الشيخ علي بن ثاني من الحكومة السعودية، فرحل إلى قطر وصار مشرفاً على سير التعليم فيها، وإصلاح مناهجه.

٧- أقام في قطر، فصار هو المستشار لحكومتها في الأمور الدينية، فحصل من ثمرة هذه الثقة به والنفوذ لكلمته أن قامت هذه الحكومة القطرية الكريمة بطبع الكثير من الكتب العلمية النافعة في التفسير والحديث والتوحيد والفقه والأدب، وتوزيعها على أهل العلم بالمجان، ولا شك أن له نصيباً من الأجر، فالدال على الخير كفاعله، فقد وجدت الكتب النادرة، فحصلت منها الفائدة الكبيرة.

من تلاميذه:

الشيخ عبدالرحمن بن ناصر آل سعدي، علامة القصيم وصاحب المؤلفات المعروفة، الشيخ عثمان بن صالح القاضي، الشيخ محمد بن عبدالله آل مانع، وهذا ابن عم المترجَم، الشيخ محمد بن عبدالرحمن آل عبدلي، الشيخ عبدالله بن عمربن دهيش، رئيس المحكمة الكبرى بمكة، الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، صاحب المؤلفات الشهيرة، الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم بن عبداللطيف، المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، الشيخ علي بن محمد الهندي، المستشار بوزارة المعارف، الشيخ عبدالله بن زيد بن محمود، رئيس محكمة قطر، الشيخ عبدالله الأنصاري، مدير الشؤون الدينية في حكومة قطر، وعضو المجلس التأسيسي في رابطة العالم الإسلامي، الشيخ ناصر بن حمد الراشد الرئيس العام لمدارس البنات، معالي الشيخ عبدالعزيز بن حسن بن عبدالله بن حسن آل الشيخ، الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف، الشيخ محمد بن عبدالله بن حسن آل الشيخ، الرئيس العام للتربية الإسلامية بوزارة المعارف، الشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد، رئيس هيئة التمييز بالمنطقة الوسطى والشرقية، الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم الباهلي، قاضي بلدة شقراء، الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن مانع، ابن المترجَم، الشيخ أحمد بن محمد بن مانع، الملحق الثقافي السعودي بالقاهرة، وابن المترجَم، الشيخ قاسم بن درويش، من أعيان قطر، الشيخ عبدالرحمن الشعلان، قاضي المستعجلة الأولى بمكة، الشيخ محمد بن عبدالرحيم الصديقي، المدرس

بالطائف، الشيخ محمد بن عبدالله آل عبدالقادر الأحسائي، قاضي المبرز، ومؤلف «تاريخ الأحساء»، وله في المترجَم مدائح شعرية ذكر بعضها في تاريخه، الشاعر الكبير محمد بن عثيمين قرأ عليه في قطر، وللتلميذ في شيخه قصيدة جيدة مدحه بها، الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز آل الشيخ، إمام وخطيب مسجد ابن عباس بالطائف.

وغير هؤلاء كثير من المملكة العربية السعودية ومن بلدان الخليج العربي.

مؤلفاته :

١) مختصر شرح عقيدة السفاريني.

٢) حاشية على عمدة الفقه.

٣) حاشية على دليل الطالب.

٤) رسالة في آداب البحث والمناظرة.

٥) تحديث النظر في أخبار المهدي المنتظر.

٦) كشف الغطا عما في إعلام الورى من الخطا.

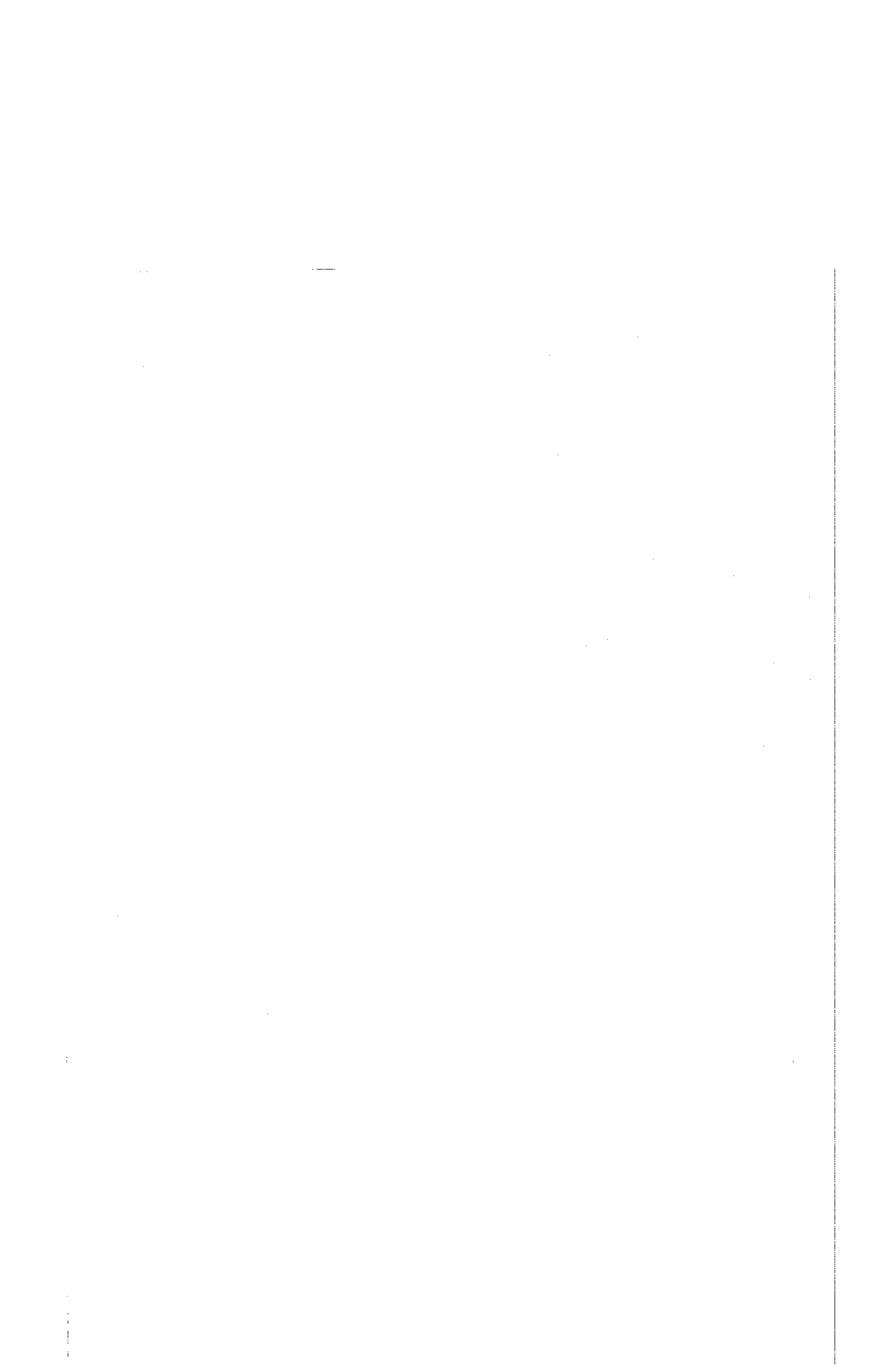
٧) إرشاد الطلاب إلى فضيلة العلم والآداب.

٨) إقامة البرهان على تحريم الإجارة في تلاوة القرآن.

٩) الأجوبة الحميدة على الأسئلة المفيدة للشيخ عبدالرحمن بن حسن.

١٠) شرح شواهد القطر وشواهد المغني.

أصيب الشيخ بمرض (البروستات) فأجريت له عملية جراحية بأحد مستشفيات بيروت، فأخذت صحته في التأخر؛ حتى وافاه الأجل قبيل الفجر من يوم السبت الثاني عشر من شهر رجب عام ١٣٨٥هـ في بيروت، ونقل جثمانه إلى قطر، وصلى عليه رجال الحكومة القطرية والأهالي، ودفن في قطر، ودفن معه بحر زاخر من العلوم والمعارف، فرحمه الله تعالى.



تعليقات

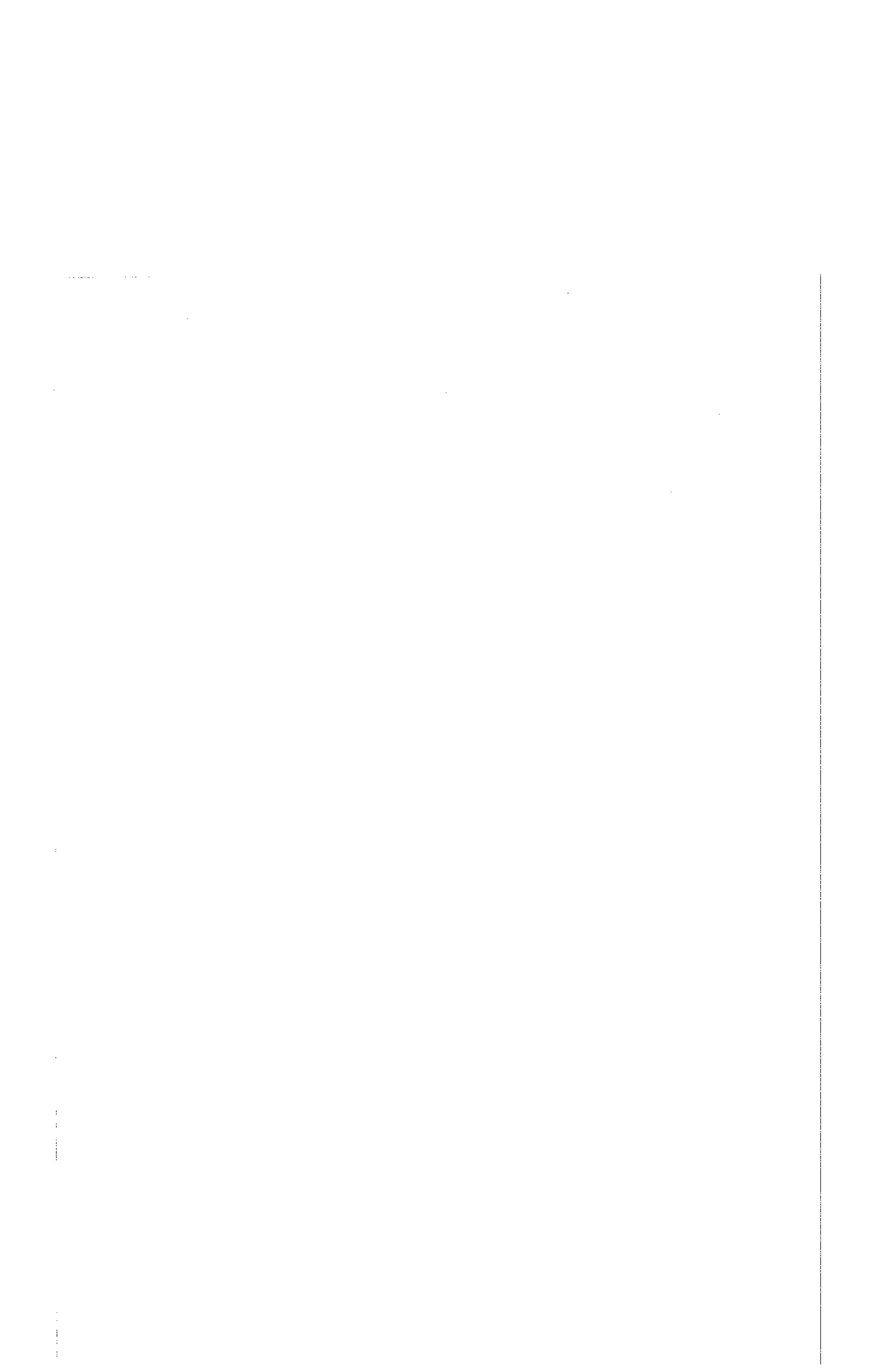
العلَّامة محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ

على

مقالات الكوثري وبعض كتبه

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي



الكتاب الأول: «مقالات الكوثري»

كتب الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ على غلاف «مقالات الكوثري»:

«الكوثري واسع الاطلاع، كثير الابتداع، نسب إليه القدسي تعمد الكذب لما اختلفا، ثم تصالحا، وكلاهما من أهل البدع، وليست عداوة الكوثري لابن تيمية وابن القيم خاصة، بل هو منابذ لأهل الحديث عامة، فهو معطل على طريقة الجهمية، وناصر ومؤيد لجهالات السبكي وابنه عبدالوهاب، وكذا ابن حجر الهيتمي، ومؤيد لكذب هذه الطائفة الضالة، المفترية على شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد أظهر الله كذبهم، وأبان بطلان أقوالهم؛ لما انتشرت كتب الشيخين: ابن تيمية وابن القيم، فلا تغتر بما يكتبه الكوثري من الأباطيل في مقالاته؛ فإنه شيخ ضال منحرف عن طريقة السلف الصالح، أهل السنة والجماعة. حرر في ١١/٥ سنة ١٣٧٤ بمكة المكرمة. كتبه محمد بن مانع».

قال أحمد خيري في ترجمته للكوثري في مطلع المقالات:

«وقبره قريب من قبر أبي العباس الطوسي المتكلم المشهور رضوان الله عليهما. هذا هو الرجل الذي فقده الإسلام، وخسره الأحناف، ورزئ فيه العلم، وثكلته المروءة، واستوحش لغيابه الزهد، وشغر مكانه بمصر، رضي الله عنه وأرضاه، وأعلى في جنان الخلد منازله ومثواه».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«مات الكوثري، وقدم على ما قدم، وهو ممن يصدق عليه ما نُسب إلى الإمام الشافعي من قوله في أهل الكلام: أوتوا ذكاء، وما أوتوا زكاء، أوتوا علوماً، وما أوتوا فهوماً. قد ابتلاه الله ببغض أهل السنة؛ لا سيما شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلامذته، ومن على مشربهم العذب الزلال الصافي، المستمد من ينبوع الكتاب والسنة، ولقد كنت أتمنى له الهداية للحق؛ لينفع الله به، وبسعة اطلاعه المسلمين، ولكن الأمر كله بيد الله تعالى، نسأله الثبات على الإسلام».

قال أحمد خيري:

«وثالثها: اضطراره إلى مغادرة بلاده فاراً بدينه، وسبب ذلك أن الأستاذ كان من المستمسكين بدينهم، واستلزم ذلك كراهته الاتحاديين، لنزعتهم الإلحادية، فلما ولي الأمر الكماليون، وكانوا أشد إلحاداً ولا دينية، وبغضاً للإسلام وعلمائه، وكل ما يتصل به، كما ظهر منهم فيما بعد، فقد رأى أن الخير في مغادرة البلاد مؤقتاً، حتى تهدأ الفتنة خصوصاً، وقد أخبره بعض المخلصين أن هناك مؤامرة لاعتقاله، فخرج من السوق إلى الميناء دون الرجوع إلى منزله، حيث استقل الباخرة من الآستانة إلى الإسكندرية، كما مر في الفصل الأول.

ويجمل بي أن أعرض في هذا المقام للإصلاح الفاسد الذي زعمه الكماليون، وفساده أتى من فصلهم الدين عن الدولة، فالدين الإسلامي كما يعلم كل من له

أقل إلمام به، ليس بقاصر على صلاة وصوم، ولكنه دين سياسة وتنظيم للمجتمع، فكتب الفقه تبدأ بالعبادات، ولكنها تشمل المعاملات العامة والخاصة، والعقوبات، والحظر والإباحة، وكتب السير تبحث في الحرب وأحكامها وما يترتب عليها، والغنائم ومعاملة غير المسلمين، مع مراعاة حقوقهم وحفظ ذمتهم، وإجمالاً أقول: إن الدين الإسلامي فيه كل ما يراد من تحقيق مجتمع إنساني مثالي سعيد، ولا يطلب فصل الدين عن الدولة، إلا الذي لا يعرف ما هو الدين الإسلامي».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«كان جلالة الملك سعود أمر في سنة ١٣٧٤ بقطع أيدي جماعة من السراق، بعد ثبوت ذلك عليهم شرعاً، ثم بلغه ـ حرسه الله ـ أن بعض المرتابين يرى تغيير مثل هذه الأحكام الشرعية، وإبدالها بالعمل بالقوانين الكفرية المدنية، وما كان من جلالته إلا أن أنكر هذا الرأي الفاسد، وقال: من لم يرض بأحكام الإسلام؛ فباب حكم المرتد مفتوح، ونُشر ذلك في جريدة البلاد السعودية، أثابه الله وأطال عمره، وهذا معنى ما قرأت في تلك الجريدة، وهذه آراء من يريد فصل الدين عن الدولة».

قال أحمد خيري:

«وقد عاش المترجم طول حياته خصماً لابن تيمية ومذهبه».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«كما عاش الروافض طول حياتهم خصماء لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فابن تيمية يدعو إلى توحيد الله بالعبادة، وإخلاص العمل له، ويدعو إلى الإيمان بصفات الله، مثبتاً لها على طريقة السلف الصالح، والكوثري على ضد ذلك، فهو خصم للحق، ناصر للباطل. ابتلى الله الكوثري، كما ابتلى السبكي والعلاء البخاري، وابن حجر الهيتمي، في بغض شيخ الإسلام ابن تيمية؛ رفعاً لدرجاته ـ رحمه الله ـ».

قال أحمد خيري معدداً مؤلفات الكوثري:

«تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم، وهو مقدمة وتعاليق على كتاب السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل، للسبكي الكبير، مطبعة السعادة سنة ١٣٥٦، في ١٩٢ صفحة غير الفهارس والتصويبات وكلمة الناشر».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«السيف الصقيل دل على جرأة مؤلفه على اللعن والشتم، حيث احتنق ولم يقدر على رد ما ذكره الإمام العلامة شيخ الإسلام الثاني ابن القيم، عليه الرحمة، وسألت أنا لما كنت بمصر سنة ١٣٦٨ الكوثري عن كلمة ابن زفيل فلم يعرف لها معنى»! (١)

---

(١) قلت: وهذا يخالف ما قاله الكوثري لأحمد الغماري عن معنى هذا اللقب ـ كما سيأتي ـ، مما يدل على تلاعب الكوثري وكذبه. قال الشيخ بكر أبو زيد ـ رحمه الله ـ في كتابه «ابن قيم الجوزية: حياته ـ آثاره ـ موارده» (ص٣١-٣٦):

=

«الكشف عن تلقيبه بابن زفيل: طُبع لأول مرة كتاب: الرد على نونية ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ لتلميذه تقي الدين السبكي تحت عنوان: «السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل» وعليه تعليقات للكوثري أسماها «تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم».

وقد تتبعتُ أسماء مؤلفات السبكي فرأيتُ من بينها أنه ألف رسالة في التعقيب على نونية ابن القيم باسم «الرد على نونية ابن القيم» ومنه نسخة مخطوطة بالمكتبة التيمورية بهذا الاسم.

ثم وجدت في «شرح الإحياء» للزبيدي (١/ ٨) ذكر رد السبكي هذا باسم «السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل». فاقتضى هذا التنبيه. وقد كنت ذكرت في الطبعات المتقدمة أن هذه التسمية لعلها من صنيع الكوثري.

والحامل على اتهام الكوثري بوضعها هو ما اشتهر عنه من التحريف والتلبيس، وبه فتح على نفسه طريقاً للسالك ومقالاً للقائل. ولا تنس كتاب «التنكيل» للمعلمي ـ رحمه الله تعالى ـ، فهو كاشف لذلك. والله أعلم.

ولقد تصفحتُ الكثير من كتب التراجم والمعاجم فلم أر هذا النبز لابن القيم ولا لغيره من أهل العلم، وقد سألتُ كثيراً من علماء الأمصار عن هذا النبز المذكور فلم أر من يعيرني عليه جواباً، وفي حج عام ١٣٩٧هـ اجتمعت بالشيخ عبدالله بن الصديق الغماري صاحب طنجة فسألته عن ذلك فأفاد بأنه لما خرج هذا الكتاب بهذا الاسم، صار استغرابه من عامة أهل العلم بمصر وقال: فكنت ذات يوم في مكتبة الشيخ حسام الدين القدسي بمصر أنا وأخي أبو الفيض أحمد الغماري، فجاء إلينا الكوثري فسأله أخي أحمد عن ذلك فقال الكوثري: إن زفيلاً اسم لجد ابن القيم من قبل أمه، والمراد منه نبزه بذلك، على عادة العرب حينما يريدون التحقير لشخص ينسبونه إلى جده لأمه، ومن ذلك: قول المشركين في حق النبي ﷺ: لقد أَمِر أَمْر ابن أبي كبشة.

=

وأبو كبشة كنية جد النبي ﷺ من قبل أمه. فسأله الشيخ أحمد: أين وجدت أن ذلك اسم لجد ابن القيم لأمه؟ فلم يجب بإيجاب!!

وهذا من السباب، وفي الحديث أن النَّبيَّ ﷺ قال: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

ولا يضر بذلك الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ، فالكوثري خصم ملد ليس لابن القيم فحسب بل لكل من ليس حنفياً، ومن أراد كشف ذلك فلينظر كتاب «التنكيل» للمعلمي وغيره من كتب العلماء الأجلاء التي أبانت عن تحامله وطيشه وتجاسره على علماء السَّلف من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم، ولا شك أن هذه المسيرة التي أخذ الكوثري بتلابيبها هي منهج كل مقصر أمام كل متبحر في الكتاب والسُّنَّة.

قال الشوكاني في معرض دفاعه عن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «وهذه قاعدة مطردة في كل عالم متبحر في المعارف العلمية ويفوق أهل عصره ويدين بالكتاب والسنة، فإنه لابد أن يستنكره المقصرون، ويقع لهم معه محنة، ثم يكون أمره الأعلى وقوله الأولى، ويكون له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين ويكون لعلمه حظ لا يكون لغيره».

وذكر السيوطي ما وقع لابن العربي المالكي من معاصريه في معرض شرحه لحديث أنس: أن رسول الله ﷺ: دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر.. الحديث. أنه قد رواه من ثلاثة عشر طريقاً غير طريق مالك فقال:

«قال ـ أي العراقي في نكته ـ وروى ابن مسدي في معجم شيوخه أن أبا بكر بن العربي قال لأبي جعفر بن المرخي حين ذكر أنه لا يُعرف إلا من حديث مالك عن الزهري ـ: قد رويته من ثلاثة

=

عشر طريقاً غير طريق مالك، فقالوا له: أفدنا هذه الفوائد، فوعدهم ولم يخرج لهم شيئاً. وقال الحافظ ابن حجر في نكته: قد استبعد أهل إشبيلية قول ابن العربي حتى قال قائلهم:

يا أهل حمص ومن بها أوصيكم ... بالبر والتقوى وصية مشفق

فخذوا عن العربي أسمار الدجى ... وخذوا الرواية عن إمام متقي

إن الفتى ذرب اللسان مهذب ... إن لم يجد خبراً صحيحاً يخلق

وعنى بأهل حمص أهل إشبيلية. قال الحافظ ابن حجر: قد تتبعت طرق هذا الحديث فوجدته كما قال ابن العربي من ثلاثة عشر طريقاً عن الزهري غير طريق مالك، بل أزيد فرويناه من طريق الأربعة الذين ذكرهم شيخنا.. فذكرها ـ ثم قال الحافظ ابن حجر: فهذه طرق كثيرة غير طريق مالك عن الزهري عن أنس. قال: فكيف يحل لأحد أن يتهم إماماً من أئمة المسلمين بغير علم ولا اطلاع؟!

قلت ـ أي قال السيوطي ـ: قد تسليت بهذا الذي اتفق للقاضي أبي بكر بن العربي الذي كان مجتهد وقته، وحافظ عصره ـ عما أقاسيه من أهل عصري عند ذكري لهم ما لا اطلاع لهم عليه من الفوائد البديعة من سوء أدبهم وإطلاق ألسنتهم وحسدهم وأذاهم وبغيهم.

وقد قال ابن العربي في بعض كتبه، وقد تكلم على علم مناسبات القرآن، فلما لم نجد له حملة ووجدنا الخلق بأوصاف البطلة، ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه.

وقد اقتديت به في ذلك فختمت على أكثر ما عندي من العلم بل على كله إلا النقطة بعد النقطة في الحين بعد الحين، والله المستعان. وقد ألفت في الاعتذار عن تركنا الإفتاء والتدريس كتاباً سميته «التنفيس»، ومقامة تسمى «المقامة اللؤلؤية» أوضحت فيها العذر من ذلك. اهـ

إذاً فالمتحصل بعد هذا التبسيط أن هذا النبز (ابن زفيل) لا حقيقة له فيما أعلم.

=

قال أحمد خيري:

«ومن أعز ما أعتز به مجموعة مراسلاتنا، وقد بلغ عددها ٢٥٩، من ذلك ١٥٠ صادرة عني، و١٠٩ واردة من الأستاذ، ويوجد بعض خطابات برقم مكرر لخطاب سابق تعلق المكرر به، وجميع مراسلات الأستاذ جليلة مفيدة، وأكتفي هنا بالكلام على خمسة أشياء، هي ضمن ما ورد في خمسة خطابات منها:

وهذا الفرح بهذا النبز غير مستغرب على هذا الجركسي فله أمثال ذلك الشيء الكثير من نبز أهل السُّنَّة والحط عليهم والتحريف والزيادة والنقص عند النقل لكلام العلماء. وقد فُضح في هذا من أهل العلم منهم: العلامة المعلمي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابيه: «التنكيل»، و «طليعة التنكيل»، والشيخ محمد بهجت البيطار ـ رحمه الله تعالى ـ في رسالته: «الكوثري وتعليقاته»، والشيخ محمد نصيف. وغيرهم. بل من أصدقائه وخاصته، منهم حسام الدين القدسي في مقدمة «الانتقاء في فضل الثلاثة الأئمة الفقها»، ومنهم أحمد وعبدالله ابنا الصديق الغماري، وهو لا يرى شيئاً غير أبي حنيفة ولذلك لقبه أحمد الغماري بقوله «مجنون أبي حنيفة». انتهى كلام الشيخ بكر أبو زيد ـ رحمه الله ـ. قلت: وقد سبقه لهذا الشيخ محمود شكري الألوسي ـ رحمه الله ـ فقال في كتابه «غاية الأماني في الرد على النبهاني»، (١/ ٥٤٦): «ولم نسمع أن أحداً سمّاه ـ أي ابن القيم ـ ابن زفيل، وكلامه يوهم أنه شخص آخر، وهكذا شأن الغلاة: ديدنهم ودينهم تحريف الكلام عن مواضعه».

ففي الخطاب رقم ١٧ المؤرخ ٢٦من رجب سنة ١٣٥٨ قال: وأما حديث رد الشمس فهو صحيح باعتبار الصناعة، وحكمه حكم أخبار الآحاد الصحيحة، ولست ممن يجعل لقدرة الله حداً، انتهى».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«راجع منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ».[1]

قال أحمد خيري:

«وفي الكتاب رقم ١٤١ المؤرخ ٧ من ربيع الآخر سنة ١٣٦٥ أن الكتاب الذي طبعه الشيخ راغب الطباخ الحلبي المتوفى سنة ١٣٧٠ باسم «الإفصاح» هو في الحقيقة كتاب الإشراف على مذاهب الأئمة الأشراف، الذي هو قطعة من الإفصاح».[2]

---

(١) (٨/ ١٦٤-١٩٨)، قال عنه: «هذا الحديث كذب موضوع».

(٢) نقل الشيخ راغب الطباخ في مقدمة الإفصاح (ص٧) قول صاحب كشف الظنون على كتاب «الجمع بين الصحيحين» للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن أبي النصر الحميدي الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٨ : «وله شروح، منها: شرح عون الدين أبي المظفر يحيى بن محمد ـ أي ابن هبيرة ـ، كشف عما فيه من الحكم النبوية. قال ابن شهبة في تاريخه: وسماه «الإيضاح عن معاني الصحاح»، في عدة مجلدات، ولما بلغ فيه إلى حديث: «من يرد الله به خيراً» الخ، شرح الحديث وتكلم عليه

=

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

على معنى الفقه، فآل به الكلام إلى ذكر مسائل الفقه المتفق عليها والمختلف فيها، فأفرده الناس من الكتاب، وجعلوه مجلداً، وسموه بكتاب «الإفصاح»، وهو قطعة منه. انتهى».

وقال الدكتور فؤاد عبدالمنعم أحمد محقق «الإفصاح»:

«إن كتاب «الإفصاح عن شرح المعاني الصحاح» يشتمل على تسعةَ عشرَ كتاباً، وهو شرح صحيحي البخاري ومسلم، متخذاً الجمع بينهما للحميدي أساساً، ولمّا بلغ فيه إلى حديث: «من يُرِدِ اللهُ به خيراً يفَقِّهْهُ في الدين» شرحه، وتكلم خلاله عن معنى الفقه، وآل به الكلام إلى ذكر مسائل الفقه المتفق عليها، والمختلف فيها بين الأئمة الأربعة المشهورين؛ وقد أفرده الناس من الكتاب، وجعلوه مجلدة مفردة، وسموه بكتاب: «الإفصاح» وهو قطعة منه، وأثنى عليه العلماء؛ وهذا الجزء طُبع أكثر من مرة، وباقي الكتاب لا يزال مخطوطاً، ومبعثرة أجزاؤه بين مكتبات العالم» (١/ ١٥).

وقال في الهامش: «وتوجد نسخ مخطوطة منه بعناوين أخرى: «الإيضاح والتبيين في اختلاف الأئمة المجتهدين» و «الإشراف على مذاهب الأشراف»، و «الإجماع والاختلاف»، ويخطئ البغدادي والزركلي إذ يعتبران أنها كتباً غير الإفصاح»، انظر هداية العارفين ٦:٥٢١ والأعلام ٩:٢٢٢».

قلت: فاتضح أن الكوثري اعتمد على نسخة منه بهذا العنوان:«الإشراف..»، ولا علاقة لهذا بكتاب ابن المنذر، كما ظن الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ.

«لم يذكر ذلك ابن رجب في الطبقات، وإنما ذكره ابن كثير في التفسير، والمعروف أن الإشراف لابن المنذر».

قال أحمد خيري في رثاء الكوثري:

«ويَعْصِم بالبُرْهَانِ رَأْيَ أئمةٍ ويَقْصِم شِرِّيراً تَفَشَّى مُروقُهُ»

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

إن ابن تيمية في كل العلوم أوحدُ
أحييت دين أحمد وشرعه يا أحمدُ

ابن الوردي». [1]

قال الكوثري: [2]

«يوجد بين البشر من يرضى لنفسه أن يقول: إن القرآن كلام الله بحرف وصوت ومع ذلك فهو غير مخلوق. وفي هؤلاء يقول أبو بكر الباقلاني في «النقض الكبير»: من زعم أن السين من باسم الله بعد الباء، والميم بعد السين الواقعة بعد الباء لا أول له، فقد خرج عن المعقول وجحد الضرورة، وأنكر البديهة».

(١) الكواكب الدرية...، لمرعي الكرمي، (ص٥٧).

(٢) المقالات، (ص٢٦).

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«القرآن كلام الله، سمعه جبريل من الله، والنبي سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من النبي، فليس بمخلوق، وقد دل الدليل على أنه سبحانه يتكلم بشيء بعد شيء، ولم يزل متكلماً إذا شاء، فكلامه قديم نوعاً، حادث آحاداً، وإذا قالوا: يلزم من ذلك قيام الحوادث بذاته تعالى، قلنا: ومن أنكر ذلك من أهل الحق؟! ومعنى قيام الحوادث بذاته، قدرته عليها».[1]

قال الكوثري:[2]

«فإذا كان حال الموفق هكذا فماذا يكون حال من دونه؟! نسأل الله الصون، وقد أجاد الآلوسي[3] المفسر الرد عليه ـ أي على ابن قدامه ـ رحمه الله

---

(١) ينظر لمعرفة قول السلف في القرآن بالأدلة، مع الرد على أقوال أهل البدع: رسالة «العقيدة السلفية في كلام رب البرية..» لعبدالله الجديع.

(٢) المقالات، (ص٢٧).

(٣) فائدة: قال الشيخ أبو عبدالرحمن الظاهري في رسالته «لَبَطة أبو عُقيقة» (ص١٢٥): «بعضهم يقول: «الألوسي» بغير مد الألف المهموزة، وذلك جائز كما سيأتي، والنسبة إلى «آلوسة» بضم اللام وسكون الواو، وسين مهملة، بلد على الفرات قرب عانة. ويقال: ألوس، بغير مد، والمد أصح، لأنها معربة، على وزن فاعولة. (انظر: معجم البلدان (١/ ٥٦و٢٤٦-٢٤٧).

ـ، وعلى إخوانه من نفاة الكلام النفسي في مقدمة تفسيره، فنستغني بذلك عن الإفاضة فيه هنا».[(١)]

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«إن الآلوسي في تفسيره ذكر أشياء في أوله مداهنة لمشايخ إسطنبول، حيث إنه لما أتم التفسير سافر به إلى شيخ الإسلام هناك لينال بذلك مرتبة عند الدولة، ولهذا في أوله مدح ابن عربي ولام ابن تيمية في الرد عليه، ولكنه لما رجع إلى بغداد تغير اعتقاده في شيخ الإسلام ابن تيمية، وأثنى عليه، وأنكر على السبكي ما يقوله في شيخ

---

(١) انظر: تفسيره (١/ ١٠-٢٠)، قال: «وقد شنع على الشيخ الأشعري في هذا المقام أقوام تشابهت قلوبهم، واتحدت أغراضهم، وإن اختلفت أساليبهم، وها أنا بحوله تعالى راد لاعتراضاتهم بعد نقلها...» الخ كلامه في الانتصار لمذهب الأشاعرة في صفة الكلام. ولذا قال الشيخ محمد المغراوي عنه: «أما عقيدته في الأسماء والصفات في تفسيره، فقد ضم تفسيره معظم بحوث الرازي، حتى إنه ينقلها بالحرف، وبالوجوه التي يعددها الرازي في الشبه الأشعرية... أحياناً يميل إلى مذهب السلف ويقرره وينسب نفسه إليه؛ كما فعل في صفة الحياء، وأحياناً يذكر المذهب الأشعري، وينتصر له انتصاراً، وربما يؤدي به ذلك إلى لمز أئمة السلفية؛ كما فعل في صفة الكلام». (المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات)، (٣/ ١٢٩١).
وانظر رده بالتفصيل في رسالة «منهج أبي الثناء الألوسي في أصول الإيمان – عرض وتقويم –»؛ للأستاذ عبدالله الخضير، (١/ ١٧٠-١٩١)، رسالة ماجستير في جامعة الإمام، لعام ١٤١٣هـ، (لم تطبع بعد).

الإسلام، ذكر ذلك في «غرائب الاغتراب»».(١)

---

(١) قال الألوسي في مقدمة تفسيره «روح المعاني» (١/ ٤) واصفاً السلطان العثماني محمود: «خليفة الله الأعظم،وظله المبسوط على خليقته في العالم، مجدد نظام القواعد المحمدية، ومحدد جهات العدالة الإسلامية.. سلطان الثقلين.. الخ مديحه»، وأثنى (١/ ٧) على تفسير الصوفية الإشاري، الذي نثره في جنبات تفسيره، فتعقبه المعلق على التفسير «منير الدمشقي» بقوله (ص٣٧):«اعلم أن ما ذكره المفسر ـ رحمه الله تعالى ـ ونقله عن بعض مفسري الصوفية في المعاني التي تُستنبط من الحروف بطريق الرمز والإشارة؛ لا يدل عليه كتاب ولا سنة صحيحة، وليست هذه المعاني من مدلولات الكلمات لغة ولا سياقاً، ولا يخفى على أهل العلم بالشريعة الإسلامية والسنة النبوية أن مدلولات الكلمات القرآنية والألفاظ المصطفوية هو ما دل عليه اللفظ لغة منطوقاً أو مفهوماً أو سياقاً، حقيقة أو مجازاً بحسب القرائن، وباعتبار النزول، وسببه، وما ورد فيه عن الصحابة الأخيار، والتابعين الأبرار، ونصون كلام صاحب الشريعة عن تأويل أو تصحيف أو تحريف، ولو كان قائل ذلك أياً كان من العلماء، ونضرب على يد من يتجرأ على مثل ذلك بسوط من حديد، وعلى لسانه بمقارض من نار؛ فإن القرآن أنزل لهداية الأمة وبيان طريق سعادتها دنيا وأخرى، والعمل بما دل عليه لفظه المنزل به، وقد أخبر الله تعالى أنه أنزل بلسان عربي مبين، فلا تغتر بما سطره المفسر هنا، أو ما سيأتي من الإشارات، إلى مدلولاتٍ ما جاء بها أثر عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة الذين هم هداة الأمة من بعده ﷺ، وليسعنا ما وسعهم من العلم النافع والعمل المثمر، ونسأل الله توفيق الأمة للعمل بما جاء به كتابنا المعصوم، وسنة نبينا التي ليلها كنهارها سواء ا.هـ. مصححه منير».

أما نقد الألوسي لابن تيمية ـ رحمه الله ـ فهو في تفسيره (١/ ١٨). أما في غرائب الاغتراب (ص٣٨٨) فقال عنه: «ثم انجر الكلام إلى ابن تيمية، فقال: إنه قائل بالجسمية، فقلت: حاشاه، ومذهبه في المجسم أنه مطلقاً غير مسلم، فقال: إنه يقول: العرش قديم نوعاً، فقلت: لم نجد لنسبته إليه من غير الدواني

=

قال الكوثري:(١)

«وكم رد في شرحه هذا(٢) على صنوف أهل الزيغ، وله نزاهة بالغة في ردوده على المخالفين من أهل الفقه والحديث، وكم أثار من ثنايا الأحاديث المشروحة فوائد شاردة، وحقائق عالية، لا ينتبه إليها إلا أفذاذ الرجال وأرباب القلوب، ولا عجب أن يكون هذا الشرح كما وصفناه وفوق ما وصفناه عند المطالع المصنف.

ومؤلفه ذلك الجهبذ الحجة الجامع لأشتات العلوم، محقق العصر المفسر

نقلاً يليق أن يُمنح سمعاً، فقال: له مخالفة للأئمة الأربعة في بعض المسائل الفقهية، فقلت: شبهته في تلك المخالفة بحسب الظاهر قوية، وله في بعض ذلك سلف، كما يعرفه من تتبع المذاهب ووقف، وقد مدحه غير واحد من العلماء الأعلام، وقد سمعت من شيخي أنه رأى كتاباً في ترجمة من لقبه بشيخ الإسلام، فقال: ذمه العلامة السبكي، فقلت: كم من جليل غدا من ذم عصريه يبكي، فآه من أكثر المعاصرين، فهم بأيدي ظلمهم لحبات القلوب عاصرين».

قلت: و «غرائب الاغتراب» ألفه الألوسي بعد تأليف تفسيره؛ كما في (ص٥١) منه.

وقال الأستاذ عباس العزاوي في كتابه «ذكرى أبي الثناء» (ص٣٩) متحدثاً عن تأثر الألوسي بمذهب السلف: «غاية ما عمله لنصرة مذهب السلف أن نشر آراء شيخ الإسلام ابن تيمية، وبثها في تفسيره، وكفاه عرضها، وإن لم يستطع أن يجهر بالدعوة..». وهذا في الجملة ـ كما سبق ـ.

(١) المقالات، (ص٨٤).

(٢) أي: «فتح الملهم».

المحدث الفقيه البارع النقاد الغواص، مولانا شبير أحمد العثماني شيخ الحديث بالجامعة الإسلامية في دابهيل سورت «بالهند»، ومدير دار العلوم الديوبندية ـ وأزهر الأقطار الهندية ـ وصاحب المؤلفات المشهورة في علوم القرآن والحديث والفقه، والرد على المخالفين، أطال الله بقاءه في خير وعافية، ووفقه لإتمام طبع هذا الشرح الثمين، ولتأليف كثير من أمثاله بما فيه سعادة الدارين، ونفع بعلومه المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، إنه قريب مجيب».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«لما قرأت هذه المقالة، ورأيت هذا المدح العظيم لفتح الملهم، أخذت الجزأين، وتصفحتهما؛ لأن مدح الكوثري يوجب الريبة في الممدوح؛ فطالعت كتاب الإيمان وغيره، ورأيت المؤلف قصده أن يجمع جميع الأقوال التي وقف عليها، فنقل عن تقي الدين بن تيمية، ويذكره بعبارات المدح، ويلقبه بشيخ الإسلام، ولم أقف على ما أنكره الآن».[1]

---

(١) مؤلف الكتاب الشيخ «شبير العثماني» حنفي ديوبندي، نصر مذهب مرجئة الفقهاء في باب الإيمان؛ بإخراجه العمل عن مسمى الإيمان، (انظر: ١/ ٣٠٢-٣٠٦ من شرحه)،كما أنه متعصب لأبي حنيفة (انظر: ١/ ١٤٦-١٥٦).

إلا أنه أجاد في أبواب النهي عن البناء على القبور أو تعظيمها (انظر: ١/ ٤٩٨-٥٠١) بما يخالف عقيدة الكوثري القبوري.

=

قال الكوثري:[(١)]

«فدونك كتاب «الجمع بين التقوى والفتوى في مهمات الدين والدنيا» لأبي العلاء صاعد بن أحمد بن أبي بكر الرازي، من رجال القرن السادس،[(٢)] وزع فيه مسائل الخلاف على نوعين: مقتضى التقوى ومقتضى الفتوى، كما أن كتاب «ميزان الشعراني» يقسم المسائل على قسمي العزيمة والرخصة،[(٣)] على أغلاط في نسبة المسائل إلى الأئمة، اغتراراً بما رآه في «رحمة الأمة» لأبي عبدالله محمد بن عبد الرحمن العثماني».[(٤)]

وكتابه: «فتح الملهم» طبعته دار القلم مؤخراً (عام ١٤٢٧هـ) طبعةً معتنىً بها، مع تكملته للشيخ محمد تقي العثماني، في ٦ مجلدات.

(١) المقالات، (ص١٢٢).

(٢) ترجمته في «الجواهر المضية في طبقات الحنفية»، (٢/ ٢٥٩)، قال عنه: «صاعد بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد الرازي، له كتاب «جوامع الفقه»». وانظر: «الطبقات السنية»،(٤/ ٧٨)، و«كشف الظنون»، (١/ ٦١١).

(٣) قال في مقدمة ميزانه (١/ ٦٢): «إن الشريعة جاءت من حيث الأمر والنهي على مرتبتين: تخفيف وتشديد.. فإن جميع المكلفين لا يخرجون عن قسمين: قوي وضعيف، من حيث إيمانه أو جسمه في كل عصر وزمان، فمن قوي منهم خوطب بالتشديد والأخذ بالعزائم، ومن ضعف منهم خوطب بالتخفيف والأخذ بالرخص، وكل منهما حينئذٍ على شريعة من ربه وتبيان». وعلى هذين القسمين بنى كتابه.

(٤) من علماء القرن الثامن الهجري، كان حياً سنة ٧٨٠هـ، انظر: «معجم المؤلفين»، (١٠/ ١٣٨).

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«الاتفاق على الأصول الأربعة[١] بين أئمة المذاهب الأربعة صحيح، ولكن حصل الخلاف في فهم مدلول النصوص، كما أشار إليه الحافظ بن رجب في شرح حديث: «الحلال بين والحرام بين..»،[٢] وبقيت أصول مختلف فيها، أوجب ذلك الخلاف في فروعها؛ كشرع من قبلنا، ومذهب الصحابي، والاستحسان، والاستصحاب، وغير ذلك».

قال الكوثري:[٣]

«ثم إن تسعة أعشار المسلمين على أقل تقدير أتباع أئمة الهدى المعروفين، فمحاولة تسيير هؤلاء الكثرة العظيمة وراء شرذمة ضئيلة؛ من شذاذ الخوارج والروافض واللامذهبية الحدثاء، لا تكون إلا هدماً لكيان الفقه الإسلامي المتوارث، وقلباً للأمر رأساً على عقب، وسعياً في الإفساد باسم الإصلاح، وتصرفاً فضولياً ممن لا يدين بمذاهب الأئمة المتبوعين، فمحاولة اتباع الكثرة العظمى للأقلية الضئيلة

---

(١) أي: الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩). وينظر شرح الحديث في: «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٩٦-٢٠٣) لبيان سبب الاختلاف بين العلماء.

(٣) المقالات، (ص١٢٣).

جد الضآلة هكذا، لا تكون غير نفخ في كير الفتنة، فيكون أول من يكتوي بنارها هو القائم بإشعال نار هذه الفتنة».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«قف، وهو يشير بهذا إلى ما ظهر حديثاً: إلى فتنة التقريب بين المذاهب، والقائمون بها أكثرهم روافض».(١)

قال الكوثري:(٢)

«وقد شرح أحوالهم ـ أي الروافض ـ المحدث عبد العزيز الدهلوي في «التحفة الاثنى عشرية» وهي في ٤٠٠ صفحة كبيرة باللغة الفارسية، وترجمها إلى العربية غلام محمد الأسلمي الهندي، ولخص هذه الترجمة محمود شكري الألوسي».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«وقد طُبع مختصر شيخنا السيد محمود الآلوسي بمصر،(٣) وأحدث ذلك

---

(١) وتفصيل محاولات التقريب التي يسعى إليها الروافض لتمرير مذهبهم الباطل على الأمة؛ تجده في كتاب «مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة»؛ للدكتور ناصر القفاري.

(٢) المقالات، (ص١٢٤).

(٣) ولا يزال يُطبع مراراً، بعنوان: «مختصر التحفة الاثني عشرية»، بتحقيق الشيخ محب الدين الخطيب ـ رحمه الله ـ. أما أصله: «التحفة الاثنا عشرية»؛ فقد حُقق في رسائل جامعية في جامعة الإمام، من قِبَل مجموعة من الباحثين، ولم يطبع بعد.

ضجة عند الروافض».

قال الكوثري:[١]

«وأما بلاد فارس وما والاها، فكانت مرتع الغلاة القساة منذ عهد الصفوية، فزال أهل السنة من تلك الديار، حيث لم يمكنهم أن يعيشوا معهم،فأصبحت السنة هناك أثراً بعد حين، وكان نادر شاه حاول في عهد حكمه التوفيق بينهم بطريق المناظرة، فقام العلامة عبدالله السويدي عالم بغداد ـ المترجَم له في سلك الدرر[٢] ـ بدور علمي عظيم في ذلك، حتى ألف «الصارم الحديد في الرد على ابن أبي الحديد» في نحو ألف صفحة، من القطع الكبير ـ وهو محفوظ بمكتبة الفاتح بالأستانة ـ».[٣]

---

(١) المقالات، (ص١٢٤).

(٢) (٣/ ٩٥-٩٧)، وله ترجمة في «المسك الأذفر» للألوسي، (ص١٢٥-١٣١).

(٣) الصواب أن اسم الكتاب: «الصارم الحديد في عنق صاحب سلاسل الحديد». وهو ليس لعبدالله السويدي، إنما لأبي الفوز محمد أمين بن علي السويدي (ت١٢٤٦)، ألفه للرد على كتاب الرافضي يوسف الأوالي (ت١١٨٦) «سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد»، يرد فيه الرافضي على صاحب شرح نهج البلاغة «ابن أبي الحديد»، لإثباته خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ، فقام السويدي بهدمه في «الصارم الحديد».
وقد قام الباحثان: فهد السحيمي، وجازي الجهني،بتحقيق الكتاب؛ رسالةً جامعية في الجامعة الإسلامية، عام ١٤١٤، بإشراف الدكتور أحمد الغامدي.(ولم تُطبع بعد).

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«وموجود في بغداد في مكتبة نعمان الآلوسي».

«كان الشيخ عبد المجيد سليم، المشهور، قد التحق بدار التقريب، فحصل بيني وبينه مناظرة في إدارة الأزهر سنة ١٣٦٨، بحضرة بعض المشايخ، فقلت: إن الاتفاق مع الروافض بعيد، إلا إذا رجعنا عن الحق، أو رجعوا عن الباطل. فقال: نوافقهم على ما اتفقنا عليه. فقلت: إذاً نقرهم على القول بالرجعة، والطعن في الصحابة، وزعمهم نقص القرآن، والشرك الصريح، فقال: أهل مصر يُشركون!! فقلت: رَدَّ عليهم المصريون الموحدون! ».

قال الكوثري:[1]

«وإني أحببت أن أذكر هنا نبأ يتصل بهذا البحث، وهو أنه كان شاب هندي قد التحق بالأزهر باسم أنه شافعي أو حنفي، وتدرج في مراحل الدراسة، إلى أن تخصص في مادة يريدها وتخرج، وكان يزورني بين حين وآخر، وكنت أظن به أنه سني، فأخذ يطلب إليَّ أن أكتب مقالاً ليبعث به إلى مجلة لهم هناك، وأعتذر، ويزيد هو إصراراً، فبحثت، فظهر أنه إمامي من أصلب البيئات عوداً، وفي آخر اجتماعي به، وهو على شرف العود إلى بلده، أعاد الاقتراح بنوع من العتب، فقلت

---

(١) المقالات، (ص١٢٧-١٢٨).

مصارحاً: إني لا أكتب إلى مجلات وراء البحار، ومع ذلك أرى سعيك مشكوراً من جهة أنك تسعى في تقريب شقة الخلاف بين طائفتين كبيرتين من المسلمين، لكن باعتبار كبر سني ربما أكون أكثر تجريباً منك، ولي رأي فيما يحقق نجاحك في قصدك: وذلك أن أهل السنة خاصتهم وعامتهم في مشارق الأرض ومغاربها كلهم يجلون علي بن أبي طالب كرم الله وجهه،[1] وأهل بيت الرسول صلوات الله

---

(١) تخصيص علي رضي الله عنه بـ «كرَّم الله وجهه» من شعار الرافضة.

ينظر: «معجم المناهي اللفظية»، للشيخ بكر أبو زيد، (ص٤٥٤).

وللفائدة: قال الشيخ عبدالعزيز السدحان ـ وفقه الله ـ في رسالته «آراء خاطئة وروايات باطلة في سير الأنبياء والمرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ» (ص٣٤-٣٦):

تنبيه:

« أحب أن أورد أمراً وهو أن علي بن أبي طالب ا يوصف دائماً بثلاث صفات، هذه الصفات في الغالب أنه يوصف بها دون غيره من الصحابة:

١-كرم الله وجهه.

٢-الإمام.

٣-عليه السلام.

الغالب أن في هذه الصفات نَفَساً شيعيًّا رافضيًّا، وقد يكتبها بعض الناس عن حسن نية، وعلى كل حال هذه الصفات الثلاث لا ينبغي أن يُخَصَّ بها علي ا.هـ.

=

فقد ذكر ابن كثير في تفسيره في سورة الأحزاب لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦] أن عليًّا يُخصُّ بـ «عليه السلام» دون غيره، ونقل عن الإمام الجويني بأنه لا ينبغي أن يوصف علي بهذا، ثم ذكر ابن كثير أن الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أولى من علي في هذا الفضل.

أما مصطلح (الإمام) فنقرأ جميعاً في بعض كتب الأدب وغيرها ما نصه: من خُطب أبي بكر مِن خُطب عمر، من خطب عثمان، من خطب الإمام علي، لِمَ يخص علي بالإمامة دون غيره؟! هذا قد يصدِّق ما سبق أنهم لا يرون الإمامة إلا في حق علي رضي الله عنه، وبكل حال، فلا ينبغي أن يوصف عليٌّ بهذه الصفة استقلالاً وانفراداً، وهو الذي قال رضي الله عنه: من فضَّلني على أبي بكر وعمر جلدته حد المفتري.

وأما وصف (كرَّم الله وجهه) فيعلِّل من يصف علياً بهذا الوصف أن علياً لم يسجد لصنم قط، وممن نصر هذا القول ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية فقال: إن علياً استحق هذا الوصف؛ لأنه لم يسجد لصنم قط. ثم قال: ويشاركه في ذلك الصدِّيق، لكن هذا الوصف في حق علي ـ أولى ـ؛ لأنه بالإجماع أسلم وهو صبي، وعُلِم بالضرورة أنه لم يسجد لصنم قط.

هذا التعليل ـ وإن كان صحيحاً ـ لكنه ليس مُلزماً، فهناك صحابة ولدوا في الإسلام، آباؤهم مسلمون، وأمهاتهم مسلمات، وجاهدوا في سبيل الله، وأحسنوا أحسن البلاء، وما مرَّغوا جبينهم يوماً من الدهر لصنم قط، ومع هذا كله لم يوصفوا بهذه الصفة.

ثم في الصحابة من هو أفضل من علي؛ كأبي بكر وعمر وعثمان، مع أنهم أسلموا وهم كبار ولكنهم في معتقد أهل السنة والجماعة كما قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: من لم يُربِّع بعلي ـ أي يجعله في المرتبة الرابعة ـ فلا تُناكِحوه ولا تسلِّموا عليه، أو كما قال ـ رحمه الله تعالى ـ.

=

وسلامه عليه، وعليهم أجمعين، إجلالاً لا مزيد عليه، ويحبونهم حباً يرضاه الله ورسوله وأهل البيت، وبعد أن اطمأننتم إلى ذلك يجب أن تعملوا أنتم شيئاً بادئ ذي بدء، يَطمئن إليه أهل السنة، وهو أن لا تحملوا ضغينة في صدوركم ضد رجال الصدر الأول، ولا سيما الصديق والفاروق، وأن لا تسيئوا القول فيهم، رضي الله عن الجميع، فإذا تم ذلك، فما بعده يكون سهل الحل، لكن يجب أن تكون صريحاً فيما تعتقده في ذلك، والصراحة حلية الشباب الناهض، ولست أريد تقية شيعية، ولا مصانعة سياسية، (كما كان يفعل فلان وفلان)، فتحمس محدثي وصارحني قائلاً أمام جماعة: «ليس تحت القبة إمامي واحد يعتقد في أبي بكر وعمر الإسلام، فضلاً عن عدم حمل ضغينة ضدهما»، فقلت: إذن خاب المسعى! فلا حول ولا قوة إلا بالله، سبحانك هذا عدوان أثيم، واستغرب الحضور صراحته وجرأته، وهو شاب احتضنه الأزهر السني، ودرجه على مدارج العلم، إلى أن تخصص فيما يهمه. أفيكون الجري في هذا المجرى، والركض في هذه الفيفاء، قبل التأكد من نظرهم في رجال الصدر الأول، وأصول الأدلة، مما يُقدم عليه سني يفكر في عواقب عمله؟!».

فينبغي أن تكون الصفة في الصحابة كما ذكر الله عز وجل: رضي الله عنهم» انتهى. وتنظر ـ أيضاً ـ رسالة: «ذب ذبابات الدراسات» للشيخ عبداللطيف التتوي السندي، (٢/ ٥٠٢-٥٠٣).

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«حدثني الكوثري بهذه الحكاية بمصر، ونحن جالسان في إحدى دكاكين باعة الكتب، وبحضور ولدي أحمد، وفي هذا العام أو الذي قبله، ظهر في بغداد مجلة اسمها مدينة العلم، وفيها مقالة لمحمد الخالصي، صريحة في عدم إيمان عمر أو الشيخين، ولما أنكر ذلك عليه بعض أهل السنة، غالطهم وصرح باعتقاد إيمان عمر، والتقية دين الرافضة».

قال الكوثري:[١]

«وقد فضح أبوالحسن التقي السبكي في «الدرة المضية»[٢] خيانة صاحب الفتاوى المذكورة في نقوله من تلك الكتب، وفي مطالعة الدرة المضية فوائد ومتعة».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«السبكي لا يُعَول على نقله، ولا يُصدق فيما يقوله في حق ابن تيمية. نقل شيخ الإسلام عن كتاب «التمهيد» لابن الباقلاني، فطُبع التمهيد، ولم يكن فيه هذا النقل، فضج ولج الكوثري بأن ابن تيمية كذب على الباقلاني، فقدر الله أن عثر الشيخ محمد عبدالرزاق على نسخة من التمهيد كاملة، وفيها النقل، فنقله، وطبعه محمد

---

(١) المقالات، (١٤١).

(٢) «في الرد على ابن تيمية»!

نصيف،[١] فصح قول تقي الدين!».

قال الكوثري:[٢]

«قال أبو عبدالله محمد الأُبِّي المالكي في شرح صحيح مسلم (٢/ ٢٣٤): «قال بعض الشافعية: كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء ويجعلونها قبلة يتوجهون إليها في السجود، فاتخذوها أوثاناً، فمنع المسلمون من ذلك بالنهي عنه، فأما من اتخذ مسجداً قرب رجل صالح أو صلى في مقبرته قصداً للتبرك بآثاره، وإجابة دعائه هناك، فلا حرج في ذلك»».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«قف، ما أبرد هذا الكلام، وما أسمج هذا الاستدلال، ولولا أن الكوثري صاحب هوى، لما نقله؛ لأنه لا يخفى عليه بطلانه».[٣]

---

(١) بعنوان «الإمام الباقلاني وكتابه التمهيد»، مع رسالتَيْ: «الكوثري وتعليقاته»؛ للبيطار، و«طليعة التنكيل»؛ للمعلمي.

(٢) المقالات، (ص١٥٦). مقاله «بناء مساجد على القبور والصلاة إليها»!

(٣) وينظر للرد على شبهات القبورية؛ من أمثال الكوثري: رسالة «بدع القبور»؛ للدكتور صالح العصيمي التميمي.

قال الكوثري:[(١)]

«وقال عبدالغني النابلسي الحنفي في «الحديقة الندية» (٢/ ٦٣١): «وأما من اتخذ مسجداً في جوار صالح، أو صلى في قبره، وقصد به الاستظهار بوجه، أو وصول أثر من آثار عبادته إليه، لا للتعظيم له، والتوجه إليه، فلا حرج».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«وهذا كسابقه في البطلان».

قال الكوثري:[(٢)]

«وأما إذا كان موضع القبور مسجداً، أو على طريق، أو كان هناك أحد جالس، أو كان قبر ولي من أولياء الله، أو عالم من المحققين، تعظيماً لروحه المشرقة على تراب جسده؛ كإشراق الشمس على الأرض، إعلاماً للناس أنه ولي؛ ليتبركوا به، ويدعوا الله عنده، فيستجاب لهم، فهو أمر جائز لا منع منه، والأعمال بالنيات».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

---

(١) المقالات، (ص١٥٧).

(٢) المقالات، (ص١٥٨).

«يَمْنع منه، لعن رسول الله فاعله».[١]

قال الكوثري:[٢]

«لا بأس بالصلاة في المقابر».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«بل فيه بأس؛ لأنه منهي عنه بنص الحديث: «**لا تصلوا إلى القبور**»».[٣]

قال الكوثري:[٤]

«إن القول بإجزاء صلاة العيد يوم الجمعة وكفايتها عن صلاة الجمعة قول شاذ يعزى إلى الإمام أحمد بن حنبل من بين الأئمة المتبوعين».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

---

(١) في حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». قالت عائشة: يحذِّر ما صنعوا. أخرجه البخاري (٥٨١٥) ومسلم (٥٣١).

(٢) المقالات، (ص١٥٨).

(٣) أخرجه مسلم (٩٧٢).

(٤) المقالات، (ص١٦٠).

«صلاة العيد لا تُسقط صلاة الجمعة، وإنما تُسقط حضور الجامع، عمن صلى العيد، سوى الإمام، فيحضر، فإن حصل معه العدد المعتبر للجمعة صلوا جمعة، وإلا صلوا ظهراً؛ كالذين تركوا الحضور، ولكن يجوز عند الحنابلة تقديم صلاة الجمعة، فتصلى في وقت صلاة العيد، وبذلك يُكتفى بها، ولا يصلون إلا العصر، وفعله ابن الزبير، وسئل عنه ابن عباس فأقره».[1]

قال الكوثري:[2]

«وليس لمن يريد حمل الناس على رأي شاذ إلا أن يقوم بحجته من الكتاب والسنة «إجماع الأئمة»، وأنى له أن يقيم الحجة عل خلاف المتوارث بين جماعة المسلمين».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«قف، من أراد إبطال الوقف على الذرية، فيجب عليه إثبات ما يدعمه بحجة من الكتاب والسنة، وأنى له ذلك».[3]

---

(١) ينظر كتاب «أحكام العيد وآدابه»؛ لخالد بن علي بن محمد، (ص٤٣-٤٤).

(٢) المقالات، (ص٢١١). مقالة: «خطورة المساس بالأوقاف الإسلامية».

(٣) انظر لبيان أدلة استحباب الوقف على الذرية: رسالة «أحكام الوقف على الذرية في الشريعة الإسلامية»؛ للأستاذ محمد الخالد، ومبحث «الوقف على الذرية» في مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، (العدد ٦٧).

قال الكوثري:[١]

«والشوكاني له شواذ شنيعة مشروحة في «تذكرة الراشد» للمحدث عبد الحي اللكنوي[٢]... ومثله من أهل الزيغ لا يُعَول عليه عند أهل الحق».

---

(١) المقالات، (ص٢٣٣).

(٢) (٦/ ٤٤٥-٤٥٧ ضمن مجموعة رسائله). والشواذ الشنيعة التي يعنيها الكوثري هو ما ذكره الشوكاني في كتابه «وبل الغمام» (٢/ ١٠-١٤) من أن آية ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ النساء: ٣ [النساء: ٣]، لا تدل على عدم جواز الزيادة على أربع.

لكنه قال (٢/ ١٤) بعد أن أورد حديث غيلان، وأمر النبي ﷺ له أن يفارق ما زاد على أربع من زوجاته بعد إسلامه: «ومن صحح لنا هذا الحديث على وجه تقوم به الحجة، أو جاءنا بدليل في معناه، فجزاه الله خيراً، فليس بين أحد وبين الحق عداوة».

وقد ذكر محقق كتابه «وبل الغمام» الأستاذ صبحي حلاق أنه ألف هذا الكتاب «وعمره حوالي أربعين عاماً». (١/ ٤).

قلت: ولهذا لما صحت عنده الأحاديث المحرمة للزيادة على نكاح أكثر من أربع نسوة أخذ بها، وجهر بالحق.

قال ـ رحمه الله ـ في تفسيره «فتح القدير» (١/ ٦٣٢ ط اللحام) ـ بعد أن اعترض على الاستدلال بآية ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[النساء: ٣] على تحريم الزيادة على الأربع ـ «.. فالأولى أن يُستدل على تحريم الزيادة على الأربع بالسنة لا بالقرآن»، ثم ذكر أدلة السنة على تحريم ذلك.

=

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«الشوكاني من أكابر علماء المسلمين، وأهل العلم المنصفون يعرفون علو منزلته في التمسك بالكتاب والسنة، فلا عبرة بكلام الكوثري هنا؛ لأنه عدوٌّ لأهل الحديث».

قال الكوثري:[1]

«وصاحب جامع الفصولين؛ هو بدر الدين محمود بن قاضي سماونة، عالم تركي، ضُربت رقبته بسيف الشريعة على تهمة الزندقة سنة ٨٢٣هـ في «سرز»، لتأليفه كتاب الواردات وفي مفتتحه نفي الحشر الجسماني، فلا يعول على تمهيد مثله، ولا على نقوله في الفتاوى الشرعية».[2]

فبطل ما ادعاه الكوثري واللكنوي ـ ولله الحمد والمنة ـ. وينظر أيضاً: «نيل الأوطار»، (٦/ ١٥٠)،و «السيل الجرار» (٢/ ٢٥٤).

(١) المقالات، (ص٢٣٨).

(٢) ترجمته في «الأعلام» (٧/ ١٦٥)، قال عنه: «فقيه حنفي متصوف»!

وقال صاحب كشف الظنون (ص٥٦٦) عن كتابه «جامع الفصولين»: «وهو كتاب مشهور في أيدي الحكام والمفتين؛ لكونه في المعاملات.. جمع فيه بين فصول العمادي وفصول الأشروويني، =

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«لو كان راضياً عنه، لقال: الشهيد، كما قاله في حق مؤلف الغطمطم، فإنه ضُربت عنقه بسيف الشريعة، وهو يترضى عنه، لأنه يرد على الشوكاني».[1]

قال الكوثري:[2]

«ومما يؤسف له كل الأسف أن يوجد بيننا من يسعى بدون طلب في استبدال الأحكام المتوارثة باسم التجديد بدون أي مبرر غير التقرب إلى قوانين لا تمت إلى الإسلام بصلة.

ومن المعلوم أن الحكومة قد قررت إلغاء البغاء فشكر لها المسلمون من أعماق القلوب في مشارق الأرض ومغاربها هذا القرار الحكيم، واعتبروه بحق صفحة مجيدة ذهبية في تاريخ الإصلاح الحكومي، منتظرين بفارغ الصبر ما يتلوه

وضم إليهما ما تيسر من الخلاصة والكامل ولطائف الإشارات وغيرها، وجعله ٤٠ فصلاً، فرغ منه سنة ٨١٤هـ». وانظر: «جامع الشروح والحواشي» للحبشي (٢/ ٧٣١).

(١) سيأتي الحديث عنه ـ إن شاء الله ـ.

(٢) المقالات، (ص٢٥٧).

من خطوات تعزز آمال المسلمين في الإصلاح».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«وفي العام الماضي سنة ١٣٧٣ و أول هذا العام سنة ١٣٧٤ ألغيت رخصة القمار، وأُغلقت دوره في مصر». (١)

قال الكوثري: (٢)

«ويأسف المسلم كل الأسف من وجود أناس بين المسلمين تحملهم شهوة الظهور على التظاهر بمظهر الاستدراك على فقهاء الصدر الأول، وعلى محاولة ابتداع أساليب بها يحرفون الكلام عن مواضعه، ويجعلون الشرع الواضح المنهاج الصريح الأحكام يتقلب مع الزمن؛ لأجل التقرب إلى الذين لا يضمرون للإسلام خيراً.

فتراهم يقولون: «عندنا العرف، وهو قاض على النص، وعندنا المصلحة

---

(١) ينظر لبيان الجهود المشكورة التي بذلها العلماء في مصر للوصول إلى إلغاء البغاء: كتاب «مذابح الأعراض»، للشيخ محمود أبو العيون (ت١٣٧١هـ)، الذي كان له النصيب الأكبر من تلك الجهود. قال عنه صاحب «الأعلام» (٧/ ١٧٩): «اشتهر بكتاباته الكثيرة في محاربة التهتك والبغاء». ـ رحمه الله ـ.

(٢) المقالات، (ص٢٥٩).

وهي أيضاً قاضية على النص، فنحن مع العرف والمصلحة ندور معهما حيثما دارا، وبهما كم تتغير الأحكام حتى المنصوصة!! وكم لنا من أسس من هذا القبيل!»».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«تحقيق هذا البحث مبسوط في «إعلام الموقعين» لابن القيم ـ رحمه الله ـ».[1]

قال الكوثري:[2]

«ومن جملة أساليبهم الزائفة في تغيير الشرع بمقتضى أهوائهم قول بعضهم: «إن مبنى التشريع في المعاملات ونحوها المصلحة، فإذا خالف النص المصلحة يترك النص ويؤخذ بالمصلحة»، فيا للعار والشنار على من ينطلق لسانه بمثل هذه الكلمة، ويجعلها أصلاً يبني عليه شرعه الجديد، فسله وقل له: ماذا تريد بالمصلحة التي تبغي بناء شرعك عليها؟ فإن كنت تريد المصلحة الشرعية؛ فليس لمعرفتها طريق غير الوحي، حتى عند المعتزلة الذين يُقال عنهم إنهم يُحكمون العقل».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً، وهذا قاله الطوفي

---

(١) (٢/ ١٤-١٠٦).

(٢) المقالات، (ص٢٥٥).

وأنكره العلماء عليه».[١]

قال الكوثري:[٢]

«ولابن القيم أغلاط كثيرة في باب المصلحة في «الطرق الحكمية»[٣] و «إعلام الموقعين»[٤] لا يتسع المقام لتمحيص الحق من الباطل بين أقوله في هذا الموضوع».

---

(١) ينظر للرد على مقولة الطوفي في تقديم المصلحة (الموهومة) على النص: رسالة «المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي» للدكتور مصطفى زيد، ورسالتي «شبهات عصرانية مع أجوبتها»، ومقال الدكتور عبدالعزيز الربيعة عن هذه المسألة في مجلة كلية الشريعة بالرياض (العدد العاشر: ١٣٩٩هـ).

(٢) المقالات،(ص٢٥٧).

(٣) (ص١٣-١٥).

(٤) (٢/ ١٤-١٠٦). قال الشيخ بكر أبو زيد ـ رحمه الله ـ في «التعالم» (ص٥٧-٥٨) عن قاعدة «تغير الفتوى بتغير الزمان»: «هذه قاعدة صورية لا حقيقية، إذ أن جميع من يذكرها من الفقهاء: الماتنين والشارحين، يقيدونها بخصوص تغير الأعراف. وابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ توسع في ضرب المثال لها، بما لا يُسلم له؛ لأنها من هذا الباب، أو من باب تخصيص العام بنصٍ مثله، أو لتغير النيات، وهكذا. ولهذا؛ فإنه في موضع آخر (إغاثة اللهفان: ١/ ٣٣٠-٣٣٣) أتى بما يقيد هذا الإطلاق؛ إذ جعل الأحكام على مجموعتين: أحكام ذات نص، فلا ينسحب عليها هذا التأصيل، وأحكام اجتهادية تتغير بتغير الأعراف، وهذا مما تتغير به الفتوى بتغير الزمان».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«هذا طعن مبهم كعادته في التلبيس، وهو حريص على ما يشين ابن القيم وشيخه، فلو كان صادقاً لبيّن ما قال أو بعضه، ليُعلم صدقه».

قال الكوثري:[١]

«وعن هذا الطوفي الحنبلي يقول ابن رجب الحنبلي في ذيل طبقات الحنابلة:[٢] «لم يكن له يد في الحديث، وفي كلامه فيه تخبيط كثير، وكان شيعياً منحرفاً عن السنة... ولقد كذب هذا الرجل وفجر فيما رمى به عمر من منعه الناس عن تدوين الحديث، وذكر بعض شيوخنا عمن حدثه أنه كان يظهر التوبة ويتبرأ من الرفض وهو محبوس، وهذا من نفاقه، فإنه لما جاور في آخر عمره بالمدينة صحب السكاكيني شيخ الرافضة، ونظم ما يتضمن السب لأبي بكر، ذكر ذلك عنه المطري حافظ المدينة ومؤرخها»».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«اعلم أن ابن رجب في أول ترجمته للطوفي قال: إنه فاضل صالح، والعجب

---

(١) المقالات، (ص٢٥٨-٢٥٩).

(٢) (٤/٣٦٦-٣٧٠).

من ابن رجب كيف يصفه بالصلاح، ثم بالنفاق في وقت واحد! وقد ترجمه بعض العلماء المصريين وبرأه من الرفض، ونقل من كتبه تكفير الرافضة ولعنهم، وذكر أن ابن رجب تحامل على الطوفي، والله أعلم، سبحانه وتعالى».[١]

قال الكوثري:[٢]

«سمعنا مترئساً في الأزهر يقول باستساغة إثبات قديم مع الله سبحانه كما في أحد الأعداد الممتازة لمجلة «الرسالة»، بدون أن يرد عليه أحد، مع أن تجويز استغناء شيء من الكون عن الصانع؛ تجويز لاستغناء العالم كله عن الصانع، حيث لا فارق بينهما، وهذه إحدى المسائل الثلاث التي أكفر بها الغزالي الفلاسفة في التهافت».[٣]

---

(١) يعني: الأستاذ مصطفى أبو زيد في رسالته: «المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي»، (ص٧٤-٨٨)، وقال عنه: «ليس شيعياً، ولا يمكن أن يكون شيعياً، فضلاً عن أن يكون من الرافضة». ولمعرفة ما قيل عن الطوفي ومذهبه العقدي؛ تنظر مقدمة رسالته «الصعقة الغضبية»، تحقيق الدكتور محمد بن خالد الفاضل؛ فقد أطال في مناقشة الاتهامات الموجهة للطوفي بأسلوب علمي.

(٢) المقالات، (ص٢٦٢).

(٣) قال الغزالي في خاتمة كتابه «تهافت الفلاسفة»، (ص٢١٩-٢٢٠): «فإن قال قائل: قد فصَّلتم مذاهب هؤلاء، أفتقطعون القول بتكفيرهم، ووجوب القتل لمن يعتقد اعتقادهم؟

قلنا: تكفيرهم لا بد منه في ثلاث مسائل:

إحداها: مسألة قدم العالم وقولهم: إن الجواهر كلها قديمة.

=

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

بثلاثــة كفَـر الفلاسـفة العـدا ... إذ أنكروهـا وهـي حـقٌ مثبتـه
علـم بجزئـي حـدوث عـوالم ... نـشر لأجـساد وكانـت مُثبتـه

قال الكوثري:[1]

«لا يهمني منبت ذلك المتعالم في مطلع قرن الشيطان، ولا صلته بمسيلمة، ولا اندساسه بين الأزهريين متظاهراً بأنه من أتباع أحد الأئمة المتبوعين ـ رضي الله عنهم ـ، ولا ما آل إليه أمره من الطرد والإبعاد عن الأزهر الشريف، بعد انكشاف ستره، حفظاً لكرامة آخر معقل للإسلام، لأنها أمور مكشوفة لا غطاء عليها، بل يعلمها الجمهور من أهل القطر وسائر الأقطار».

والثانية قولهم: إن الله تعالى لا يُحيط علماً بالجزئيات الحادثة من الأشخاص.

والثالثة: إنكارهم بعث الأجساد وحشرها.

فهذه المسائل الثلاث لا تلائم الإسلام بوجه، ومعتقدها معتقدٌ كذبَ الأنبياء ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ، وأنهم ذكروا ما ذكروه على سبيل المصلحة؛ تمثيلاً لجماهير الخلق وتفهيماً، وهذا هو الكفر الصراح».

(١) المقالات، (ص٣٠١). مقالة «تحذير الأمة من دعاة الوثنية»! يعني دعاة السلفية. والمقال رد على عبدالله القصيمي قبل انحرافه.

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«الكوثري هلك، والقصيمي ألف كتاباً صار شؤماً عليه،[١] فمن الناس من كفره، ومنهم من فسقه، ومنهم من أحجم ولم يجزم بشيء، وأما أنا فلم أقرأ كتابه، ولا الرد عليه، ولهذا لما طلب مني أحد الرادين عليه شراء كمية من الرد وتوزيعها على المدارس امتنعت؛ لأنني لا أحب أن يسمع الطلاب ما نُسب من الضلال إلى ذلك الكتاب، وقد نفي القصيمي من مصر، وهو الآن حال تحرير هذه الكلمة في لبنان، حرر في ١١/ ٥/ ١٣٧٤، نسأل الله السلامة والثبات على الحق».

قال الكوثري:[٢]

«بل عدو الأئمة والأمة حقاً هو من يُسَبح بحمد الشوكاني، الذي يجاهر في تفسيره بإكفار أتباع هؤلاء الأئمة القادة،[٣] وقد قال عنه بلديه المطلع على دخائله،

---

(١) يعني كتابه «هذي هي الأغلال»، وقد قام الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ فيما بعد بقراءته وكتابة تعليقات نفيسة عليه، نشرتها ضمن كتابي «عبدالله القصيمي.. وجهة نظر أخرى» (طبع سنة ١٤٢٩هـ)، وقد جمعت فيه ملخص ردود العلماء والكتّاب على القصيمي.

(٢) المقالات، (ص٣٣٧).

(٣) لعله يقصد ما قاله الشوكاني (٢/ ٥١٤) في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]، قال: «وفي هذه الآية ما يزجر من كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد؛ عن التقليد في دين الله، وتأثير ما يقوله الأسلاف على ما في الكتاب العزيز

=

والسنة المطهرة؛ فإن طاعة المتمذهب لمن يقتدي بقوله، ويستن بسنته من علماء هذه الأمة، مع مخالفته لما جاءت به النصوص، وقامت به حجج الله وبراهينه، ونطقت به كتبه وأنبياؤه؛ هو كاتخاذ اليهود والنصارى للأحبار والرهبان أرباباً من دون الله؛ للقطع بأنهم لم يعبدوهم، بل أطاعوهم، وحرَّموا ما حرَّموا، وحللوا ما حللوا، وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الأمة..» إلى آخر ما قال في الزجر عن مزاحمة نصوص الكتاب والسنة بأقوال البشر. ولتوضيح مراد الشوكاني ـ رحمه الله ـ إلى القارئ ما قاله الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ في «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» تحت باب: «من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرمه الله؛ فقد اتخذهم أرباباً من دون الله»، قال (ص٤٨١-٤٩٠):

«لما كانت الطاعة من أنواع العبادة، بل هي العبادة؛ فإنها طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسنة رسله عليهم السلام، نبه المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه الترجمة على وجوب اختصاص الخالق تبارك وتعالى بها، وأنه لا يُطاع أحد من الخلق إلا حيث كانت طاعته مندرجة تحت طاعة الله، وإلا فلا تجب طاعة أحد من الخلق استقلالاً. والمقصود هنا: الطاعة الخاصة في تحريم الحلال أو تحليل الحرام، فمن أطاع مخلوقاً في ذلك غير الرسول ﷺ ـ فإنه لا ينطق عن الهوى ـ فهو مشرك؛ كما بينه الله تعالى في قوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] ـ أي: علماءهم ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وفسرها النبي ﷺ بطاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام كما سيأتي في حديث عدي... ـ إلى أن قال ـ:

فإن قلت: فماذا يجوز للإنسان من قراءة هذه الكتب المصنفة في المذاهب؟

=

العلامة ابن حريوة الشهيد ـ بمؤامرة منه ـ في الغطمطم الزخار إنه يهودي مندس

قيل: يجوز من ذلك قراءتها على سبيل الاستعانة بها على فهم الكتاب والسنة، وتصوير المسائل؛ فتكون من نوع الكتب الآلية، أما أن تكون هي المقدمة على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، الحاكمة بين الناس فيما اختلفوا فيه، المدعوّ إلى التحاكم إليها دون التحاكم إلى الله والرسول ﷺ؛ فلا ريب أن ذلك منافٍ للإيمان، مضاد له؛ كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء: ٦٥ [النساء: ٦٥]، فإذا كان التحاكم عند المشاجرة إليها دون الله، ورسوله، ثم إذا قضى الله ورسوله أمراً وجدت الحرج في نفسك، وإن قضى أهل الكتاب بأمر لم تجد حرجاً، ثم إذا قضى الرسول ﷺ، بأمر لم تُسلم له، وإذا قضوا بأمر سلمت له.

فقد أقسم الله تعالى سبحانه وهو أصدق القائلين بأجلِّ مُقْسم به، وهو نفسه تبارك وتعالى، أنك لست بمؤمن والحالة هذه»... ـ إلى أن قال ـ قال شيخ الإسلام: وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وعكسه، يكونون على وجهين: أحدهما: أنهم يعلمون أنهم بدلوا دين الله؛ فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله؛ اتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر. وقد جعله الله ورسوله شركاً، وإن لم يكونوا يُصَلون لهم ويسجدون.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال، وتحليل الحرام ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله؛ كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب؛ كما ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما الطاعة في المعروف»».

بين المسلمين لإفساد دينهم، وليس ذلك ببعيد».[١]

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«لا تغتر بهذيان الكوثري، فإنه مبتلىً ببغض أهل الحديث؛ كالشوكاني والصنعاني وصدِّيق، ومن تقدمهم من أهل السنة، وصاحب الغطمطم قُتل بالحُديدة بفتوى، وترجمته مبسوطة في «نيل الوطر»، ومنها يعرف القارئ سر قتله».[٢]

---

(١) لم أجده في النسخة المطبوعة من «الغطمطم»، وقد قال محققه محمد يحيى عزان في مقدمته (١/ ٨٨): «جردته من الألفاظ المتضمنة للسباب والشتائم»! وانظر: (٥/ ٢٣٤)، فقد اتهمه بالنفاق!!

(٢) حيث قال عنه ـ نقلاً عن شيخه ـ: «نشأ في العقد الثاني من المائة الثالثة عشر من الهجرة النبوية أيام الإمام المنصور علي بن المهدي العباس في صنعاء اليمن.. ثم مال إلى تعلم المنطق وما يتوصل به إليه من العلوم العقلية الحكمية، فبرع في فنونها الرياضية والطبيعية والإلهية... ثم أنه مال عن مذهب المشائين إلى قول أصحاب حكمة الإشراق، وسمعته يُصرح بالوحدة الذاتية، وكان مُعجباً بتائية ابن الفارض.

قلت: وقد انتهى حاله إلى أن أغري عليه سلطان عصره عبدالله بن أحمد الملقب المهدي، وضُرب بالجريد وأودع إلى دار الأدب، ثم نفاه إلى جزيرة كمران، وبعد ذلك أرجع إلى بندر الحديدة... وبعد رجوعي إلى الوطن بمدة جاء الخبر بأنها ضُربت عنقه ببندر الحديدة بأمر

=

قال الكوثري:[(١)]

«وكان العلاء البخاري شديد الرد على ابن عربي، كما كان شديداً في حق ابن تيمية، وقد ألف بشأن الأول «فاضحة الملحدين»،[(٢)] وهي مطبوعة مع رسالة علي القاري في حق فرعون في الآستانة، باسم السعد التفتازاني، إما سهواً أو قصداً».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«ترجمة العلاء البخاري في «الدرر الكامنة» مظلمة».[(٣)]

المهدي؛ عن فتوى من بعض علماء وقته... وبعضهم ينسب إليه رأي الفلاسفة، والتحامل على أفاضل الصحابة، وعلى حملة الشرع المحمدي من أهل زمانه» (نيل الوطر: ٢/ ٢٧٤-٢٧٩).

(١) المقالات، (ص٣٤١).

(٢) قال السخاوي: «وصنف رسالته فاضحة الملحدين، بين فيها زيف ابن عربي»، (الضوء اللامع: ٥/ ٢٩٢). وقد حققها الشيخ محمد العوضي رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، عام ١٤١٤هـ، ولم تطبع بعد.

(٣) لم أجد له ترجمة في «الدرر الكامنة»، وليس على شرطه. وأما في «إنباء الغُمر» (٩/ ٢٣) فقد قال عنه: «علاّمة الوقت.. لم يُخلف بعده مثله، لما اشتمل عليه من العلم والورع والزهد والتحري..». وقال في (٩/ ٢٩): «كان من أهل الدين والورع..». وله ترجمة في «الضوء اللامع» (٩/ ٢٩١)، و «شذرات الذهب»، (٧/ ٢٤١)، و «البدر الطالع»، (٢/ ٢٦٠)، وختم الشوكاني ترجمته بقوله: «وقال المقري في عقوده: كان يسلك طريقاً من الورع، فيسمح في أشياء يحمله عليها بعده عن

=

قال الكوثري:[(١)]

«وقد رأى أهل العلم في مؤلفات ابن تيمية القول بالقدم النوعي في العالم، وقيام الحوادث بالله سبحانه، ونفي الخلود في النار في حق الكفار، وإثبات الحركة والجهة لله تعالى، وتجويز استقرار معبوده على ظهر بعوضة، إلى غير ذلك من مسائل طامة في الأصول والفروع».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«قيام الحوادث معناه: قدرته عليها، ونفي الخلود لم يثبت عن شيخ الإسلام،وشيخ الإسلام بين في كتاب «العقل والنقل» معنى الحركة، وأما الجهة فبين

«وقال المقري في عقوده: كان يسلك طريقاً من الورع، فيسمح في أشياء يحمله عليها بعده عن معرفة السنن والآثار، وانحرافه عن الحديث وأهله، بحيث كان ينهى عن النظر في كلام النووي، ويقول هو ظاهري، ويحض على كتب الغزالي. انتهى. ومن هذه الحيثية قال في ابن تيمية ما قال، وليس في علم إنسان خير إذا كان لا يعرف علم الحديث، وإن بلغ في التحقيق إلى ما لا يُنال». وللزيادة عن ترجمته: تُنظر مقدمة الشيخ محمد العوضي لرسالته «فاضحة الملحدين».

(١) المقالات، (ص٣٤٣).

في «التسعينية» أن النفي والإثبات غير وارد عن السلف، وإنما الوارد إثبات العلو».[(١)]

قال الكوثري:[(٢)]

«فقد ورد من بعض العلماء الأفاضل في حلب الشهباء استفتاء يسألني فيه عن حكم شرع الله في مسلم يطالب حكومته في بلد إسلامي عريق في الإسلام بإبعاد النص على أن (دين الدولة الرسمي هو الإسلام) عن دستور تلك الحكومة، إحلالاً للأحكام الوضعية اللا دينية محل أحكام شرع الله، ويسألني فيه أيضاً عن حكم الشرع الأغر في مسلم يكون سبباً لاستفحال ذلك الشر بسكوته عن تأييد الحق في هذه الكارثة، وفي هذا الخطر الداهم».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«المصريون يصرحون بأن دولتهم دينها الإسلام، ولكن محاكمها تحكم بالقوانين الوضعية، وكذلك الدولة العثمانية تزعم أن دينها الإسلام، وأحكام

---

(١) انظر: «درء التعارض» (٤/ ٧٥-٧٨)، و «التسعينية» (١/ ١٨٧-١٩٥). وللمزيد من ردود شيخ الإسلام على أهل الكلام تُنظر: رسالة «الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية»؛ للدكتور عبدالقادر صوفي. (٣ مجلدات).

(٢) المقالات، (ص٣٦٨).

محاكمها مواد نظامية، ونسأل الله أن يعز دينه وينشر كلمته».

قال الكوثري:[١]

«وما كنا نسمع مثل تلك النعرة قديماً حينما كانت الخلافة قائمة، فيكون مبدأ هذا الفساد المتسرب إلى الجماعة زوال الخلافة من الوجود، من غير اهتمام بإحيائها من جديد. مع أنها أقدم شرع شرعه الله للمجتمع البشري من غير أن يطرأ عليها النسخ في زمن من الأزمان، حتى استمرت الخلافة قائمة مدى الدهور، إلى أن أزالتها من الوجود يد أثيمة استخفت الأقوام فأطاعوها، إلى أن أصبحت بعض الدويلات الإسلامية تتسابق في خطب ود جياع المستعمرين، متوسمين لخطاهم في الحكم، من غير تعزز ولا تقزز، غير حاسبين حساب العزة الإسلامية، فشمل الذل والإلحاد».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«لما كانت الخلافة التركية التي يشير إليها قائمة، كانت تُحكم القوانين الوضعية الطاغوتية، وتقدمها على الشرع الشريف، في كثير من الأحكام».[٢]

---

(١) السابق، (ص٣٧٠).

(٢) ينظر لبيان ذلك: مبحث: «القوانين الوضعية في دولة الخلافة» من كتاب الدكتور عمر الأشقر: «الشريعة الإسلامية لا القوانين الجاهلية»، (ص٦٤-٦٧). قال فيه: «وقد كان مصاب =

قال الكوثري:[١]

«بل يقول أبو الوفاء بن عقيل عالم الحنابلة في «التذكرة» له المحفوظة بظاهرية دمشق رقم ٨٧ في الفقه الحنبلي عند ذكر كيفية زيارة قبر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في المذهب الحنبلي: «...وإن أحببت تتمسح بالمنبر وبالحنانة»[٢] وهي الجذع الذي كان يخطب عليه الرسول ﷺ. وابن عقيل هذا عالم جليل له كتاب «الفنون» يقال إنه في ثمانمائة مجلد، ويقول الذهبي عنه إنه لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب، ورواية أبي بكر المروزي عن أحمد في المناسك في

المسلمين عظيماً عندما بدأت القوانين الأوربية تتسلل إلى قضاء الدولة العثمانية، وإلى ولاياتها في العالم العربي والإسلامي، ففي عام ١٨٤٠م صدر أول تقنين في بلد إسلامي مستمداً أحكامه من مصادر أجنبية، وهذا هو قانون العقوبات العثماني، الذي نقل الكثير عن القانون الجنائي الفرنسي...» إلخ ما قال في وصف القوانين الوضعية التي انتشرت في الدولة العثمانية. وتُنظر أيضاً: رسالة «العلمانية» للشيخ سفر الحوالي، (ص٥٦١-٥٨٧).

(١) المقالات، (ص٣٧٦).

(٢) التذكرة، (ص١١٧-١١٨). والحجة إنما تقوم بالدليل الشرعي؛ لا بتتبع زلات العلماء؛ لو كان الكوثري يعي هذا. وللرد على زلات ابن عقيل الحنبلي في هذا الباب ـ غفر الله له ـ تُنظر رسالة الأخ أيمن العنقري: «آراء أبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي في مسائل التوحيد ـ عرض ودراسة ـ»، رسالة ماجستير في جامعة الإمام، عام ٢٥-١٤٢٦هـ.

هذا الباب معروفة، وفي كتاب «الحكايات المنثورة»[1] للحافظ الضياء المقدسي الحنبلي المحفوظ تحت رقم ٩٨ من المجاميع بظاهرية دمشق؛ أنه سمع الحافظ عبدالغني المقدسي الحنبلي يقول: إنه خرج في عضده شيء يشبه الدمل فأعيته مداواته، ثم مسح به قبر أحمد بن حنبل؛ فبرئ ولم يعد إليه. وهذا الكتاب بخط المذكور ومن خطه نقلت هذه الحكاية، وأي حنبلي يستطيع أن يقول عن هؤلاء إنهم قبوريون يتعبدون الضرائح؟!!».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

---

(١) لا زال ما يوجد منه مخطوطاً. انظر: «التنويه والتبيين في سيرة محدث الشام الحافظ ضياء الدين»، للدكتور مطيع الحافظ، (ص٣٣٠). وقالت الدكتورة حسناء بكري نجار في رسالتها «الضياء المقدسي وجهوده في علم الحديث»، (ص٣٤٥) عن هذا الكتاب: «حكايات وأخبار جرت للسلف الصالح من الصحابة ومن جاء بعدهم، حتى عصر الضياء، منها المرفوع والموقوف والمقطوع».

والعبرة ـ كما سبق ـ بالدليل الشرعي، لا بالحكايات، وتتبع زلات العلماء. والعجب أن الكوثري يطعن في الرجال إذا ما خالفوا عقيدته، وإذا وافق قول بعضهم ما يعتقده، واحتاج إلى النقل عنه؛ تغاضى عما يرميه به. فهو القائل في تعليقه على كتاب «الأسماء والصفات»، (ص٣٨٦): «تخريج الضياء مما لا يجدي عند ظهور العلل لكل ذي عينين»!

والقائل في كتابه «الإشفاق»، (ص٢٩) ـ كما سيأتي ـ: «وتصحيح الضياء ماذا يُجدي..».

«لا يخفى على من وقف على هذا الكلام أن الكوثري يحتج علينا معشر أهل السنة والجماعة بما نقله عن ابن عقيل والحافظ المقدسي، ويجعل ما دل عليه كلامهما من جواز التمسح بالقبور الذي هو من البدع دليلاً على جواز دعاء الأموات والذبح لهم والاستغاثة بهم، وصرف أنواع العبادة لهم، هو كفر صريح، وهذا كله من جهله بحقيقة التوحيد».[1]

قال الكوثري:[2]

«أما شمول الوسيلة في الآية المذكورة للتوسل بالأشخاص، فليس برأي مجرد، ولا هو بمأخوذ من العموم اللغوي فحسب، بل هو المأثور عن عمر

---

(١) وهذا من تلبيس القبوريين على الأمة؛ حيث يحتجون بكلام من أجاز التوسل البدعي أو التبرك البدعي على جواز «الاستغاثة» الشركية، ودعاء غير الله! وشتان ما بينهما؛ فالأول بدعة ومحرم، والثاني شرك مخرج من الملة. وقد نقلت مجموعة من أقوال العلماء في بيان هذا التلبيس الذي يتردد في كتب أئمة البدعة في كتابي: «ثناء العلماء على كتاب الدرر السنية»، (ص١١٦-١٢٣).
ومن ذلك: قول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ـ رحمه الله ـ: «تلطف الشيطان في كيد هؤلاء الغلاة في قبور الصالحين، بأن دس عليهم تغيير الأسماء والحدود الشرعية، والألفاظ اللغوية، فسموا الشرك وعبادة الصالحين توسلاً ونداءً، وحُسن اعتقاد في الأولياء، وتشفعاً بهم، واستظهاراً بأرواحهم الشريفة ـ؛ فاستجاب له صبيان العقول، وخفافيش البصائر، وداروا مع الأسماء، ولم يقفوا مع الحقائق».

(٢) المقالات، (ص٣٧٩).

الفاروق رضي الله عنه، حيث قال بعد أن توسل بالعباس رضي الله عنه في الاستسقاء: اللهم إنّا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنّا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا».[١]

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«أي بدعائه، لا بذاته».

قال الكوثري:[٢]

«إذا عرفت هذه المقدمات، فنقول: إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس، كامل الجوهر، شديد التأثير، ووقف هناك ساعة، وتأثرت نفسه من تلك التربة، ـ وقد عرفتَ أن لنفس ذلك الميت تعلقاً بتلك التربة أيضاً ـ فحينئذٍ يحصل لنفس هذا الزائر الحي، ولنفس ذلك الميت، ملاقاة، بسبب اجتماعهما على تلك التربة، فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وضعتا، بحيث ينعكس

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧١٠). ولمعرفة أحكام التوسل المشروع والممنوع انظر رسالة: «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية، ورسالة: «التوسل: أنواعه وأحكامه» للشيخ الألباني، ورسالة: «التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع» للشيخ نسيب الرفاعي.

(٢) المقالات، (ص٣٨٤).

الشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى، فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية، والأخلاق الفاضلة من الخضوع لله والرضا بقضاء الله، ينعكس منه نور إلى روح ذلك الميت، وكل ما حصل في نفس ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرقة الكاملة، فإنه ينعكس منه نور إلى روح هذا الزائر الحي».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«هذا هوس وجهل وضلال».

قال الكوثري:[1]

«فمن حاول أن يتخطى ما فهمه جمهرة أئمة العلم سلفاً وخلفاً من تلك الأدلة في أحكام الشرع، لا يقع إلا على أم رأسه متردياً في هاوية الردى، وليس للراسخين في الزيغ في آخر الزمن سبيل ما في المخالفة لجماهير أهل الفقه في الدين في شيء من أحكام الشرع، بل قصارى ما يستطيعون أن يعملوا، أن يفضحوا أنفسهم، ويكشفوا للجمهور عن مغيب ما ينطوون عليه من الجهل الفاضح، وتوخي الهلاك مع الهالكين».

---

(١) المقالات، (ص٤٠٤).

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«أقول: ولقد نجم قرن البدعة والضلال في هذا العصر الذي قل فيه العلم الصحيح، وكثر الجهل والضلال، فكان سفهاء الأحلام ضعفاء العقول يؤلفون خرافات، ويجمعون ضلالات، يخالفون فيها جمهور المسلمين، وإجماع المؤمنين، نسأل الله السلامة في الدين والدنيا، بمنه وكرمه».

قال الكوثري:[١]

«واحتجاج إمام الحرمين على تنزه الله سبحانه عن الجهة بقوله ﷺ: «**لا تفضلوني على يونس بن متى**»،[٢] وحمله على معنى أنه ﷺ عند وصوله إلى سدرة المنتهى ما كان أقرب إلى الله من يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت، مما ذكره القرطبي في «تذكرته»[٣] رواية عن أبي بكر بن العربي، وروى ناصر الدين بن المنير عالم الثغر الإسكندري العلامة المشهور مثل ذلك عن الإمام مالك عالم دار الهجرة

---

(١) السابق، (ص٤٢٠-٤٢١).

(٢) قال الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في تعليقه على «شرح الطحاوية» لابن أبي العز، (ص١٦٢): «لا أعرف له أصلاً بهذا اللفظ».

(٣) (١/ ٢١٣-٢١٤). وسيأتي رد هذا التأويل البارد ـ إن شاء الله ـ.

رضي الله عنه في كتابه «المقتفى في شرف المصطفى»،[١] وإن اشمأز ابن القيم المجسم من جواب إمام الحرمين وطال لسانه عليه».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«ابن الجويني رد عليه ابن القيم في «النونية» رداً بليغاً».[٢]

---

(١) ذكره صاحب هدية العارفين (٥/ ٩٩)، وألمح الدكتور صالح الغامدي إلى أنه مفقود، «انظر: المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف، لابن المنيّر، ١/ ٧٣»، قلت: ويوجد كتابٌ بهذا العنوان في مكتبة الأوقاف بحلب برقم (١٩٩٦/ ٣٤٦٢-٥)، فلعله هو، ورأيت العجلوني ينقل عنه كثيراً في «كشف الخفاء».

(٢) قال ـ رحمه الله ـ في النونية: (١/ ١٨٧-١٨٩ بشرح ابن عيسى).

وأتـى فريـق ثـم قـارب وصـفه ... هـذا ولكـن جـد في الكفـران

فـأسر قـول معطـل ومكـذب ... في قالـب التنزيـه للـرحمن

إذ قـال لـيس بـداخلٍ فينـا ولا ... هـو خـارجٌ عـن جملـة الأكـوان

بـل قـال لـيس بـائن عنهـا ولا ... فيهـا ولا هـو عينهـا ببيـان

كـلا ولا فـوق الـسموات العـلى ... والعـرش مـن رب ولا رحمـن

والعـرش لـيس عليـه معبـود سـوى الـ ... عـدم الـذي لا شيء في الأعيـان

بـل حظـه مـن ربـه حـظ الثـرى ... منـه وحـظ قواعـد البنيـان

لـو كـان فـوق العـرش كـان كهـذه الـ ... أجـسام سـبحان العظـيم الـشان

=

ولقد وجدت لفاضلٍ منهم مقا ... ماً قامه في الناس منذ زمان

قال اسمعوا يا قوم إن نبيكم ... قد قال قولاً واضح البرهان

لا تحكموا بالفضل لي أصلاً على ... ذي النون يونس ذلك الغضبان

هذا يرد على المجسم قوله ... الله فوق العرش والأكوان

ويدل أن إلهنا سبحانه ... وبحمده يُلفى بكل مكان

قالوا له بيِّن لنا هذا فلم ... يفعل فأعطوه من الأثمان

ألفاً من الذهب العتيق فقال في ... تبيانه فاسمع لذا التبيان

قد كان يونس في قرار البحر تحت ... الماء في قبر من الحيتان

ومحمد صعد السماء وجاوز السـ ... ـبع الطباق وجاز كل عنان

وكلاهما في قربه من ربه ... سبحانه إذ ذاك مستويان

فالعلو والسُّفل اللذان كلاهما ... في بعده من ضده طرفان

إن يُنسبا لله نزه عنهما ... بالإختصاص بلى هما سيان

في قرب من أضحى مقيما فيهما ... من ربه فكلاهما مثلان

فلأجل هذا خُص يونس دونهم ... بالذكر تحقيقاً لهذا الشان

فأتى النثار عليه من أصحابه ... من كل ناحية بلا حسبان

فاحمد إلهك أيها السني إذ ... عافاك من تحريف ذي بهتان

=

والله مـــا يـــرضى بهـــذا خـــائف | مـــن ربـــه أمـــسى عـــلى الإيـــمان
هـــذا هـــو الإلحـــاد حقـــاً بـــل هـــو التــ | ــــحريف محـــضاً أبـــرد الهـــذيان
والله مـــا بـــلي المجـــسم قـــط ذي الـــ | ــبلوى ولا أمـــسى بـــذي الخـــذلان
أمثـــال ذا التاويـــل أفـــسد هـــذه الـــ | أديـــان حـــين سرى إلى الأديـــان
والله لـــولا الله حـــافظ دينـــه | لتهـــدمت منـــه قـــوى الأركـــان

تابع... إلخ ما قاله ـ رحمه الله ـ.

وقال ابن أبي العز ـ رحمه الله ـ في «شرح الطحاوية»، (ص١٦٢-١٦٤):

«وأما ما يروى أن النبي ﷺ قال: «لا تفضلوني على يونس بن مَتَّى»، وأن بعض الشيوخ قال: لا يفسر لهم هذا الحديث حتى يعطى مالاً جزيلاً، فلما أعطوه فسره بأن قرب يونس من الله وهو في بطن الحوت كقربي من الله ليلة المعراج، وعدوا هذا تفسيراً عظيماً. وهذا يدل على جهلهم بكلام الله وبكلام رسوله لفظاً ومعنىً، فإن هذا الحديث بهذا اللفظ لم يروه أحد من أهل الكتب التي يعتمد عليها، وإنما اللفظ الذي في الصحيح: «لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس ابن متى». وفي رواية: «من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب». وهذا اللفظ يدل على العموم، «لا ينبغي لأحد أن يفضل نفسه على يونس بن متى»، ليس فيه نهي للمسلمين أن يفضلوا محمداً على يونس، وذلك لأن الله تعالى قد أخبر عنه أنه التقمه الحوت وهو مليم، أي: فاعل ما يلام عليه. وقال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. فقد يقع في نفس بعض الناس أنه أكمل من يونس، فلا يحتاج إلى هذا المقام، إذ لا يفعل ما يلام عليه.

=

ومن ظن هذا فقد كذب، بل كل عبد من عباد الله يقول ما قال يونس: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، كما قال أول الأنبياء وآخرهم، فأولهم: آدم، قد قال: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣]. وآخرهم وأفضلهم وسيدهم: محمد ﷺ، قال في الحديث الصحيح، حديث الاستفتاح، من رواية علي بن أبي طالب ا وغيره، بعد قوله «وجهت وجهي» آخره: «اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعا، لا يغفر الذنوب إلا أنت»، إلى آخر الحديث، وكذا قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ [القصص: ١٦]. وأيضاً: فيونس ﷺ لما قيل فيه: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]، فنهى نبينا ﷺ عن التشبه به، وأمره بالتشبه بأولي العزم حيث قيل له: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، فقد يقول من يقول: «أنا خير من يونس» ـ: للأفضل أن يفخر على من دونه، فكيف إذا لم يكن أفضل، فإن الله لا يحب كل مختال فخور، وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «أوحي إليَّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغي أحد على أحد». فالله تعالى نهى أن يفخر على عموم المؤمنين، فكيف على نبي كريم؟ فلهذا قال: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى». فهذا نهي عام لكل أحد أن يتفضل ويفتخر على يونس. وقوله: «من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب»، فإنه لو قدرَ أنه كان أفضل، فهذا الكلام يصير نقصاً، فيكون كاذباً، وهذا لا يقوله نبي كريم، بل هو تقدير مطلق، أي: من قال هذا فهو كاذب، وإن كان لا يقوله نبي، كما قال تعالى ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وإن كان ﷺ معصوماً من الشرك، لكن الوعد والوعيد لبيان مقادير الأعمال.

=

قال الكوثري:[١]

«وفي كتاب «الإشفاق على أحكام الطلاق» بسط ذلك بحيث يقطع لسان كل خطيب، راجع (٥٤-٥٠)، ومن يرتئي مثل تلك الآراء المتفرنجة مع وضوح الحجة ضدها، لك أن تسأله قائلاً: من أي ملة أنت يا فيلسوف الطلاق».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«كتاب «الإشفاق»، رد فيه على ما ذكره أحمد شاكر في نظام الطلاق، قد أهدى إليَّ نسخة منه لما كنت في مصر آخر سنة ١٣٦٢، وأول سنة ١٣٦٣، وكنت

وإنما أخبر ﷺ أنه سيد ولد آدم، لأنا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله، صلى الله عليهم وسلم أجمعين. ولهذا أتبعه بقوله «ولا فخر»، كما جاء في رواية. وهل يقول من يؤمن بالله واليوم الآخر: إن مقام الذي أسري به إلى ربه وهو مقرب معظم مكرم ـ كمقام الذي ألقي في بطن الحوت وهو مليم؟! وأين المعظم المقرب من الممتحن المؤدب؟! فهذا في غاية التقريب، وهذا في غاية التأديب. فانظر إلى هذا الاستدلال، لأنه بهذا المعنى المحرف اللفظ لم يقله الرسول، وهل يقاوم هذا الدليل على نفي علو الله تعالى على خلقه الأدلة الصحيحة الصريحة القطعية على علو الله تعالى على خلقه، التي تزيد على ألف دليل، كما يأتي الإشارة إليها عند قول الشيخ ـ رحمه الله ـ «محيط بكل شيء وفوقه»، إن شاء الله تعالى».

(١) المقالات، (ص٤٣٣).

سافرت من مكة آخر رمضان سنة ١٣٦٢، ورجعت إلى مكة في أول صفر سنة ١٣٦٣ لما سافرت للمعالجة، ومعي ولدي أحمد، فلما قرأت الكتاب قلت لأحمد شاكر: هل وافقك أحد على ما فيه؟ قال: لا. لأن فيه شواذ من اجتهاداته [١] فرد عليه الكوثري بكتابه «الإشفاق». مات الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ في ذي القعدة سنة ١٣٧٧ بمصر».

---

(١) كقوله (ص٤٧): «وأنا أخالفهم جميعاً في ذلك، وأقرر: أن قول القائل (أنت طالق ثلاثاً) ونحوه ـ أعني إيقاع الطلاق وإنشاءه بلفظ واحد موصوف بعدد ـ لا يكون في دلالة الألفاظ على المعاني لغة وفي بديهة العقل إلا طلقة واحدة، وأن قوله (ثلاثا) في الإنشاء والإيقاع، قول محال عقلاً، باطل لغة، فصار لغواً من الكلام. لا دلالة له على شيء في تركيب الجملة التي وضع فيها، وإن دل في نفسه على معناه الوضعي دلالة الألفاظ المفردة على معانيها. كما إذا ألحق المتكلم بأية جملة صحيحة كلمة لا تعلق لها بالكلام، فلا تزيد على أن تكون لغواً باطلا.

وأقرر أيضاً: أن الخلاف بين التابعين فمن بعدهم في الطلاق الثلاث ونحوه: إنما هو في تكرار الطلاق. أعني: أن يطلق الرجل امرأته مرة ثم يطلقها مرة أخرى ثم ثالثة: وأعني أيضاً: أن موضوع الخلاف هو: هل المعتدة يلحقها الطلاق؟ أي إذا طلقها المرة الأولى فصارت معتدة، ثم طلقها طلقة ثانية في العدة: هل تكون طلقة واقعة، ويكون قد طلقها طلقتين؟ فإذا ألحق بهما الثالثة وهي معتدة من الأولى: هل تكون طلقة واقعة أيضاً، ويكون قد أوقع جميع الطلقات التي له عليها وأبانها وبتَّ طلاقها؟ أو أن المعتدة لا يلحقها الطلاق؟ فإذا طلقها الطلقة الأولى كانت مطلقة منه، وهي في عدته، لا يملك عليها إلا ما أذنه به الله».

قال الكوثري:[١]

«وقد صدق محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ـ شيخ الشوكاني ـ حيث قال في «إرشاد ذوي الألباب»[٢] عند تحدثه عن الذين يسميهم الشوكاني قبوريين مشركين: هؤلاء مثبتون التوحيد لله، لا يجعلون الأولياء آلهة، كما قاله الكفار؛ إنكاراً على رسوله ﷺ لما دعاهم إلى كلمة التوحيد: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥]، بل هم مثبتون لتوحيد الله بالألوهية، قائلون إنه لا إله إلا هو، ولو ضربت عنق أحد منهم على أن يقول إن الولي إله مع الله لما قالها».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«الكتاب المشار إليه ليس للصنعاني، لأن ما ذكره في تطهير الاعتقاد يخالفه،[٣] والصنعاني يرى أن هؤلاء القبوريين كفار أصليون؛ كما في

---

(١) المقالات، (ص٤٣٦).

(٢) ص١٨٤؛ مع كتاب «تبرئة الشيخين..» للشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ.

(٣) اختلف أهل العلم في كتاب «إرشاد ذوي الألباب» المشتمل على قصيدة الرجوع عن مدح الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ، هل هو ثابت للصنعاني؟، أو منسوب له ـ لغرض التنفير عن الدعوة الإصلاحية ـ؟ فانقسموا إلى مثبتٍ ونافٍ، ولكل فريق أدلته، وقد عرضها الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في رسالته «رجوع الأمير الصنعاني عن مدح الشيخ =

تطهير الاعتقاد».[(١)]

المصلح محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهما الله ـ في ميزان التوثيق التاريخي»، ومال إلى ثبوتها، وقد قال الشيخ ابن سحمان في رده السابق «تبرئة الشيخين» (ص١٨٠):

وإن كان هذا النظم والشرح ثابتاً ... عن السيد المشهور بالعلم والرشدِ

وأعني به البدر المنير محمداً ... ووافق أهل الزيغ والطرد والجحدِ

فليس بمعصومٍ ولا شك أنه ... بذلك قد أخطا وجاء بما يردي

وناقض ما قد قاله في اعتقاده ... وما قاله فيما تقدم في العقدِ

مع التنبيه إلى أن الصنعاني ـ لو ثبتت القصيدة له ـ قد بين أنه لم يتراجع عن مدح دعوة الشيخ محمد ـ رحمهما الله ـ، ولكنه يخالف الشيخ في مسألتي «التكفير» و«القتال»، وذلك في قوله:

ولا تحسبوا أني رجعت عن الذي ... تضمنه نظمي القديم إلى نجدِ

بلى كل ما فيه هو الحق إنما ... تجاريك في سفك الدماليس من قصدي

وتكفير أهل الأرض لست أقوله ... كما قلته لا عن دليلٍ به تهدي

والإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ لم يكفر «أهل الأرض»! ـ كما يزعم صاحب النظم ـ.

(١) قال في «تطهير الاعتقاد» (ص٢٧-٢٩): «فإن قلتَ: أفيصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور والأولياء، والفسقة والخلعاء: مشركين، كالذين يعتقدون في الأصنام؟ قلتُ: نعم، قد حَصل منهم ما حصل من أولئك، وساووهم في ذلك، بل زادوا في الاعتقاد والانقياد والاستعباد، فلا

=

«الصنعاني ليس بشيخ للشوكاني، لم يذكر ذلك الشوكاني في «البدر الطالع»،[١] والصنعاني مات سنة ١١٨٢، والشوكاني ولد سنة ١١٧٣ كما في «البدر الطالع»،[٢] الشوكاني أخذ عن تلامذة الصنعاني».

قال الكوثري:[٣]

«ولو كان بناء القباب على القبور بدعة منكرة ما أقرت الأمة ذلك من صدر الإسلام إلى اليوم».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«في هذا الزمان المتأخر كثر فتح المدارس وكثر طلاب العلم، ولكنه علم لا ينفع؛ لخلوه من علوم الدين، وكثر الجهال المجتهدون، ولكنه اجتهاد صادر من

فرق بينهم ـ إلى أن قال ـ وهذا دال على أنهم لا يعرفون حقيقة الإسلام، ولا ماهية التوحيد؛ فصاروا حينئذٍ كفاراً كفراً أصلياً».

(١) (٢/ ١٣٣-١٣٩) في ترجمة الصنعاني. ومن اللطائف أنه قال (٢/ ١٣٨): «وقد رأيته في المنام في سنة ١٢٠٦ وهو يمشي راجلاً، وأنا أركب في جماعة معي، فلما رأيته نزلت وسلمت عليه، فدار بيني وبينه كلام، حفظت منه أنه قال: دقق الإسناد، وتأنق في تفسير كلام رسول الله ﷺ...».

(٢) (٢/ ٢١٥) في ترجمته لنفسه. وتنظر مقدمة كتابه «الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني»؛ للشيخ محمد صبحي حلاق (١/ ٢٨) في ذكر شيوخه.

(٣) المقالات، (ص٤٣٧).

جهال، لا عبرة به، بل كثير منه يخالف الدين». (١)

---

(١) رداً على هذه الشبهة التي ذكرها الكوثري ولا زال القبوريون يرددونها إلى اليوم، قال الشيخ حمد بن معمر ـ رحمه الله ـ في كتابه «النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين»(ص١٢٢-١٣٢)، راداً على شبيه للكوثري القبوري:

«وأما قوله: (ومنها أن كثيراً من العلماء الكبار فعلوا هذا الأمر، وفعلت بحضرتهم ولم ينكروا. من ذلك تتابعهم على بناء القباب على القبور. واتخاذها أعياداً في الغالب، ولكل شيخ يومٌ معروفٌ في شهر معلوم يؤتى إليه من النواحي، وقد يحضر بعض العلماء فلا ينكر).

فالجواب من وجوه:

الوجه الأول: أن يقال: قد افترض الله على العلماء طاعة رسوله ﷺ، وأخبر أن من أطاعه فقد أطاع الله. فقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[النساء: ٨٠].

وقال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[آل عمران: ٣١].

وقال: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾[النور: ٥٤].

وقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[الحشر: ٧].

وقال﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[النساء: ٥٩].

فإذا اختلف الناس في شيء من أمور الدين، هل هو واجب أو محرم أو جائز؟ وجبَ ردّ ما وقع فيه النزاع والاختلاف إلى الله والرسول. ويجب على المؤمن إذا دعي إلى ذلك أن يقول سمعاً وطاعةً.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١].

=

فنحن نحاكم من نازعنا في هذه المسألة وغيرها من المسائل إلى الله والرسول، لا إلى أقوال الرجال وآرائهم.

فنقول لمن أجاز بقاء القباب على القبور بالجص والآجر، وأسرجها، وفرشها بالرخام، وعلق عليها قناديل الفضة وبيض النعام، وكساها كما يكسى بيت الله الحرام:

هل أمر رسول الله ﷺ بهذا، وحث عليه، أم نهى عنه وأمر بإزالة ما وضع من ذلك عليه؟ فما أمرنا به ائتمرنا، وسنته هي الحاكمة بيننا وبين خصومنا في محل النزاع.

فنقول: قد ثبت في صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب ا: «**ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا أدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سوَّيته**».

وفي صحيحه أيضاً عن ثمامة بن شفي الهمداني: قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها.

وفي صحيحه أيضاً عن جابر بن عبدالله قال: «**نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه؛ وأن يبنى عليه**».

وروى أبو داود في سننه أن رسول الله ﷺ نهى **أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها**. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «**لعن رسول الله ﷺزائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج**» رواه الإمام أحمد وأهل السنن.

فنهى رسول الله ﷺ عن البناء عليها، وأمر بهدمه بعدما يبنى، ونهى عن الكتابة عليها، ولعن من أسرجها.

=

فنحن نأمر بما أمر به ﷺ من تسويتها، وننهى عن البناء عليها؛ كما نهى عنه رسول الله ﷺ. فهو الذي افترض الله علينا طاعته، واتباعه، وأما غيره فيؤخذ من قوله ويترك: كما قال الإمام مالك: «كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ».

وقال الإمام أحمد: لا تقلد في دينك أحداً، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذه، ثم التابعين بعد فالرجل فيهم مخير.

وقال أيضاً: لا تقلدني، ولا تقلد مالكاً، ولا الثوري، ولا الأوزاعي، وخذ من حيث أخذوا.

والعجب ممن يسمع هذه الأحاديث عن رسول الله ﷺ في النهي عن تعظيم القبور، وعقد القباب عليها بالجص والآجر، وإسراجها، ولعن من أسرجها، ثم يقول: فعلت هذه الأمور بحضرة العلماء الكبار ولم ينكروا! كأنه لم يسمع ما جاء عن رسول الله ﷺ في ذلك!! قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء. أقول قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر».

وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان؛ والله يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣].

أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله، أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

فإذا كان هذا كلام ابن عباس فيمن عارض السنة بقول أبي بكر وعمر، وكلام أحمد فيمن ذهب إلى رأي سفيان، فكيف بمن عارض السنة بقول فلان وفلتان؟

وقد روى البيهقي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أشد ما أتخوف على أمتي ثلاث، زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، ودنيا تقطع أعناق رجال»**.

=

ومن المعلوم أن المخوف في زلة العالم تقليده فيها؛ إذ لولا ذلك لم يخف من زلة العالم على غيره.

فإذا عرف أنها زلة لم يجز له أن يتبعه فيها باتفاق العلماء، فإنه اتبَاعٌ للخطأ على عمد.

وقال عمر ا: «يُفسد الزمان ثلاثة: أئمة مضلون، وجدال منافق بالقرآن والقرآن حق، وزلة العالم».

فإذا صح وثبت أن العالم يزل ويخطئ لم يجز لأحد أن يفتي ويدين الله بقول لا يعرف وجهه. فكيف إذا عارض بقوله أو فعله قول رسول الله ﷺ، أو فعله؟

الوجه الثاني أن يقال: إذا لم تقنع نفسك، ولم يطمئن قلبك بما جاء عن رسول الله، وقُلْتَ: العلماء أعلم منا بالسنة، وأطوع لله تعالى ولرسوله ﷺ.

فنقول أَعْلَمْ الناس بما أمر به رسول الله ﷺ وما نهى عنه: أصحابُه رضي الله عنهم، فهم أعلم الناس بسنته، وأطوعهم لأمره، وهم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، ورضي عمن اتبعهم بإحسان.

وفي حديث العرباض بن سارية، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**».

وفي الصحيح عنه ﷺ: أنه قال: «**خير القرون قرني الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**».

وقال عبدالله بن مسعود ا: «من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم =

اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الصراط المستقيم».

وقال حذيفة بن اليمان ا: «يا معشر القراء استقيموا، وخذوا طريق من قبلكم، فوالله لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً».

فإذا احتج علينا أحد بما عليه المتأخرون.

قلنا: الحجة بما عليه الصحابة والتابعون الذين هم خير القرون، لا بما عليه الخلف الذين يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون.

فهؤلاء أصحاب الرسول ﷺ، هل نقل عنهم أنهم عقدوا القباب على القبور، أو سرجوها، أو خَلّقوها، أو كسوها الحرير. أم هذا مما حدث بعدهم من المحدثات التي هي بدع وضلالات؟

ومعلوم أن عندهم من قبور الصحابة الذين ماتوا في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته مالا يحصى.

هل بنوا على قبورهم وعظموها، ودعوا عندها، وتمسحوا بها؟ فضلاً عن أن يسألوها حوائجهم، ويسألوا الله بأصحابها.

فمن كان عنده في هذا أثر صحيح أو حسن، فليرشدنا إليه، وليدلنا عليه، وأنى له ذلك.

فهذه سنة رسول الله ﷺ في القبور، وسنة خلفائه الراشدين.

وقد روى خالد بن سنان عن أبي العالية قال: لمّا فتحنا تستر، وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فجعلناه إلى عمر بن الخطاب، فدعا له كعباً، فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل من العرب قرأته مثل ما أقرأ القرآن، قال خالد: فقلت

=

لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم، وأموركم، ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد. قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان الليل دفناه وساوينا القبور كلها مع الأرض لتعميه عن الناس لا ينبشونه. فقلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا أحبست عنهم، أبرزوا السرير فيمطرون، فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له «دانيال»، فقلت: منذ كم وجدتموه قد مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة. قلت: ما كان تغير منه شيء؟ قال: لا؛ إلا شعرات من قفاه. إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض، ولا تأكلها السباع.

ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به الناس، ولم يذروه للدعاء عنده، والتبرك به، ولو ظفر به هؤلاء المشركون، وعلموا حقيقته لبنوا عليه، وعظموه وزخرفوا قبره، وأسرجوه، وجعلوه وثناً يعبد.

فإنهم قد اتخذوا من القبور أوثاناً لمن لا يداني هذا ولا يقاربه. بل لعله عدو لله، وأقاموا لها سدنة، وجعلوها معابد، واعتقدوا أن للصلاة عندها والدعاء حولها والتبرك بها، فضيلةً ليست في المساجد.

ولو كان الأمر كما زعموا، بل لو كان مباحاً، لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر علماً، ولما أخفوه خشية الفتنةِ به، بل دعوا عنده، وبينوه لمن بعدهم، ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من هؤلاء الخلوف، الذين أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، وصرفوا لغير الله أجل العبادات.

وما أحسن ما قال الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها».

=

قال الكوثري في رثاء الشيخ إسماعيل سنجر:[(١)]

«وكان من أواخر أعماله المجيدة مشاركة اللجنة القائمة بتنسيق كشف الظنون، وتحقيقه على مسودة المؤلف ومبيضته».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

ولكن كلما نقص تمسكهم بسنة نبيهم ﷺ وهديه وسنة خلفائه الراشدين تعوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك. ومن له خبرة بما أمر به رسول الله ﷺ عند زيارة القبور وما يفعل بها، وبما يفعل عندها، وبما كان عليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ثم وازن بين هديه ﷺ وهدي أصحابه، وبين ما عليه المتأخرون اليوم، وما يفعلونه عند القبور، تبين له ما بينها من التباين والتضاد، وعلم أن بينهما من الفرق أبعد مما بين المشرق والمغرب، كما قيل:

سارت مشرِّقةً وسرتُ مغرباً ... شتَّان بين مشرقٍ ومغربِ

الوجه الثالث أن يقال: قوله: إن كثيراً من العلماء فعلوا هذه الأمور، وفُعِلَتْ بحضرتهم فلم ينكروا، من ذلك تتابعهم على بناء القبور.

فيقال: بل قد نهوا عن ذلك، وصرحوا بكراهته والنهي عنه؛ وهذه كتبهم بأيدينا مصرحةً بما ذكرنا، ونحن نسوق عباراتهم بألفاظها...»، ـ ثم ساق ـ رحمه الله ـ كلام علماء المذاهب الأربعة «الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي»، فانظرها هناك.

(١) المقالات، (ص٤٩٨).

«كنا سمعنا أن لجنة في إسطنبول قامت بتحقيق «كشف الظنون»، وكنا نتمنى رؤيته، فلما طبع ورأيناه وجدنا أغلاط الطبعات الأولى كما هي في طبعة هذه اللجنة، وإن «كشف الظنون» لجدير بالعناية بتصحيحه». [1]

قال الكوثري: [2]

«فقيد الإسلام العالم الرباني الشيخ يوسف الدِجوي». [3]

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«والخيبة، دجال جاهل».

قال الكوثري: [4]

«ومن نماذج ذلك؛ أن المتكلمين تراهم يضطربون جداً في لا تناهي المقدورات والمعلومات، مع اختصاص القدرة بالممكن، وشمول العلم للممكن

---

(١) انظر الكلام حول طبعات «كشف الظنون» في مقدمة المرعشي الشيعي لطبعة دار الفكر.

(٢) المقالات، (ص٥٠٠).

(٣) من علماء الأزهر، (ت١٣٦٥هـ) كان منافحاً عن القبورية، مشاقاً لعلماء السنة. له ترجمة في «الأعلام» (٨/ ٢١٦). رد عليه عبدالله القصيمي بكتابٍ سماه: «البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدِجوية».

(٤) المقالات، (ص٥١٤).

وغيره، فيركبون كل مركب في التخلص من النقض الوارد بذلك على برهان التطبيق، والمحقق إسماعيل القونوي ينقل في رسالة ألفها في الرد على الدوّاني في مسألة العلم، عن عبدالرحمن الآمدي هذا، قوله: «وأما تعلق علم الله سبحانه بالأمور الغير المتناهية، فلا يجري فيه التطبيق؛ لأنهم اعتبروا في جريان التطبيق التطبيق بالفعل، وادعوا البداهة في أن التطبيق بالفعل لا يتحقق بدون وجود الآحاد في الخارج، والعلم لا يستلزم الوجود»، ويعول القونوي عليه في هذا المعترك».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«هذا هو الصواب، وأكثر طلبة العلم يقولون ببرهان التطبيق؛ تقليداً لأرباب الكتب التي ذكر فيها، ولما قرأت رسالة أبي بكر في علم الوضع، التي افتتحها بهذه المسألة، عجبت من الأشياخ الذين يقرون ويعتقدون أمراً كالخيال، وكنت أعيد هذا البرهان، وأبديه في نفسي، حتى رأيت شيخ الإسلام في العقل والنقل ذكره وأبطله، فزال الإشكال، ولله الحمد».[1]

---

(١) انظر: «درء التعارض»، (٢/ ٣٦)، وقال ـ رحمه الله ـ في كتابه «منهاج السنة» (١/ ٤٣٢-٤٣٤) موضحاً دليل التطابق أو التطبيق، وراداً عليه:

=

«وعمدة من يقول بامتناع مالا نهاية له من الحوادث، إنما هي دليل التطبيق والموازنة والمسامتة، المقتضى تفاوت الجملتين، ثم يقولون: والتفاوت فيما لا يتناهى محال، مثال ذلك أن يُقدِّروا الحوادث من زمن الهجرة إلى مالا يتناهى في المستقبل أو الماضي، والحوادث من زمن الطوفان إلى مالا يتناهى أيضاً، ثم يوازنون الجملتين، فيقولون: إن تساوتا لزم أن يكون الزائد كالناقص، وهذا ممتنع، فإن إحداهما زائدة على الأخرى بما بين الطوفان والهجرة، وإن تفاضلتا لزم أن يكون فيما لا يتناهى تفاضل، وهو ممتنع.

والذين نازعوهم من أهل الحديث والكلام والفلسفة منعوا هذه المقدمة، وقالوا: لا نسلم أن حصول مثل هذا التفاضل في ذلك ممتنع، بل نحن نعلم أنه من الطوفان إلى مالا نهاية له في المستقبل أعظم من الهجرة إلى مالا نهاية له في المستقبل، وكذلك من الهجرة إلى مالا بداية له في الماضي أعظم من الطوفان إلى مالا بداية له في الماضي، وإن كان كل منهما لا بداية له، فإن مالا نهاية له من هذا الطرف وهذا الطرف، ليس أمراً محصوراً محدوداً موجوداً حتى يقال هما متماثلان في المقدار، فكيف يكون أحدهما أكثر؟ بل كونه لا يتناهى معناه أنه يوجد شيئاً بعد شيء دائماً، فليس هو مجتمعاً محصوراً.

والاشتراك في عدم التناهي لا يقتضي التساوي في المقدار، إلا إذا كان كل ما يقال عليه إنه لا يتناهى له قدر محدود، وهذا باطل. فإن مالا يتناهى ليس له حد محدود ولا مقدار معين، بل هو بمنزلة العدد المضعَّف، فكما أن اشتراك الواحد والعشرة والمائة والألف في التضعيف الذي لا يتناهى لا يقتضي تساوي مقاديرها، فكذلك هذا.

وأيضاً، فإن هذين هما متناهيان من أحد الطرفين وهو الطرف المستقبل، وغير متناهيين من الطرف الآخر وهو الماضي.

=

قال الكوثري:[١]

«ثم رأيت في الصحف اليومية أن الاختيار وقع بالفعل على طبع كتاب «الإمتاع»[٢] المذكور، فسررت من هذا القرار، ومن هذا التوارد في الخواطر».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«لما طبع الجزء الأول من «الإمتاع»، أحضره بعض العلماء المصريين إلى مكة، وسلمه لجلالة الملك عبدالعزيز، تغمده الله برحمته، فوضعه قريباً من مكان

وحينئذ فقول القائل: يلزم التفاضل فيما لا يتناهى غلط، فإنه إنما حصل في المستقبل، وهو الذي يلينا، وهو متناه، ثم هما لا يتناهيان من الطرف الذي لا يلينا وهو الأزل، وهما متفاضلان من الطرف الذي يلينا وهو طرف الأبد.

فلا يصح أن يقال: وقع التفاوت فيما لا يتناهى، إذ هذا يُشعر بأن التفاوت حصل في الجانب الذي لا آخر له، وليس الأمر كذلك، بل إنما حصل التفاضل من الجانب المنتهي الذي له آخر؛ فإنه لم ينقض...» إلى آخر كلامه ـ رحمه الله ـ.

(١) المقالات، (ص٥٥٤).

(٢) «إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع»؛ للمقريزي، حقق الأستاذ محمود شاكر ـ رحمه الله ـ، جزءًا عام (١٩٤١م). ثم طُبع كاملاً بتحقيق الأستاذ محمد عبدالحميد النميسي، في (١٥) مجلد.

جلوسه، ثم سافر إلى جدة، فلما رجع أخذ الكتاب، وأعطاني إياه، وكان رئيس القضاة حاضراً، فقال: إذا طالعته فأعطني إياه أطالعه، وحيث أنني أعتقد أنه لا يرجعه إليّ قلت لجلالة الملك: إن هذا الكتاب جليل، ومؤلفه الإمام المقريزي سلفي المعتقد، وله رسالة جليلة في التوحيد، فقال رئيس القضاة: إن الشيخ - يعنيني - يعرف المؤلف، فلما سمع الملك هذا الثناء على مؤلفه أخذه وقال: أعطني كتابي، فسلمته بيده، وسلمتُ من حيلة رئيس القضاة».

جاء في خاتمة مقالات الكوثري تحت عنوان: «من آثار العلامة الكوثري المطبوعة»:[1]

«السيف الصقيل في الرد على نونية ابن القيم للتقي السبكي، والتعليقات معروفة بإكمالة الرد، ومسماة بتبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم».

قال الشيخ محمد بن مانع - رحمه الله -:

«وقفت على هذا الرد والتعليقات؛ فإذا هي مجموعة أباطيل وخرافات، غالب ما فيها السب والشتم، حمى الله ابن القيم عن جهلهم وسبهم».[2]

---

(١) المقالات، (ص٥٩٢).

(٢) مضى في مبحث: «أقوال العلماء في الكوثري» نماذج من سباب الكوثري وشتائمه لأئمة الإسلام في تعليقاته على: «السيف الصقيل..».

الكوثري واسع الاطلاع كثير الابتداع نسب إليه
القدسي تعمد الكذب لما اختلفا ثم تصالحا وكلاهما من
أهل البدع وليست عداوة الكوثري لابن تيمية وابن
القيم خاصة بل هو منابذ لأهل الحديث عامة فهو
معطل على طريقة الجهمية وناصر ومؤيد لجهالات
السبكي وابنه عبد الوهاب وكذا ابن حجر الهيتمي ومؤيد
لكذب هذه الطائفة الضالة المفترية على شيخ
الإسلام ابن تيمية وقد أظهر الله كذبهم وأبان بطلان
أقوالهم لما انتشرت كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم
فلا تغتر بما يكتبه الكوثري من الأباطيل في مقالاته
فإنه شيخ ضال منحرف عن طريقة السلف الصالح أهل
السنة والجماعة

حرر في ١١ / ٥ / ١٣٧٤ بمكة المكرمة
كتبه محمد بن مانع

مؤلف كشف الظنون ص ٤٧٥
مؤلف روح البيان في تفسير القرآن ص ٤٦٢

نموذج من تعليقات الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ على «مقالات الكوثري»

كان جلالة الملك سعود أمر في ١٣٧٤ بقطع أيدي جماعة من السراق بعد ثبوت ذلك عليهم شرعا ثم بلغه ... ان بعض المرتابين يرى تغيير مثل هذه الأحكام الشرعية والعمل بالقوانين الكفرية المدنية وما كان من جلالته إلا أن أنكر هذا الرأي الفاسد وقال من لم يرض بأحكام الإسلام فباب ... مفتوح ونشر ذلك في جريدة البلاد السعودية ...

-١٩٢-

والآن أقف برهة أسائل فيها نفسي كم من علماء الإسلام يستطيع في سبيل ما يعتقده حقاً – أن يقف في وجه من بيده أدنى سلطان فضلاً عن الوقوف في وجه (جلالة) السلطان. أظن أن العدد يكون قليلا جداً – والكوثري كان من هذا القليل النادر.

وكان مرتب لمنصب وكيل الدرس خمسة وسبعين جنيها عثمانيا ذهباً في كل شهر وهو مبلغ طائل في تلك الأيام.

وثالثها: اضطراره إلى مغادرة بلاده فاراً بدينه، وسبب ذلك أن الأستاذ كان من المتمسكين بدينهم واستلزم ذلك كراهيته الاتحاديين لنزعتهم الإلحادية فلما ولى الأمر الكماليون وكانوا أشد إلحاداً ولا دينية وبغضاً للإسلام وعلمائه وكل ما يتصل به كما ظهر منهم فيما بعد، فقد رأى أن الخير في مغادرة البلاد مؤقتاً حتى تهدأ الفتنة خصوصا وقد أخبره بعض المخلصين أن هناك مؤامرة لاعتقاله فخرج من السوق إلى الميناء دون الرجوع إلى منزله حيث استقل الباخرة من الآستانة إلى الإسكندرية كما مر في الفصل الأول.

ويجمل بي أن أعرض في هذا المقام للإصلاح الفاسد الذي زعمه الكماليون وفساده أتى من فصلهم الدين عن الدولة، فالدين الإسلامي كما يعلم كل من له أقل إلمام به ليس بقاصر على صلاة وصوم ولكنه دين سياسة وتنظيم للمجتمع فكتب الفقه تبدأ بالعبادات، ولكنها تشمل المعاملات العامة والخاصة والعقوبات والحظر والإباحة، وكتب السير تبحث في الحرب وأحكامها وما يترتب عليها والغنائم ومعاملة غير المسلمين مع مراعاة حقوقهم وحفظ ذمتهم، وإجمالاً أقول: إن الدين الإسلامي فيه كل ما يراد من تحقيق مجتمع إنساني مثالي سعيد ولا يطلب فصل الدين عن الدولة إلا الذي لا يعرف ما هو الدين الإسلامي.

نموذج من تعليقات الشيخ ابن مانع – رحمه الله – على «مقالات الكوثري»

القرآن كلام الله سمعه جبريل من الله والنبي سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من النبي فليس بمخلوق وقد دل — ٢٦١ — الدليل على أنه سبحانه يتكلم بشيء بعد شيء ولم يزل متكلما إذا شاء فكلامه قديم نوعا حادث آحادا وإذا قالوا يلزم من ذلك قيام الحوادث بذاته قلنا ومن أنكر ذلك من أهل الحق ومعنى قيام الحوادث بذاته قدرته عليها اهـ

بدعة الصوتية حول القرآن

يوجد بين البشر من يرضى لنفسه أن يقول : إن القرآن كلام الله بحرف وصوت ومع ذلك فهو غير مخلوق . وفي هؤلاء يقول أبو بكر الباقلاني في « النقض الكبير » : من زعم أن السين من بسم الله بعد الباء ، والميم بعد السين الواقعة بعد الباء لا أول له ، فقد خرج عن المعقول وجحد الضرورة ، وأنكر البديهة ، فإن اعترف بوقوع شيء بعد شيء فقد اعترف بأوليته ، فإذا ادعى أنه لا أول له فقد سقطت محاجته وتعين لحوقه بالسفسطة . وكيف يرجى أن يُرشد بالدليل من يتواقح في جحد الضروري اهـ . راجع « الشامل » لإمام الحرمين ، و « نجم المهتدي » لابن المعلم القرشي .

وقال الحليمي في « شعب الإيمان » : ومن زعم أن حركة شفتيه أو صوته أو كتابته بيده في الورقة هو عين كلام الله القائم بذاته ، فقد زعم أن صفة الله قد حلت بذاته ، ومست جوارحه ، وسكنت قلبه ، وأي فرق بين من يقول هذا وبين من يزعم من النصارى أن الكلمة اتحدت بعيسى عليه الصلاة والسلام ! اهـ .

وبعد إحاطة القارىء علماً بهذا وذاك لينظر قول الموفق بن قدامة صاحب المغني ـ الذي يقول عنه ابن تيمية إنه ما حل دمشق مثله بعد الأوزاعي ـ في مناظرته مع بعض الأشاعرة في صدد نفي الكلام النفسي ، المسجلة في المجموعة المحفوظة تحت رقم ١١٦ بظاهرية دمشق : « قال أهل الحق : القرآن كلام الله غير مخلوق . وقالت المعتزلة هو مخلوق . ولم يكن اختلافهم إلا في هذا الموجود دون ما في نفس الباري مما لا ندري ماهو ولا نعرفه اهـ » . وله أيضاً « الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم » وفيه عجائب . فيكون اعترف في أول خطوة أن الحق بيد المعتزلة وهو لا يشعر ،

نموذج من تعليقات الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ على «مقالات الكوثري»

نسبة إباحة المتعة إلى الإمام مالك غلط

— ٢٥٧ —

ليأخذ منا من شاء ما شاء من الأحكام ، وأحكامنا غنية عن التطفل على غيرنا إذا لم نهزل في موقف الجد.

ومما يؤسف له كل الأسف أن يوجد بيننا من يسعى بدون طائل في استبدال الأحكام المتوارثة باسم التجديد بدون أي مبرر غير التقرب إلى قوانين لا تمت إلى الإسلام بصلة .

ومن المعلوم أن الحكومة قد قررت إلغاء البغاء فشكر لها المسلمون من أعماق القلوب في مشارق الأرض ومغاربها هذا القرار الحكيم واعتبروه بحق صفحة مجيدة ذهبية في تاريخ الإصلاح الحكومي منتظرين بفارغ الصبر ما يتلوه من خطوات تعزز آمال المسلمين في الإصلاح .

وفي العام الماضي ٧٣ أو أول هذا العام ١٣٧٤ ألغيت رخصة البغاء وأغلقت دوره في مصر

وإزاء هذا الإصلاح العظيم الذي قامت به الحكومة نرى شخصا يتعثر في أذياله ركضا وراء البحث عن رواية تعزى غلطا - كما يقول ابن دقيق العيد - إلى مالك رضي الله عنه ويقول عن بغيته في تلك الرواية في غير خجل ولا وجل : « لابد من التفكير في إحلال المتعة محل البغاء الذي قررت الحكومة إلغاءه لأنه ما من حرام من اللذات إلا وقد أحل الله ما يحل محله » ونسي المسكين أن الله سبحانه أحل النكاح وحرم المتعة والسفاح وحرمة المتعة ثابتة بالكتاب والسنة المتواترة وإجماع الأئمة وقد صح رجوع ابن عباس إلى قول الجماعة بعد أن حدثه علي كرم الله وجهه بحديث التحريم وعزو تجويزها إلى مالك في الهداية خطأ بحت كما سبق ، بل مذهبه وجوب الحد على من وطىء بنكاح المتعة في رواية ابن نافع ؛ بخلاف مذهب من يعد ذلك وطأ بشبهة فيسقط عنه الحد فيكون مسعى ذلك الفاتن في منتهى الخذلان فلا يرجى للأزهر صلاح وإصلاح مالم يبعد عنه المصلحون من هذا الطراز.

نموذج من تعليقات الشيخ ابن مانع - رحمه الله - على «مقالات الكوثري»

الكتاب الثاني: «لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ» لابن فَهْد المكي

قال الكوثري:[(١)]

«من أن إرسال الطلقات الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة، وحشد ابن تيمية حول تأييد هذه الفتوى ما هو نموذج لتمويهه مما لا ينخدع به إلا ضعفاء النظر، وليس عنده لدى النقد ما يكون شبه دليل على مدعاه، وكاد وقوع الثلاث أن يكون من مواطن الإجماع بين الصحابة، حتى عند ابن عباس على ما ثبت بطرق عنه».[(٢)]

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«صار في هذا الزمان العمل على فتوى شيخ الإسلام في جميع محاكم مصر

---

(١) هامش (ص١٨٦) في ترجمة المنصفي. قال ابن فهد: «وحصل عليه محنة بسبب ما أفتى به ابن تيمية في مسألة الطلاق».

(٢) ليس في المسألة إجماع ـ كما يزعم الكوثري ـ. وينظر لمعرفة من قال بوقوعه طلقة واحدة من الصحابة فمن بعدهم؛ رسالة: «تسمية المفتين بأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة»؛ للدكتور سليمان العمير.

والسودان، على رغم أنف الكوثري».[١]

قال الكوثري:[٢]

«بل يحكي الإمام تقي الدين الحصني عنه وعن أتباعه أنهم كانوا يتقاضون ممن وقع في مأزق من أمر النكاح والطلاق نحو خمسة دراهم، فيفتون له بأن النكاح صحيح، أو أن الطلاق غير واقع».[٣]

---

(١) قال الأستاذ بدران أبو العينين في رسالته «الفقه المقارن للأحوال الشخصية» (ص٣٥٣): «كان العمل في مصر جارياً على هذا الرأي ـ أي أن طلاق الثلاث مجتمعة يقع ثلاثاً ـ؛ إلى أن صدر القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩م؛ فأخذ برأي القائلين بأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع طلقة واحدة رجعية..».

وقال الدكتور حاكم المطيري في مقدمته لرسالة العلامة المعلمي «الحكم المشروع في الطلاق الممنوع» (ص١٣): «وقد صار هذا القول ـ رد الثلاث إلى واحدة ـ هو المعمول به في كثير من المحاكم الشرعية في الدول الإسلامية».

(٢) هامش (ص١٨٧).

(٣) وعبارة الحصني من كتابه «دفع شبه من شبّه وتمرد..»، (ص٣٥): «وقد وقفتُ على مصنف له في ذلك، وكان عند شخص شريف زيني، وكان يرد الزوجة إلى زوجها في كل واقعة بخمسة دراهم، وإنما أطلعني عليه لأنه ظن أني منهم»!! قلت: هذا كذب صريح، لا يُقدم عليه من يخاف الله ـ عز وجل ـ.

=

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«هذا كذب، وعداوة الحصني لأهل السنة معروفة».[(١)]

قال ابن فهد المكي:[(٢)]

ومصنفات شيخ الإسلام، وفتاواه في مسائل الطلاق مشهورة متداولة. ولعلم الكوثري بكذب ما يحكيه الحصني فقد حاول تمرير هذه الكذبة بقوله في الهامش: «هذا شيء مدهش جداً، ولولا أن الذي يحكيه الإمام الحصني المعروف بشحه على دينه، ما وجد ما يحكيه إلى القلوب سبيلا»! فتأمل كيف صدقه دون بينه؛ لأن كذبته وافقت هواه.

وقد علق الشيخ زهير الشاويش ـ حفظه الله ـ على هذا الإفك بقوله: «هذا نزر مما يقوله الكوثري! وليس عندي تعليق عليه! وإنما أترك لك أخي القارئ أن تذكر الكوثري وتلامذته؛ الذين يلزمون الناس بالرجوع إلى كتبه، والإشادة بمؤلفاته، التي تطعن بسلف الأمة؛ ومنهم ابن تيمية، أن تذكرهم بما تشاء» (هامش ص٨٦ من الرد الوافر).

(١) هو أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن، يُعرف بتقي الدين الحصني ـ نسبة إلى الحصن: قرية من قرى حوران ـ، (ت٨٢٩). له ترجمة في «إنباء الغُمر» لابن حجر (٨/ ١١٠-١١١)، و «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤/ ٩٧-٩٩)، كان أشعرياً متعصباً للأشاعرة، قال السخاوي في «الضوء اللامع» (١١/ ٨٣-٨٤) ـ نقلاً عن المقريزي ـ: «وتفحش في حق ابن تيمية، وتجهر بتكفيره من غير احتشام». وقد ألف كتابه «دفع شبه من شبه وتمرد» للرد على شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ. وللمزيد عنه: تُنظر مقدمة الدكتور عبدالرحمن الشعلان لكتابه «القواعد».

(٢) (ص٢٠١)، في ترجمة ابن الملقن.

«وذكره قاضي صفد العثماني في «طبقات الفقهاء» فقال: أحد مشايخ الإسلام صاحب المصنفات التي ما فتح على غيره بمثلها في هذه الأوقات».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«هو مؤلف كتاب «رحمة الأمة»، راجع «كشف الظنون»، قال ابن شهبة: وقد رأيته خبط فيه خبط عشواء».[١]

قال ابن فهد المكي عن البُلقِيني:[٢]

«فقيه الزمان بالاتفاق، وشيخ الإسلام على الإطلاق، أعلم أهل عصره بجميع العلوم، وأدراهم بالمنطوق والمفهوم، مفتي الأنام، وملك العلماء الأعلام، عون الإسلام والمسلمين، وحجة الله تعالى على خلقه أجمعين».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«هذا غلو».

---

(١) كشف الظنون، (١١٠٥).

(٢) (ص٢٠٦).

قال الكوثري تحت ترجمة ابن الشرايحي:[(١)]

«وصاحب الترجمة عزره وآذاه بالقول القاضي برهان الدين أبو سالم إبراهيم بن محمد بن علي التادلي المالكي، الذي يقول عنه ابن خطيب الناصرية: «كان حاكماً ناصراً للشرع مهيباً»، لما بلغه أنه أقرأ كتاب الرد على الجهمية، لعثمان بن سعيد الدارمي، والنقض له بدمشق، وعزر القارئ عليه أيضاً بكلام، وهو البرهان إبراهيم بن محمد بن راشد الملكاوي الدمشقي، ثم بالضرب والطواف به والحبس، كما في «الضوء اللامع»[(٢)] وغيره، وهذا الكتاب كمسائل حرب مما يتسامع به الحشوية فيما بينهم، وفيه غرائب وعجائب، لو قام بطبعه بعضهم لظهر لعامة العلماء ما هي السنة التي إليها ينتمون، وينقل منه ابن تيمية أشياء في معقوله».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«انظر لأي شيء يُنَفرون من قراءة الرد على الجهمية؛ ذلك لأنهم جهمية أهل بدعة وعقيدة خبيثة».

قال ابن فهد في ترجمة سبط ابن العجمي:

«والشيخ علاء الدين محمد بن محمد بن محمد البخاري الحنفي».

---

(١) (ص٢٦٢).

(٢) (١٤٦/١).

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«هذا ناشف الدماغ، كما في «الدرر الكامنة»[١]».

قال الكوثري في الهامش عن العلاء البخاري:[٢]

«من أكابر تلامذة المحقق سعد الدين التفتازاني»

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«ليس بمحقق».[٣]

قال الكوثري:[٤]

«لما سكن العلاء البخاري دمشق كان يسأل عن مقالات ابن تيمية التي انفرد بها، فيجيب بما يظهر له من الخطأ فيها، وينفر قلبه عنه، إلى أن استحكم أمره

---

(١) سبق في (ص ٢١٥) كلام الحافظ فيه، وكذا كلام تلميذه السخاوي.

(٢) هامش (ص٣١٥).

(٣) انظر الكلام عنه وذكر مصادر ترجمته في: «عداء علماء الماتريدية للعقيدة السلفية» للشمس الأفغاني ـ رحمه الله ـ (١/ ٢٩٣-٢٩٥)، وقال عنه: «حنفي جلد، ماتريدي صلب»، «فيلسوف الماتريدية، كما أن الرازي فيلسوف الأشعرية». قلت: وللأستاذ محمد النورستاني رسالة جامعية بعنوان: «مواقف التفتازاني الاعتقادية في كتابه شرح العقائد النسفية»، نوقشت في الجامعة الإسلامية عام ١٤٢٦هـ، ولم تطبع بعدُ.

(٤) هامش (ص٣١٦).

٢٦٢

والعوالي وآية في حفظ الرواة المتأخرين يذاكر فيهم مذاكرة.دالة على

رحمه الله كبير التساهل في تسميع المترددين اليه كل ما بلغه من اجزاء اناس من المشبهة لا يتحملها أهل العلم منهم الا لتسجيل بدعتهم عليهم ليرد عليهم المتبصرون من العلماء نحلتهم ، وفي بعض تلك الاجزاء صريح نسبة القعود والجلوس والمكان والحد والحركة وغيرها الى ربهم وهذا مما تقشعر جلود الذين يخشون الله من نسبته اليه تعالى عما يصفون ، وان كان بين هؤلاء من شهر بالرواية لكن لم يزالوا على عاميتهم لبعدهم عن اهل العلم وعدم ممارستهم النظر وتعودهم ان يعيشوا أمة وحدهم مغترين بكثرة الملازمين لهم لتحمل ما عندهم من الروايات ولم يستأصل الاسلام من عقولهم بعد شأفة نحلهم التي كانوا عليها قبل الاسلام من يهودية بفلسطين ونصرانية بالشام ووثنية بالبادية وصابئية بحران وواسط عبدة الاجرام العلوية وغيرها من قدماء المشبهة ظانين ان ماهم عليه هو الاعتقاد الصحيح في الله ، وقول الجمهور في حقهم مر الا ان الامام عز الدين بن عبد السلام يميل الى ان من هو في عداد العامة منهم بحيث يعلو التنزيه عن مداركه يعذر ويرجى من سعة فضل الله ان يصفح عنه واما من كان في عداد اهل العلم والنظر منهم فليس يعذره أحد من ائمة السنة ، وصاحب الترجمة عزره وآذاه بالقول القاضي برهان الدين أبو سالم ابراهيم بن محمد بن علي التادلي المالكي، الذي يقول عنه ابن خطيب الناصرية : (كان حاكماً ناصراً للشرع مهيبا) لما بلغه انه اقرأ كتاب الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي والنقض له بدمشق وعزر القاري عليه ايضا بكلام وهو البرهان ابراهيم بن محمد بن راشد الملكاوي الدمشقي ثم بالضرب والطواف به والحبس كما في الضوء اللامع وغيره وهذا الكتاب كمسائل حرب مما يتسامع به الحشوية فيما بينهم وفيه غرائب وعجائب لو قام بطبعه بعضهم لظهر لعامة العلماء ما هي السنة التي اليها ينتمون ، وينقل منه ابن تيمية أشياء في معقوله ، والدارمي هذا وان كان قام

انظر الى أين يعزرون من قرأ الرد على الجهمية ذلك لأنهم جهمية ضلال مبتدعة وعقيدتهم خبيثة

نموذج من تعليقات الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ على كتاب «ذيل تذكرة الحفاظ»

الكتاب الثالث: «تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب»

كتب الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله على غلاف الكتاب:

«لقد زان البلاد ومن عليها ... إمام المسلمين أبوحنيفة
وقد قال ابن إدريس مقالاً ... صحيح النقل في حِكَم لطيفة
بأن الناس في فقهٍ عيالٌ ... على فقه الإمام أبي حنيفة»

قال الأستاذ عزت العطار معدداً كتب الكوثري في المقدمة:

«وتحذير الخلف من مخازي أدعياء السلف» و «عتب المغترين بدجاجلة المعمرين» و«تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم» ـ وهو تكملة الرد عليها ـ».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«الكوثري مشهور بنصر البدع، فلا تغتر بكلامه».

قال الأستاذ العطار:

«و «إحقاق الحق بإبطال الباطل في مغيث الخلق»».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«وعلي القاري أيضاً رد على كتاب ابن الجويني».[(١)]

قال الكوثري:[(٢)]

«والحاصل أن أبا حنيفة لم يقل في القرآن إلا الحق، وهو قدم الكلام النفسي القائم بالله سبحانه كباقي صفاته القديمة، وحدوث الكلام القائم بالخلق، كحدوث ذواتهم وصفاتهم».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«إن ما ذكره المعد هو مذهب الجهمية، ومذهب أهل الحق: أن القرآن حروفه وألفاظه ومعانيه عين كلام الله».[(٣)]

---

(١) برسالته: «تشييع فقهاء الحنفية لتشنيع سفهاء الشافعية». انظر: «الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث» للأستاذ خليل قوتلاي، (ص١٣٠)، و «الملا علي القاري: فهرس مؤلفاته وما كتب عنه»؛ للأستاذ محمد الشماع، (ص١٢). وكتاب «مغيث الخلق في ترجيح القول الحق» تعصب فيه الجويني للشافعي، فرد عليه الكوثري بكتاب «إحقاق الحق» مقابلاً التعصب للشافعي بالتعصب لأبي حنيفة ـ كما هي عادته ـ، مع طعن ولمز بالشافعي وعلماء مذهبه؛ كالبيهقي والقفال والنووي. انظر على سبيل المثال: «إحقاق الحق»، (ص٦ و٤١ و٦٠).

(٢) (ص٧٢).

(٣) انظر: «العقيدة السلفية في كلام رب البرية»، لعبدالله الجديع.

قال الكوثري:[(١)]

«وأين هذا من اعتقاد فنائها بعد دخول أهلها فيها كما هو رأى جهم؟ وهو كفر صريح عند أبي حنيفة وأبي مطيع، بل نقل ابن حزم الإجماع على كفر من يقول بفنائهما بعد دخول أهلهما فيهما، وقد استوفى الكلام على ذلك أبو الحسن السبكي في كتابه «الاعتبار ببقاء الجنة والنار»، وقد ألفه للرد على ابن تيمية، حيث يقول بفناء النار بعد دخول أهلها فيها، وتابعه على ذلك صاحبه ابن القيم، وهو كفر عند جمهور أهل العلم».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«قد اشتهرت نسبة هذا القول لشيخ الإسلام، ولكن لم نجده في كتاب، وما ذكره ابن القيم من الأقوال في فناء النار، إنما هو نقول لم يصرح بالذهاب إليها، بل صرح في كتاب «الوابل الصيب» أن النار دار الكفار، ولا تفنى، فراجعه».[(٢)]

---

(١) (ص٧٤).

(٢) حيث قال ـ رحمه الله ـ في كتابه «الوابل الصيب» عقب كلامه على الدواوين الثلاثة، وأن أعظمها الشرك، وأن الله حرم الجنّة على المشركين، وإنما يدخلها الموحدون، قال بعد ذلك: «وأما النّار فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال والمآكل والمشارب، ودار الخبيثين. قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٣٧﴾ [الأنفال: ٣٧].

=

فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيركمه كما يركم الشيء المتراكب بعضه إلى بعض، ثم يجعله في جهنم مع أهله، فليس فيها إلا خبيث. ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، **وهاتان الداران لا تفنيان**، ودار لمن معه خبث وطيب، وهي الدار التي تفنى، وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنّة، **ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض**».

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فقد قال الدكتور محمد السمهري في مقدمة تحقيقه لرسالته «الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك» (١٨-٢٧):

«**ثانياً: موقف شيخ الإسلام من مسألة فناء النار، وآراء العلماء في ذلك ومناقشتها:**

لا يوجد لشيخ الإسلام ـ فيما أعلم ـ نصٌّ واضحٌ جليٌّ في هذه المسألة، ولكن له هذه الرسالة التي أَلَّفها جواباً عن سؤالٍ وُجِّه إليه، فأجاب بذكر آراء غيره من العلماء في ذلك، وبيَّن الفرق بين دوام الجَنَّة والنَّار، وفنائهما، ولم يعقِّب على ما ذكر من الآراء بقولٍ خاصٍ له هو، ومن هنا اختلفت الآراء والمفاهيم حول موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من المسألة، وذلك على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تحاملوا على ابن تيمية وجعلوه حامل لواء هذه المسألة، وجعلوا منها غَرَضاً للنيل منه وتضليله، وعلى رأس هذا القسم الشيخ علي بن عبدالكافي السُّبْكي المتوفى سنة ٧٥٦هـ، فإن له رسالةً بعنوان «الاعتبار ببقاء الجَنَّة والنار» أَلَّفها ردّاً على رسالة شيخ الإسلام التي أقوم

=

بتحقيقها، لكن بالمقارنة بين الرسالتين، رسالة ابن تيمية ورسالة السُّبْكي، نجد أن السُّبْكي في رسالته تلك قد تحامل على ابن تيمية، وسيأتي بيان أوجه ذلك.

القسم الثاني: من أنكر نسبة القول بفَنَاء النَّار إلى شيخ الإسلام، وقال إنه بريء منه براءةَ الذئب من دم يوسف بن يعقوب، ومن هؤلاء الدكتور علي بن علي الحربي اليماني، مؤلف كتاب «كشف الأستار لإبطال ادِّعَاء فَنَاء النار، المنسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قَيِّم الجوزية» وسأعرض وجهة نظره في ذلك.

القسم الثالث: تأملوا النصوص الواردة عن ابن تيمية في هذه المسألة وقالوا: إنه يميل فقط إلى القول بفَنَاء النار انطلاقاً من سعة رحمة الله، وسيأتي ذكر هؤلاء.

وهذا **أوان عرض تلك الآراء ومناقشتها**:... ـ إلى أن قال ـ: «إن هنا حقائق يمكن ذكرها وهي على النحو التالي:

أولاً: أن ميل الشخص إلى قول من الأقوال لا يدل على أنه يجزم به ويقطع به، بل ظنٌّ راجحٌ لديه فمال إليه.

ثانياً: الميل نوعان:

١-ميل ناشئ عن اجتهاد ونظر وموازنة بين الأدلة الشرعية، فهذا صاحبه مأجور، لكونه مجتهداً وإن أخطأ.

٢-ميلٌ ناشئ عن هوى وتعصب وشهوة النفس ونفي للدليل؛ فهذا ميل مذموم قد ذمَّ الله فاعله، قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [النساء: ٢٧].

=

ثالثاً: أن شيخ الإسلام وإن مال إلى هذا القول فهو مسبوق إليه، يقول الشيخ الألوسي أثناء كلامه عن شيخ الإسلام في هذه المسألة: «ولئن سُلم أنه ـ أي شيخ الإسلام ـ مال إلى ذلك فقد ذهب إليه بعض السلف وأفرادٌ من الخلف...» (جلاء العينين، ص٤٨٨).

وبالتالي لا يكون مبتدعاً في ذلك كما تقدمت الإشارة إلى هذا.

رابعاً: أن ابن تيمية كتب هذه الرسالة بناءً على سؤال وُجه إليه من تلميذه ابن القيم، وذكر له في السؤال أن هذه المسألة تشكل عليه كما في نص السؤال.

إذن؛ فلا عجب أن الشيخ يستقصيها من جميع جوانبها ويوازن بين أدلتها، وعند ذلك ظن من ظن بأنه يقول بفناء النار، أو يميل إلى القول به.

يقول العلامة ابن القيم: «وكنتُ سألت شيخ الإسلام ـ قدس الله روحه ـ فقال لي: هذه المسألة عظيمة كبيرة، ولم يجب فيها بشيء، فمضى على ذلك زمن، حتى رأيت في «تفسير عبد بن حميد الكشي» بعض تلك الآثار ـ الدالة على فناء النار ـ فأرسلت إليه الكتاب وهو في مجلسه الأخير، وعلَّمت على ذلك الموضع، وقلت للرسول: قل له: هذا الموضع يشكل عليه، ولا يدري ما هو؟ فكتب فيه مصنفه المشهور ـ رحمة الله عليه» (شفاء العليل..، ص٤٣٥).

خامساً: أن هذا الميل الذي فُهم من تلك الرسالة غير مشهور في كتب الشيخ المتداولة، بل المشهور عنه فيها تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة عموماً والذب عنها، ومن ذلك الرد على الجهمية والمعتزلة القائلين بفناء الجنة والنار.

وقد تتبع الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني ما جاء عنه في ذلك فذكرها في مقدمة تحقيق كتاب «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار».

=

قال الكوثري:[١]

«ويقولون: إن جنة آدم جنة في الأرض - وإليه ميل ابن القيم».

قال الشيخ محمد بن مانع - رحمه الله -:

«هذا غير صحيح عنه، راجع «مفتاح دار السعادة»[٢]».

قال الكوثري:[٣]

«وزفر معروف بالحفظ والإتقان عند أهل العلم، حتى إن مثل ابن حبان على انحرافه يعترف له بذلك في كتاب «الثقات»[٤] له، ولا ملمس فيه من ناحية الورع أصلاً، فضلاً عن شيخه الذي بهر الأبصار بعلمه وورعه، ولكن الهوى

سادساً: يحتمل عدم ذكر الشيخ - رحمه الله - رأياً خاصاً له في هذه المسألة سببه بقاؤه على الأصل، وهو القول بما عليه أهل السنة والجماعة من دوام النار وعدم فنائها».

قلت: وللمزيد: تنظر رسالة «دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية» للدكتور عبدالله الغصن، (ص٦٠٨-٦٢٤).

(١) (ص٧٤).

(٢) (١/ ١٠-٣٢).

(٣) (ص٩٥).

(٤) (٦/ ٣٣٩).

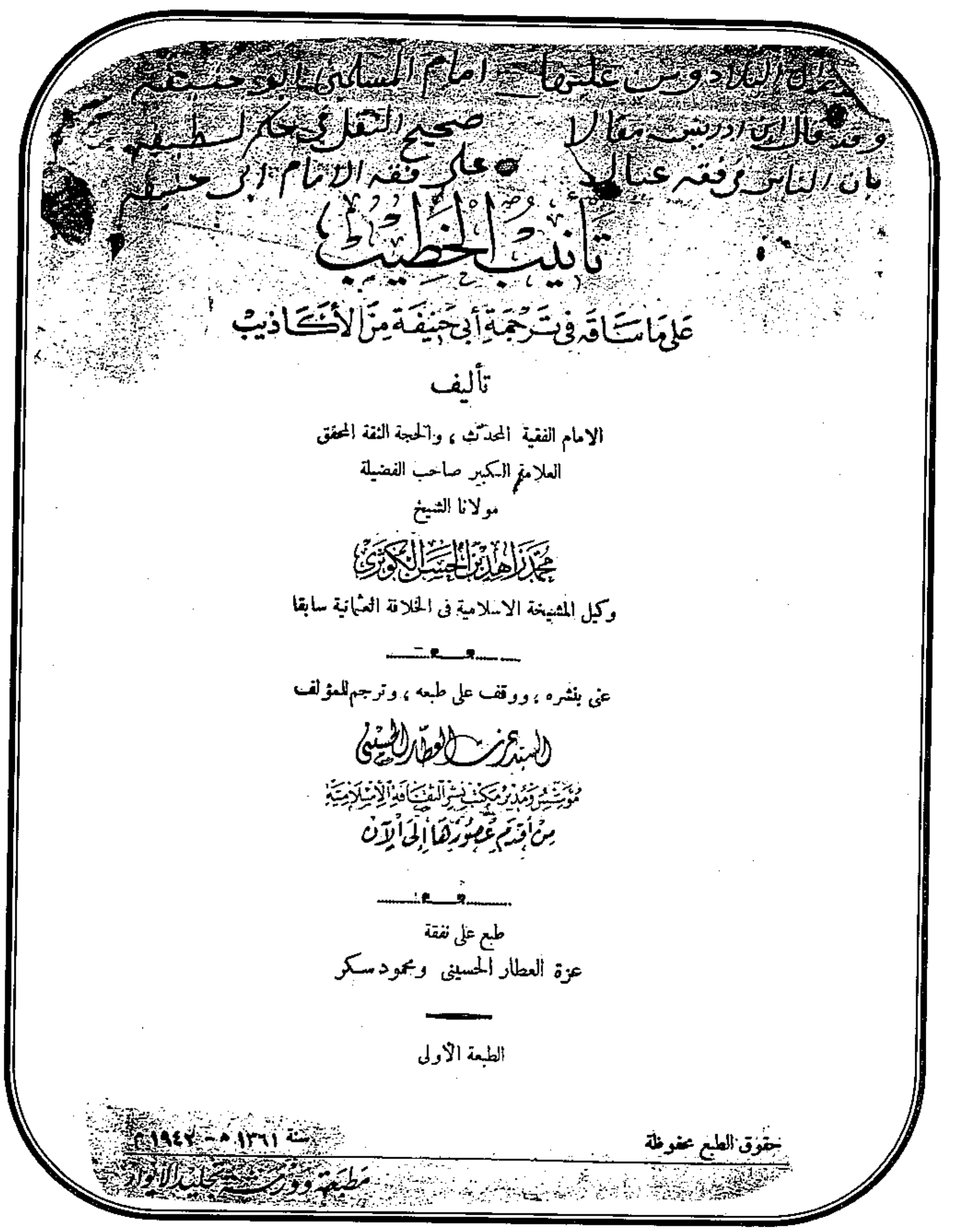
يُعمي البصائر، والهجاء إنما يكب الهاجي في النار، من غير أن يضر الأبرياء الأبرار في شيء».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

« ونحن نقول ذلك في مقابلة الكوثري في الطعن بأئمة الهدى، وأعلام السنة».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ في خاتمة الكتاب:

«الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، قد كمل الكتاب مطالعة، فظهر أن الخطيب ـ رحمه الله ـ لم يحتط في النقل في مطاعن أبي حنيفة، والظاهر أن أكثرها غير صحيح عن من نسبت إليه، وأما أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ، فلم تحطَّ هذه المطاعن من قدره، ولا زالت محبته راسخة في قلوب المؤمنين، ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الحشر: ١٠]، وصلى الله على محمد وآله وسلم».



تأنيب الخطيب

على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب

تأليف

الامام الفقيه المحدث ، والحجة الثقة المحقق

العلامة الكبير صاحب الفضيلة

مولانا الشيخ

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

وكيل المشيخة الاسلامية فى الخلافة العثمانية سابقا

عني بنشره ، ووقف على طبعه ، وترجم للمؤلف

السيد عزت العطار الحسيني

مؤسس ومدير مكتب نشر الثقافة الإسلامية

من أقدم عصورها إلى الآن

طبع على نفقة

عزة العطار الحسيني ومحمود سكر

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة — سنة ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م

مطبعة ومؤسسة تجليد الأنوار

صورة غلاف نسخة الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ من «تأنيب الخطيب» للكوثري

٧٤

فقد كفر بالله تعالى لأنه أنكر الخلود فيهما ، وهذا نص على أن أبا حنيفة ، وأبا مطيع لا يريان فناء الجنةوالنار بعدد خول أهلهما فيهما ، وأما ما فى « ميزان الاعتدال » للذهبي حيث قال : فى ترجمة أبي مطيع : « قال العقيلي حدثنا : عبد الله بن أحمد سألت أبي عن أبي مطيع البلخي فقال : لا ينبغي أن يروى عنه حكوا عنه أنه يقول الجنة والنار خلقتا فستفنيان وهذا كلام جهم » . وحكاية هذا القول عنه هنا بدون سند فعلى تقدير ثبوته عنه يجب حمله على فنائهما لحظة عند النفخ تحقيقاً لقوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) كما هو قول كثير من متكلمي أهل السنة على ما فى « شرح النسفية » و« شرح المقاصد » وغيرهما . وأين هذا من اعتقاد فنائهما بعد دخول أهلهما فيهما كما هو رأى جهم ؟ وهو كفر صريح عند أبي حنيفة وأبي مطيع ، بل نقل ابن حزم الاجماع على كفر من يقول بفنائهما بعد دخول أهلهما فيهما ، وقد استوفى الكلام على ذلك أبو الحسن السبكي فى كتابه « الاعتبار ببقاء الجنةوالنار » وقد ألفه للرد على ابن تيمية حيث يقول بفناء النار بعد دخول أهلها فيها وتابعه على ذلك صاحبه ابن القيم ، وهو كفر عند جمهور أهل العلم . وحاشا أن يقول أبو حنيفة أو أحد من أصحابه بشيء من ذلك وفى « الفقه الأكبر » رواية على بن احمد الفارسي ، عن نصير بن يحيى ، عن أبي مقاتل ، عن عصام بن يوسف ، عن حماد بن أبي حنيفة ، عن ابيه : « والجنة والنار مخلوقتان اليوم لا تفنيان أبداً » ، وسنده فى أول النسخة الخطية المحفوظة ضمن المجموعة (رقم ٢٢٦) بمكتبة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة . « والفقه الأكبر » هذا هو الذى شرحه على القارىء ، وان كانت النسخة التى ظفر بها مغلوطة كما شرحناه فى غير هذا المقام ، وفى المكتبة المذكورة نسخة قديمة سليمة من الأغلاط . والقول بفنائهما لحظة عند النفخ مبنى على مذهب جمهور أهل السنة من أنهما مخلوقتان الآن ، وأما القول بأنهما ستخلقان بعد النفخ وليستا مخلوقتين الآن فقول بعض المعتزلة وعلى هذا القول لا حاجة إلى اعتبار فنائهما عند النفخ تحقيقاً لمعنى الآية المذكورة ، والقائلون بهذا القول يؤولون الآيات الدالة على أنهما مخلوقتان بأنها مسوقة مساق الواقع دلالة على تحقق الوقوع فى المستقبل ، ويقولون : إن جنة آدم جنة فى الأرض (١) ـ وإليه ميل ابن القيم ـ وعقيدة أبي حنيفة فى الجنة والنار أن من يقول بفنائهما بعد دخول أهلهما فيهما كافر ، كما فى « الفقه الأبسط » وكما فى عقيدة فقهاء الملة أبي حنيفة ، وأبي يوسف ، ومحمد بن الحسن لأبي جعفر الطحاوي ، وأبو مطيع البلخي براء أيضاً من مثل هذا الرأى وإن عزاه إليه بعض المجازفين بسوء فهم لقوله . فيعلم بهذا البيان مواضع التزيد فى الخبرين وسقوط تشنيع المشنعين فى الموضعين نسأل الله السلامة .

---

(١) ومن أهل العلم من يقول إن الجنة والنار مخلوقتان اليوم إلا أن جنة آدم فى الارض واليه ذهب أبو منصور الماتريدي .

نموذج من تعليقات الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ على كتاب «تأنيب الخطيب» للكوثري

الكتاب الرابع: «الإشفاق على أحكام الطلاق»

كتب الشيخ ابن مانع على غلاف الكتاب:

«مؤلف الإشفاق واسع الاطلاع، كثير المخالفة لأهل الحق، وكثير الشقاق، متبع فيما يكتبه لهواه، غير مراقب لموقفه بين يدي الله».

وكتب أيضاً:

«يا سائلي عن رجل قد طلقا	لزوجته وبالثلاث نطقا
ثم أتى مستغيثاً ليرجعا	فالحكم أن يُضرب ضرباً موجعا
لأن ذا الطلاق بدعي	وبائنٌ في الشرع ليس رجعي
فاصدع بأمر الحق واترك الجدل	فما على فتوى الجهول من عمل»

قال الكوثري:[1]

«ولابن حجر شغف غريب بنقل كل ما قيل في كل شيء، وقد يحقق في كتاب، ويرسل الكلام على عواهنه في كتاب آخر، وهذا من معايب كتبه».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

---

(١) (ص٢٨).

«قف على انتقاده ابن حجر، ولا تعتبره».[(١)]

قال الكوثري:[(٢)]

«وتصحيح الضياء ماذا يجدي مع مثول السند، والضياء يصحح مثل حديث الخنصر،[(٣)] ومن الغلاة من يصحح جميع ما في مسند أحمد. وقد نقلنا ما

---

(١) وهي ليست بأولى انتقادات الكوثري للحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ فهو لا يفتأ يغمزه بدعوى أنه منحرف عن الأحناف. انظر مثلاً: ترجمة العيني المطبوعة في مقدمة شرحه «عمدة القاري» (ص٧)، (وهذه الترجمة لم تُذيَّل باسم الكوثري، لكن كل ما فيها ينادي عليه!)، ومقدمته لنصب الراية (ص٥٩-٦٠) حيث اتهمه بالخيانة! ومضى ما ذكره الشيخ بكر أبو زيد ـ رحمه الله ـ من نماذج لطعن الكوثري في الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ.

(٢) (ص٢٩).

(٣) يعني: حديث ثابت عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ «في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ قال: قال هكذا ـ يعني أنه أخرج طرف الخنصر ـ، قال: فقال له حميد الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد؟ قال: فضرب صدره ضربة شديدة وقال: من أنت يا حُميد؟ وما أنت يا حُميد؟ يحدثني به أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم تقول: ما تريد إليه؟». أخرجه في «المختارة» (٥/ ٥٤-٥٧). والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٢٢٨٢)، قال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم، ورجاله ثقات رجال الشيخين، غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم».

يفند ذلك عن الحافظ ابن طولون فيما علقناه على خصائص المسند».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«قف، ولا تصدق كلامه في الضياء».[(١)]

قال الكوثري:[(٢)]

«وأما كلامه ـ أي أحمد شاكر ـ عن أحمد بن تيمية وتلميذه الجريء بأنهما جاهدا في سبيل الله بالجهر بهذه المسألة، فقول كنا نود أن لا نطرقه، لو لم يتعرض لذكرهما بتنويه شأنهما، فلا بأس في الإشارة إلى بعض ما فيهما من صنوف الزيغ، ليعلم جلياً أنهما ليسا بمقام القدوة في مثل هذه المسائل، وأنهما ليسا من المجاهدين في سبيل الله، في إثارتهما فتناً في مسائل اعتقادية وعملية خطرة».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«حاشاهما من الزيغ، بل هما من أئمة الإسلام وأعلام الهدى ـ رحمهما الله تعالى ـ».

---

(١) قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ عن تصحيح الضياء: «هو أعلى مرتبة من تصحيح الحاكم، وهو قريب من تصحيح الترمذي وأبي حاتم البستي ونحوهما؛ فإن الغلط في هذا قليل». (الرد على الأخنائي، ص٩٢، وينظر: مجموع الفتاوى: ٢٢/ ٤٢٦).

(٢) (ص٧٢).

قال الكوثري:[١]

«ومع هذا كله؛ إن كان هو ـ أي ابن تيمية ـ لا يزال يعد شيخ الإسلام، فعلى الإسلام السلام»!!

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«نقول: إنه شيخ الإسلام، وأنف الكوثري راغم».

قال الكوثري:[٢]

«وقد انتبه إلى غايته ـ أي الشوكاني ـ بعض علماء اليمن، وهو العلامة ابن حريوة محمد بن صالح الصنعاني، وألف في الرد عليه «الغطمطم الزخار في اكتساح السيل الجرار».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

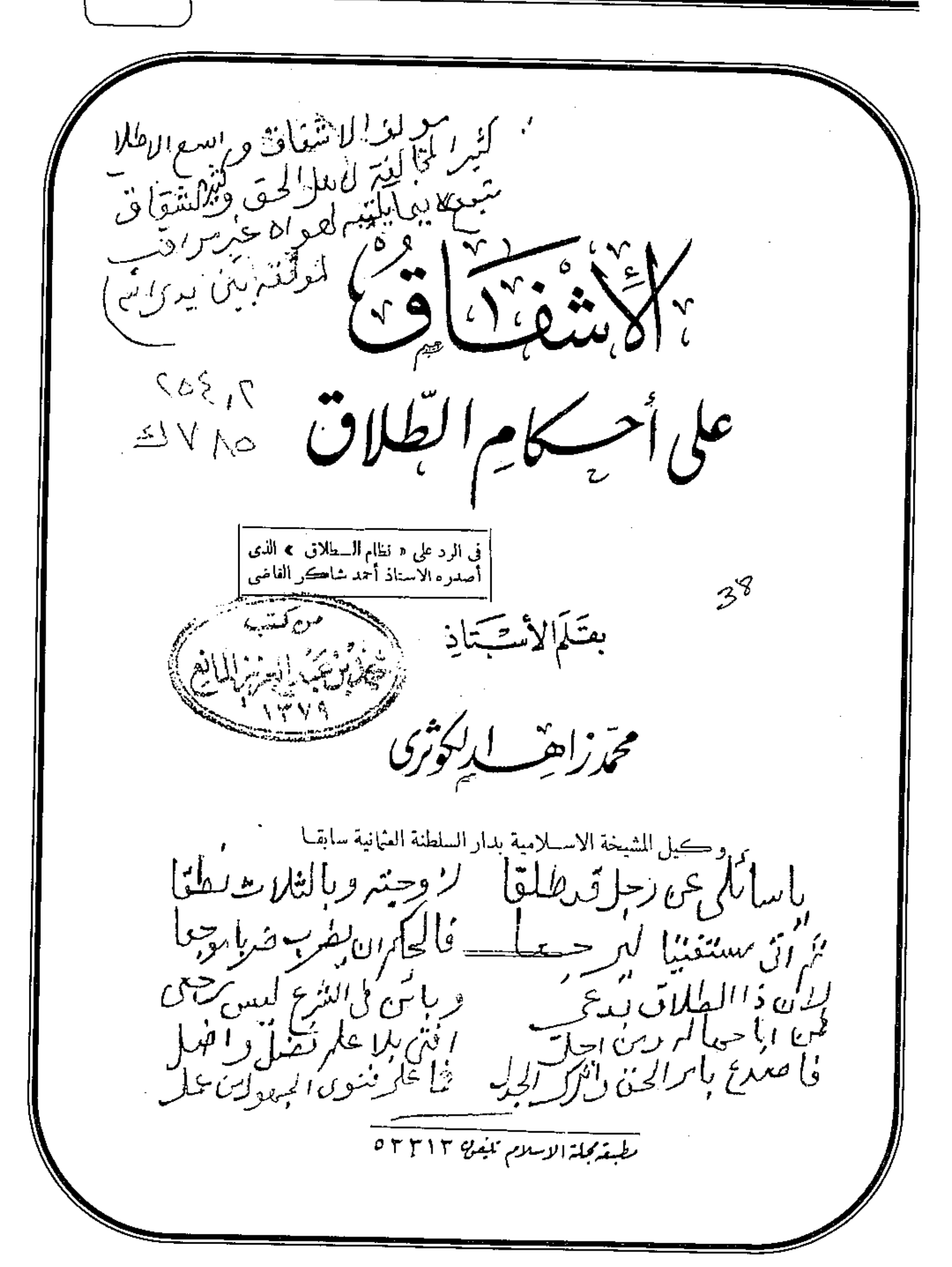
«هذا قُتل بالحُديدة بفتوى من علماء الزيدية».[٣]

---

(١) (ص٧٥).

(٢) (ص٧٥).

(٣) كما سبق، (ص١٧٠).



الإشفاق

على أحكام الطلاق

في الرد على « نظام الطلاق » الذى أصدره الاستاذ أحمد شاكر القاضى

بقلم الأستاذ

محمد زاهد الكوثرى

وكيل المشيخة الاسلامية بدار السلطنة العثمانية سابقا

مطبعة مجلة الاسلام بمصر ٥٣٣١٣

صورة غلاف نسخة الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ من «الإشفاق» للكوثري

- ٧٢ -

البحر الزخار

الرسول على أن الذى يطلق ثلاثاً فى كلمة واحدة أنها قد حرِّمت عليه سواء كان قد دخل بها الزوج أو لم يدخل ، ورواه فى البحر عن ابن عباس وابن عمر وعائشة وأبى هريرة وعن على كرم الله وجهه والناصر والمؤيد ويحيى ومالك و بعض الامامية اه .

فلا تصح نسبة الإفتاء بعدم الوقوع إليهم بعد هذا البيان الصريح . وأما إنْ كان يريد أن يبعث بمصر مذهب الاسماعيلية من مقبره فلسنا فى حاجة إلى مناقشة معه ، فليجرب حظه بعد أن يصف العبيديين مدة بطهر .

وأما كلامه عن أحمد بن تيمية وتلميذه الجرىء بأنهما جاهدا فى سبيل الله بالجهر بهذه المسألة ، فقول كنا نود أن لا نطرقه لو لم يتعرض لذكرهما بتنويه شأنهما فلا بأس فى الاشارة إلى بعض ما فيهما من صنوف الزيغ ، ليعلم جليا أنهما ليسا بمقام القدوة فى مثل هذه المسائل ، وأنهما ليسا من المجاهدين فى سبيل الله ، فى إثارتهما فتنا فى مسائل اعتقادية وعملية خطرة ، ولا يكون الجهاد فى سبيله بتفريق كلمة المسلمين و إثارة الفتن بينهم بباطل ، ولم يكن (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) له سوى خطوة تمهيد لنفسه مخادعة منه كما لا يخفى على من درس حياته .

حاشا هما من التبديع بل هما من أئمة الإسلام وأعلام الهدى رحمهما الله تعالى

ولو قلنا لم يبل الاسلام فى الأدوار الأخيرة بمن هو أضر من ابن تيمية فى تفريق كلمة المسلمين لما كنا مبالغين فى ذلك ، وهو سهل متسامح مع اليهود والنصارى يقول عن كتبهم : إنها لم تحرف تحريفاً لفظياً . فاكتسب بذلك إطراء المستشرقين له ، شديد غليظ الحملات على فرق المسلمين لا سيما الشيعة كان يتعثر فى أذياله سعياً وراء إقناع والى الشام أقوش الأفرم لمحاربة الكسروانيين حتى تم له ما أراد وهو فى صفوف المحاربين ولولا هذا التشدد معهم ومع شيعة الجبل لما بقى فى أرض

نموذج من تعليقات الشيخ ابن مانع - رحمه الله - على كتاب «الإشفاق» للكوثري

الكتاب الخامس: «تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري» لابن عساكر

قال الكوثري في مقدمة الكتاب:[(١)]

«وكان غالبهم على تعاقب القرون حشوية، على الطريقة السالمية والكرامية، إلى أن جعل الظاهر بيبرس قضاء القضاة في المذاهب الأربعة لأول مرة، فاتصلوا بعلماء أهل السنة يفاوضونهم في العلم، فأخذت تزول أمراضهم البدعية، وكاد أن لا يبقى بينهم حشوي، لولا جالية حران بعد نكبة بغداد حطوا رحلهم بالشام، ونبغ من بينهم رجل حسنت نشأته في الطلب، على ذكاء وحافظة وسمت، وتمكن من اجتلاب ثقة شيوخ العلم إلى نفسه، وثنائهم عليه، وكان واعظاً طلق اللسان، فإذا هو يجري على خطة مدبرة في إحلال المذهب الحشوي تحت ستار مذهب السلف، محل مذهب أهل السنة، ولم يعلم أن مذهب أهل السنة من الأشاعرة والماتردية بلغ من التمحيص العلمي على تعاقب القرون، بأيدي نوابغ أهل النظر والفقه في الدين، ممن لا يعد هذا الحشوي من صغار تلامذتهم، إلى مستوى من قوة الحجج، بحيث إذا حاول مثله أن يصطدم بها، لا يقع إلا على أم رأسه، فيَرْدى ولا يُودى، وحيث لم يكن له شيخ يرشده في العلوم النظرية، أصبح علمه لا يرتكن على شيء وثيق، خليطاً كثير التناقض، توزعت مواهبه في أهواء متعبة، ثم

---

(١) (ص١٧).

أفضى إلى ما عمل، وزالت فتنه برد العلماء عليه».

قال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ:

«هذا كذب على الحنابلة».

« لا تغتر بلمز الكوثري، فهو كذاب عدو لأهل السنة المحمدية».

«من قرأ ترجمة شيخ الإسلام علم كثرة شيوخه، ومن أخذ عنهم العلم».[1]

---

(١) انظر: «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية»؛ للشيخين: محمد عزير شمس، وعلي العمران.

« كل سني لا يكون عنده كتاب التبيين لابن عساكر فليس من أمر نفسه على بصيرة »
الطبقات الكبرى

تبيين كذب المفتري

فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري

تصنيف ناصر السنة حجة الحفاظ مؤرخ الشام
أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله
ابن عساكر الدمشقي
المتوفى سنة ٥٧١

عن نسخة المرحوم السيد عبد الباقي الحسني الجزائري ونسخة الخزانة الفيضية في الآستانة والنسخة النورية في القاهرة مع المقابلة بنسخة الخزانة التيمورية العامرة

عني بنشره : القدسي
دمشق الشام : صندوق البريد ٢٠٧

مطبعة التوفيق بدمشق عام ١٣٤٧ هـ.

صورة غلاف نسخة الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ من «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر

١٧

ومن خصائص مذهب عالم المدينة كونه ينفي خبث البدع عن أهل مذهبه فلا تجد بين المالكية بدع الاعتزال والتشبيه ومما أفاد في ذلك على ما احسبه منع مالك رواية اخبار الصفات كما كان احمد يمنع عن رواية احاديث الخروج على ظلمة الولاة فأفاده في تغاضي خلفاء بغداد عن الحنابلة مهما عملوا بل في تقريبهم، نعم يوجد عند بعض المالكية نوع غلو في التصوف من عهد ابن تومرت. وبعض الحنابلة على مسلك السلف في التفويض وترك الخوض وبعضهم انحاز الى المعتزلة، وكان غالبهم على تعاقب القرون حشوية على الطريقة السالمية والكرامية الى ان جعل الظاهر بيبرس قضاء القضاة في المذاهب الاربعة لاول مرة فاتصلوا بعلماء أهل السنة يفاوضونهم في العلم فأخذت تزول امراضهم البدعية وكاد ان لا يبقى بينهم حشوي لولا جالية حران بعد نكبة بغداد حطوا رحلهم بالشام ونبغ من بينهم رجل حسنت نشأته في الطلب على ذكاء وحافظة وسمت وتمكن من اجتلاب ثقة شيوخ العلم الى نفسه وثنائهم عليه وكان واعظاً طلق اللسان فاذا هو يجري على خطة مدبرة في احلال المذهب الحشوي تحت ستار مذهب السلف محل مذهب اهل السنة ولم يعلم أن مذهب أهل السنة من الاشاعرة والماتريدية بلغ من التمحيص العلمي على تعاقب القرون بأيدي نوابغ اهل النظر والفقه في الدين ممن لا يعد هذا الحشوي من صغار تلامذتهم الى مستوى من قوة الحجج بحيث اذا حاول مثله ان يصطدم بها لا يقع الا على ام رأسه فيردى و لا يودى وحيث لم يكن له شيخ يرشده في العلوم النظرية اصبح عمله لا يرتكن على شيء وثيق خليطاً كثير التناقض، توزعت مواهبه في اهواء متعبة ثم افضى الى ما عمل وزالت فتنه برد العلماء عليه.

ومن الجلي انه لا دخل للعلم في نشأة الخوارج والشيعة بل ولدتها العاطفة السياسة ثم اندس فيهما خصوم الدين من الزنادقة فتطورتا اطواراً شائنة واتجاههما الاصلي نحو خصومة الحكومة القائمة، والمرجئة وليدة نوع من البحث العلمي

لقد كذب على الحنابلة

ومن يعتد بالكوثري فهو كذاب عدو لاهل السنة المحمدية

من قرأ ترجمة شيخ الاسلام علم كثرة شيوخه

ومن أخذ عنهم العلم

نموذج من تعليقات الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ على كتاب «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر

الكتاب السادس: «محق التقول في مسألة التوسل»

كتب الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ في مقدمة الكتاب:

«الكوثري في هذه الرسالة ضل وأضل ولم يوفق للصواب، بل ألحد واتبع هواه».[(١)]

(١) سبق ذكر المراجع المفيدة في معرفة ما يشرع من التوسل ومالا يُشرع، وتُنظر أيضاً: رسالة «القول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي» للشيخ محمد بن أحمد الشقيري ـ رحمه الله ـ، تحقيق الدكتور يوسف السعيد.

الكوثري في هذه الرسالة ضل وأضل ولم يوفق للصواب بل ألحد واتبع هواه

٢٢ ١١ ٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد فإنا نرى طائفة الحشوية يحاولون إكفار الأمة جمعاء بين حين وآخر باعتبار أنهم يزورون القبور ويتوسلون إلى الله بالأخيار فكأنهم بذلك أصبحوا عباد الأوثان لحاشاهم من ذلك فأحببت ذكر آراء أئمة أصول الدين في مسألة التوسل لأنهم هم أصحاب الشأن في تبيين وجوه الفرق بين التوحيد والإشراك وعبادة الأوثان، مع سرد ما في الكتاب والسنة من وجوه الدلالة على ذلك عند أهل العلم رداً للحق إلى نصابه وردعاً للجهل وأصحابه في رسالة سميتها (محق التقول في مسألة التوسل) من مقالين لي سبق نشرهما والله سبحانه ولي التسديد والتوفيق.

فأقول مستعيناً بالله جل جلاله: إني أرى أن أتحدث هنا عن مسألة التوسل التي هي وسيلة دعاتهم إلى رميهم الأمة المحمدية بالإشراك، وكنت لا أحب طرق هذا البحث لكثرة ما أثاروا حوله من جدل عقيم مع ظهور الحجة واستبانة المحجة، وليس قصد أول من أثار هذه الفتنة، سوى استباحة أموال المسلمين ليؤسس حكمه بأموالهم على دمائهم باسم أنهم مشركون، وأنى يكون للحشوية صدق الدعوة إلى التوحيد؟ وهم في إنكارهم التوسل محجوجون بالكتاب والسنة والعمل المتوارث والمعقول، أما الكتاب فمنه قوله تعالى «وابتغوا إليه الوسيلة»، والوسيلة بعمومها تشمل التوسل بالأشخاص، والتوسل بالأعمال بل المتبادر من التوسل في الشرع هو هذا وذاك رغم تقول كل مفتر أفاك، والفرق بين الحي والميت في ذلك لا يصدر إلا ممن ينطوي على اعتقاد فناء الأرواح المؤدي إلى إنكار البعث وعلى ادعاء انتفاء الإدراكات الجزئية من النفس بعد مفارقتها البدن، المستلزم لإنكار الأدلة الشرعية في ذلك.

تعليق الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ على الصفحة الأولى من كتاب «محق التقول» للكوثري

الكتاب السابع: «الكوثري وتعليقاته» للشيخ محمد بهجة البيطار ـ رحمه الله ـ.[١]

كتب الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ على غلاف الرسالة:

«الكوثري واسع الاطلاع، ولكن كان كثير التعصب والابتدأع».

---

(١) ترجمة الشيخ البيطار ـ رحمه الله ـ معلومة مشهورة، من أوسعها: كتاب «محمد بهجة البيطار ـ حياته وآثاره»؛ للأستاذ عدنان الخطيب.

الكوثرى وتعليقاته

(الكوثري واسع الاطلاع ولكنه كان كثير التعصب والابتداع)

بقلم علامة الشام الأستاذ الشيخ

محمد بهجة البيطار

بارك الله فى حياته

مقال نشرته مجلة الرابطة العربية التى تصدر بمصر بعددى ١٠٦ و ١٠٧ المؤرخين ١ و ٨ جمادى الأولى ١٣٥٧ — ٢٩ يونية و ٦ يولية ١٩٣٨ وجاء محرفا وساقطا منه عدة سطور ، فلزم طبعه .

مطبعة الإمام ١٤ شارع على عبد اللطيف بالمالية بمصر

صورة غلاف نسخة الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ من كتاب «الكوثري وتعليقاته» للشيخ البيطار ـ رحمه الله ـ، وعليها تعليقه

الكتاب الثامن: «تنبيه الباحث السَّري إلى ما في رسائل وتعاليق الكوثري» للشيخ محمد العربي بن التباني ـ رحمه الله ـ [1]

كتب الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ على غلاف الكتاب:

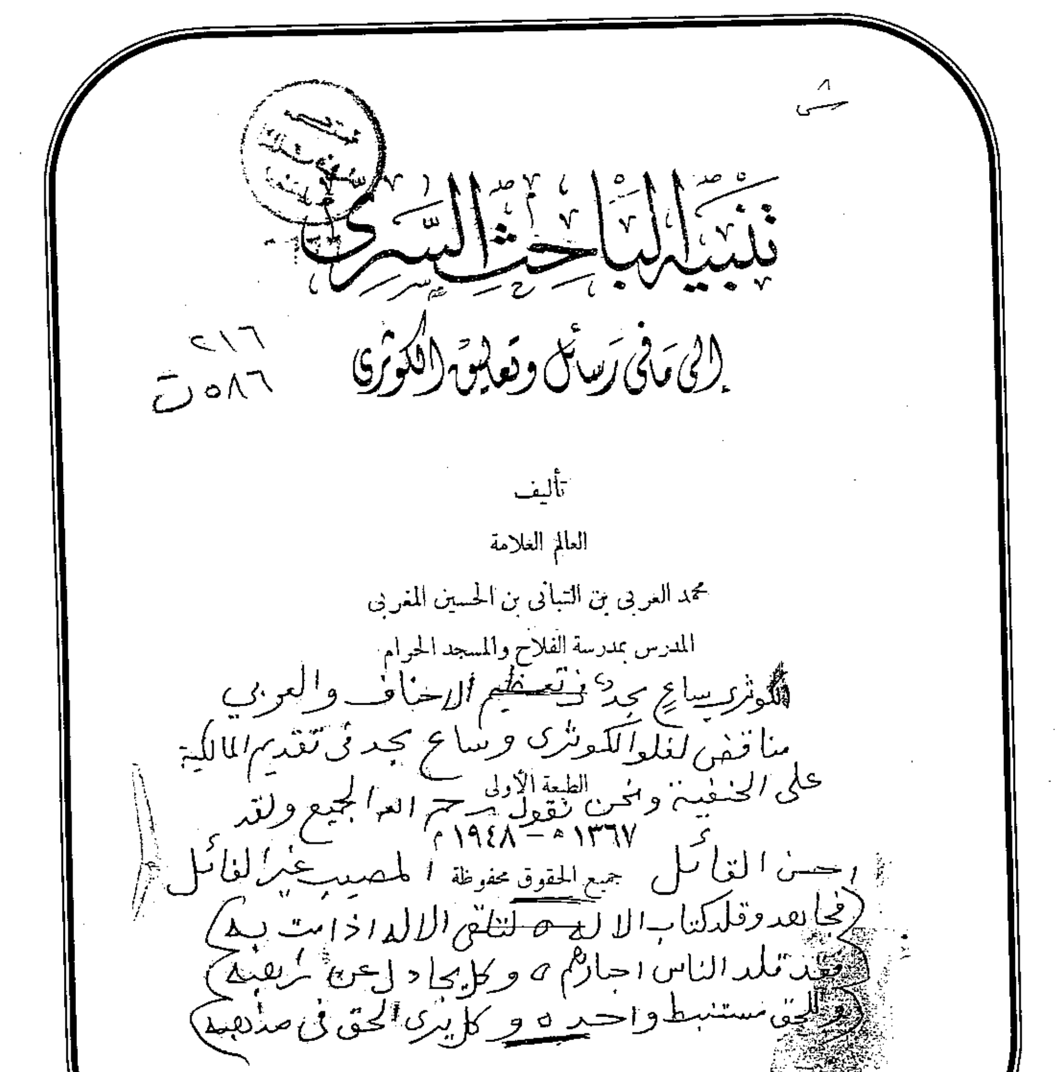
«الكوثري ساعٍ مجد في تعظيم الأحناف، والعربي مناقض لغلو الكوثري، وساعٍ مُجد في تقديم المالكية على الحنفية، ونحن نقول: رحم الله الجميع، ولقد أحسن القائل المصيب غير الفائل:

فجاهد وقلد كتاب الإله ... لتلقى الإله إذا متّ به

فقد قلد الناس أحبارهم ... وكلٌ يجادل عن راهبه

وللحق مستنبطٌ واحد ... وكل يرى الحق في مذهبه

(١) له ترجمة في: «تشنيف الأسماع»، (ص٣٧١-٣٧٥).



تنبيه الباحث السري

إلى ما في رسائل وتعاليق الكوثري

تأليف

العالم العلامة

محمد العربي بن التباني بن الحسين المغربي

المدرس بمدرسة الفلاح والمسجد الحرام

الكوثري ساعٍ بجد في تعظيم الأحناف والعربي
مناقض لغلو الكوثري وساعٍ بجد في تقديم المالكية
على الحنفية ونحن نقول رحم الله الجميع ولقد
أحسن القائل المصيب غير الفائل
مجتهد وقلد كتاب الله لتلقى الأئمة إذا ثبت به
وقد قلد الناس أحبارهم وكل يجادل عن رأيه
والحق مستنبط واحد وكل يرى الحق في مذهبه

الطبعة الأولى

١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م

جميع الحقوق محفوظة

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

صورة غلاف نسخة الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ من كتاب «تنبيه الباحث السري» لابن التباني، وعليها تعليقه.

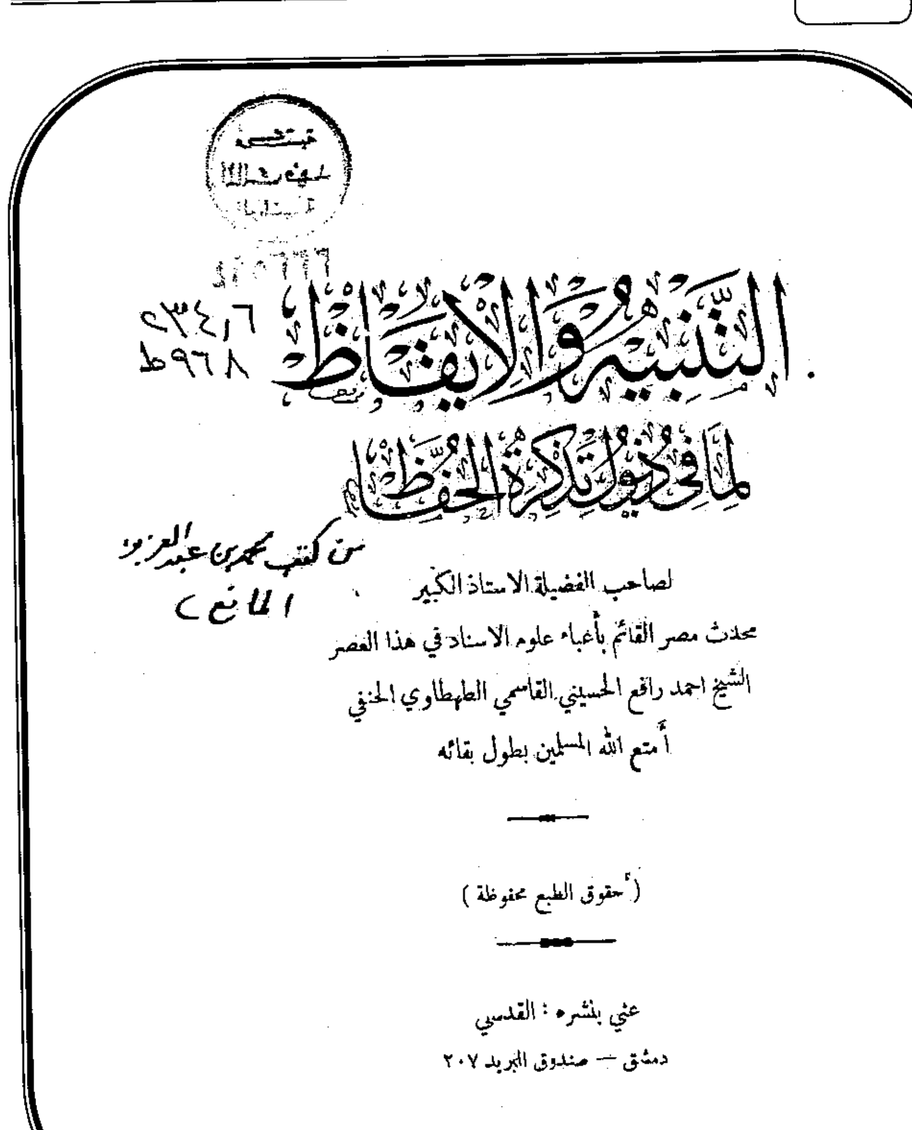
الكتاب التاسع: «التنبيه والإيقاظ لما في ذيول تذكرة الحفاظ»؛ للشيخ أحمد رافع الطهطاوي [١]

قال الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ في خاتمته:

«تم مطالعةً بعد ظهر يوم الجمعة ٥ محرم سنة ١٣٥٣، وكان ابتداء المطالعة بعد طلوع الشمس من هذا اليوم، ولله الحمد والمنة، وقد دل على تحقيق الطهطاوي وسعة اطلاعه، كما دل على قصور الكوثري صاحب التعاليق على ذيول طبقات الحفاظ الثلاثة، وهذا الكوثري معجب برأيه، يتذرع بكل وسيلة للقدح في أهل السنة، كما يُعلم من تعاليقه، والله حسيبه».

---

(١) توفي عام ١٣٥٥هـ، له ترجمة في: «الأعلام» (١/ ١٢٤-١٢٥).


التنبيه والايقاظ
لما في ذيول تذكرة الحفاظ
لصاحب الفضيلة الاستاذ الكبير
محدث مصر القائم بأعباء علوم الاسناد في هذا العصر
الشيخ احمد رافع الحسيني القاسمي الطهطاوي الحنفي
أمتع الله المسلمين بطول بقائه
(حقوق الطبع محفوظة)
عني بنشره : القدسي
دمشق — صندوق البريد ٢٠٧
مطبعة الترقي عام ١٣٤٨ للهجرة

صورة غلاف نسخة الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ من «التنبيه والإيقاظ» للطهطاوي

١٦٦

بحقيقة الحال والبه المرجع في الحال والمآل . والحمد لله على جزيل نعمائه . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأوليائه .

* * *

(قال المؤلف) وهو الفقير الى رحمة مولاه الراجي منه سبحانه ان يديم عليه من نعمه الجزيلة ومننه الوافرة ما أولاه . احمد رافع الحسيني القاسمي المصري الطهطاوي الحنفي ابن العلامة السيد محمد رافع ابن المرحوم السيد عبدالعزيز رافع الذي يتصل نسبه بولي الله تعالى جلال الدين ابي القاسم بن عبدالعزيز بن يوسف بن رافع الحسيني التلمساني الأصل الطهطاوي كتبت هذه التعليقات وحررتها على قدر الاستطاعة . في أواخر سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وألف من هجرة صاحب الشفاعة . حامداً لله تعالى على افضاله . ومصلياً ومسلماً على نبيه وآله . »

«تم مطالعته بعد ظهر يوم الجمعة ٥ محرم ١٣٥٣، وكان ابتداء المطالعة بعد طلوع الشمس من هذا اليوم، وسهل [illegible] الحمد والمنة، وقد دل على تحقيق الطهطاوي وسعة اطلاعه، كما دل على قصور الكوثري صاحب التعاليق على ذيول طبقات الحفاظ الثلاثة، وهذا الكوثري معجب برأيه يتذرع بكل وسيلة للقدح في أهل السنة، كما يعلم من تعاليقه والله حسيبه»

صورة الورقة الأخيرة من الكتاب السابق، وعليها تعليق الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

